م٢

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

المجلد السادس | العدد الرابع | ٢٠٠٣

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علـوم اللغـة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٦، ع٤ ٢٠٠٣

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة .

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

تقديم

هذا هو العدد الرابع والعشرون من (علوم اللغة) ، وهو يمثل العدد الرابع من المجلد السادس فى هذا العام (٢٠٠٣م) ، وبه ينتظم ظهور هذه السلسلة فى عامها السادس بفضل الله عز وجل .

يضم هذا العدد بحوثاً جادة تلقتها أسرة التحرير من باحثين جادين متخصصين فى الدراسات اللغوية ، وتمثل رؤية الباحثين لقضايا التراث اللغوى وبنية اللغة العربية وقضاياها المعاصرة .

البحوث المنشورة فى هذه السلسلة تخضع لتحكيم علمى دقيق ، يلقى مزيداً من القبول والترحيب لدى الباحثين . يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى، ويظل كل بحث منسوباً إلى صاحبه معبراً عن رأيه ودالاً على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

والأمل كبير أن تكون هذه السلسلة الفصلية التى تصدر أربع مرات فى السنة ، محققة لجانب من أمل المتخصصين فى الدراسات اللغوية ، وأن تكون أداة للتواصل العلمى وتبادل الرأى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية .

وترحب هذه السلسلة بالبحوث الجادة فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة .

والله ولى التوفيق ،،

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

من المشترك السامى العام
بين السـريانية والعاميـة المصـرية

د. عبد الحميد عبد الرحمن عبد الحميد
مدرس اللغة السريانية
كلية الآداب - جامعة حلوان

تمهيد :

بعد حمد الله جل ثناؤه ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده نقول :

إن اللهجة العامية العربية المصرية التى نتكلمها اليوم فى مصر ليست ببعيدة كل البعد عن العربية الفصحى ، فهى تبتعد عن الفصحى فى شيئين هما : الإعراب ، وتركيب الحروف[1] . فأما الإعراب وهو الإبانة عن المعانى بتغيير أواخر الكلم ، فالرجوع إليه يكاد يكون مستحيلاً فيما يتعلق باللهجة العامية لأن اللغة أو اللهجة العامية تؤخذ اعتياداً يحفظها الخلف عن السلف ، وتُستقى بالسماع ، فالصبى يسمع أبويه أو غيرهما فيأخذ اللغة عنهم على مرِّ الأوقات . أما تركيب الحروف فأكثر حروف اللغة وإن أصاب بعضها تغيير[2] قد يكون

---

(١) المحكم فى أصول الكلمات العامية - أحمد عيسى بك الطبعة الأولى . مطبعة البابى الحلبى - مصر - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م . صـ ٤ من المقدمة .

(٢) لاحظ التغيير الذى يحدث لبعض الحروف فى العامية المصرية ، ستجد مثلا : الجيم الفصحى ، تنطق g الإنجليزية أو : گ الفارسية فى مثل : جمل : gamal ، جبن : gebna . والذال تنطق دالاً ، فى مثل : ذيل ، تنطق : ديل . والظاء تنطق ضاداً أو دالاً ، فى مثل : الظهر ، تنطق : الضُهر ، الدُهر ، وما إلى ذلك

عظيمًا لا يزال يقرب من الأصل الفصيح ، وإن التغيير والتبديل الحاصلين فى هذه الحروف قد يسهل فى الكثير منها نسبته إلى خصائص اللغة وسننها فى اللهجات المختلفة .

وإذا كانت العامية المصرية هى من العربية ، فالعربية والسريانية تفرعتا عن الدوحة السامية الكبرى التى تفرعت عنها هاتان اللغتان بالإضافة إلى شقيقات أخريات مثل العبرية والحبشية والبابلية والآشورية ، فجميعها انبثقت عن لغة سامية(١) أُم كانت ولابد موجودة فى عصور سحيقة فى القدم ولكنها باتت - كلغة واحدة - فى خبر كان ، وعبثًا حاول الباحثون الوقوف على آثارها(٢) رغم إقرارهم بأن كثيرًا من عناصرها لا يزال محفوظًا فى هذه اللغات السامية التى تفرعت عن السامية الأم .

الهدف من البحث :

لسنا معنيين فى هذه الدراسة - على أى حال - بأن نرصد ألفاظًا يقال إن العربية اقترضتها من السريانية أو العكس ، وإنما الهدف الذى ننشده هنا هو أن نؤكد على أن اللغات السامية جميعها - سواء عامياتها ولهجاتها أو فصحاها - قد احتفظت بألفاظ سامية أصيلة مشتركة كل بقدر معين . وأنه ما تزال هناك

---

(١) كان العالم الألمانى شلوتزر (Schlozer) قد أشار لأول مرة فى كتاب نشر عام ١٨٧١ م . إلى تعبير «اللغات السامية» والتى ظلت لفترة طويلة لتصنيفها العام الذى يعرف بـ «اللغات الشرقية» فى أوربا انظر:

* Fleisch (H): introduction a' l'étude des langues semitiques, paris, 1947 .

• وراجع : تيودور نولدكه : اللغات السامية ، نقله عن الإلمانية د. رمضان عبد التواب . مكتبة دار النهضة العربية بدون تاريخ صـ ٨ .

(٢) البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية : أغناطيوس يعقوب الثالث . دمشق ١٩٦٩ م . صـ ٩ .

ألفاظًا بعينها نجدها بالمنطوق والمعنى مستخدمة فى اللغات السامية بشتى مستوياتها (لجهة عامية أو فصحى) .

والأمر الذى ترتكز عليه هذه الدراسة يتمثل فى رصد بعض السمات اللغوية وبعض الألفاظ التى اشتركت فيها اللغة الآرامية السريانية واللهجة العامية المصرية . فالمشترك السامى هو عبارة عن الكلمات التى تمثل الركام اللغوى للسامية الأم والتى احتفظت بها معظم اللغات السامية[١] بشتى مستوياتها لفظًا ومعنى[٢] . لذلك فإننا نرى أنه ليس من الإنصاف الميل إلى ما اتبعه كثير من الباحثين من القول بأن الألفاظ - التى نراها سامية الأصل فى العربية أو فى غيرها من اللغات السامية الأخرى - هى من الدخيل[٣] فى العربية أو غيرها بصفة مطلقة . كما أننا لا نوافق بصفة عامة على القول بأن هذه الألفاظ مثلاً تُعدُّ من الآثار السريانية فى العربية[٤] ، فهذا أمر يجانبه الصواب ، لأن مثل

(١) بذل المحدثون جهودًا مشكورة فى توضيح اللغات التى تنتمى إلى الأسرة السامية ، ويتبين مما توصلوا إليه أن من أشهر هذه اللغات : العربية ، والعبرية ، والسريانية الآرامية ، والحبشية ، والآشورية . . .
انظر فى ذلك :

- فقه اللغات السامية . لبروكلمان . صـ ٩ .
- فصول فى فقه العربية - د. رمضان عبد التواب . صـ ٣٦ .

* W. Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of The old testament .

(٢) يُعَدُّ برجشتراسر من أبرز العلماء المحدثين الذين استخدموا هذا المصطلح . انظر : التطور النحوى صـ ٢٠٨ .

(٣) تستعمل كلمة «الدخيل» بصفتها مرادفة لكلمة «التعريب» فالكلمة الدخيلة هى كل كلمة أعجمية أدخلت فى كلام العرب وليست منه . انظر : ابن منظور (محمد بن مكرم) : لسان العرب . جـ ١ - جـ ١٥ . بيروت (بدون تاريخ) مادة «دخل» .والدخيل ما دخل فى أى لغة سامية من الألفاظ غير السامية ذلك لأن الألفاظ السامية نبات أم واحدة .
انظر : جبرائيل القرداحى : احكام الإحكام فى علم التصريف عند السريان . ص ٥٠ .

(٤) نجد كثيرًا من الباحثين فى مجال الدراسات اللغوية المقارنة ، وخصوصًا فى اللغات السامية ، يميلون إلى القول بوجود ألفاظ دخيلة فى العربية من السريانية أو العكس . انظر مثلاً : =

هذه الألفاظ فى أغلبها إنما تأتى فى باب الأصول السامية المشتركة[1] ، فإذا رجعنا إلى الأصول الفصيحة لها - إذا كان الأمر يتعلق بالعامية المصرية - سنجد أنها لا يمكن أن تُنسب إلى لغة واحدة من اللغات السامية دون غيرها . وقد يصح القول بالدخيل فى العربية مثلاً أو غيرها من اللغات السامية الأخرى إذا تطرق الكلام عن الأخذ من لغة أخرى غير سامية كالفارسية أو اليونانية وغيرهما .

العامية المصرية :

ليست العامية المصرية - فى معظمها - سوى كلام عربى سامى أصيل مع قليل من التغيير والتبديل فى بعض الحروف كما أشرنا آنفًا ، بل أن أكثر الكلمات العامية التى قد ينفر منها الذوق العام الآن أو يستنكرها الحس إنما كانت من أفصح الألفاظ العربية السامية وأدقها تعبيرًا عما يجيش فى النفس مطابقه

=

- داود الحلبى الموصلى - الآثار الآرامية فى لغة الموصل العامية - مطبعة النجم الكلدانية . الموصل ١٩٣٥ م .
- طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه - دار العرب للبستانى القاهرة : ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- مار أغناطيوس افرام الأول برصوم : الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية . المجمع العلمى العربى دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥١ م .
- أغناطيوس يعقوب الثالث : البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية - دمشق ١٩٦٩ م .
- نصوص أونال قرة أرسلان : جامع التعريب بالطريق القريب القاهرة - ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م.
- جلال الدين السيوطى : المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب . دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م . وغيرهم الكثير . . .

(١) انظر : Gesenius, W: Hebraische und Aramaisches Handwörter - buch under Alte testament.

لمقتضى الحال(١) ، وأن كثيراً منها قد استعملت فيه المجازات اللطيفة والاستعارات المستملحة التى تُعَدُّ من أرقى أساليب الفصاحة فى الكلام .

وقد يستغرب المتأمل فى بعض الكلمات العامية بُعدها هذا البعد عن أصلها الفصيح ، وقد يستبعد أن تكون هناك صلة قرابة بين الكلمتين العامية والفصيحة ، وإن مثل هذا الاستغراب ليزول ، وهذا الاستبعاد لينمحى متى علم أن التغيير فى الكلمات الفصيحة لم يحدث جزافًا بل لم يحدث مرة واحدة بشكل فجائى ، وإنما مثل هذه الألفاظ قد مرَّت بأدوار وأطوار من التغيير تناوبتها مرة بعد أخرى ، وأنه كانت هناك عامَّة عليا وعامَّة سفلى أتت بعد الأولى ، وزادت عليها تغيير ألفاظ . فيرى من ذلك أن اللفظ العامى قد تغير مرتين فى دورين غير متباعدين كثيرًا من أدوار حياة اللغة(٢) .

اللغة السريانية :

تُعد السريانية امتدادًا للغة الآرامية فى العصر المسيحى ، حيث كانت هذه اللغة تسمى فى بادئ أمرها بالآرامية ، والمتكلمون بها يسمون بالآراميين(٣) . وتعد السريانية إحدى لهجات اللغة الآرامية . والآراميون هم ثالث فرع نبت فى شجرة الأمم السامية ، وهم يُذكرون فى النصوص القديمة(٤) على أنهم كانوا منتشرين فى الصحراء الواقعة غربى ما بين

---

(١) المحكم فى أصول الكلمات العامية . أحمد عيسى بك . صـ ٤ من المقدمة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) Nöldeke (th): compendious syriac Grammar translated by : J. A. crichton, london. 1904. p. 31 .

(٤) كان أول ذكر للآراميين قد ورد فى نصوص إسفينية ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . انظر : تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى العصر الحاضر - تأليف : د. مراد كامل ، د. محمد حمدى البكرى ، ود. زاكية محمد رشدى القاهرة عام ١٩٧٨ م . صـ ١٢ .

النهرين ، واضطرتهم ظروف الصحراء إلى الإغارة على الحضر فاستطاعوا فى إحدى هذه الإغارات تكوين إمارة لهم بين بابل والخليج الفارسى (العربى) عُرفت باسم «كلد» والتى اشتق منها اسم الكلدانيين . وقد دخل الآراميون منطقة ما بين النهرين وعرفوا باسم آرام النهرين[1] ، وترجع هجرة قبيلة إبراهيم الخليل (عليه السلام) من «أور» فى بلاد الكلدانيين إلى «حران»[2] إلى واحدة من الهجرات الآرامية فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وفى أواخر القرن العاشر قبل الميلاد استولى الآراميون على دمشق وأسسوا فيها مملكة كان لها دور كبير فى تاريخ ذلك الحين[3] . وكانت «تدمر» مركزًا من المراكز التجارية التى يتناقل الآراميون التجارة فيها ، ولما وقعت مدينة «البتراء» تحت نفوذ الآراميين ، وكانت هذه المدينة عاصمة لبلاد «النبط» فقد اتخذ النبط - وهم من العرب - الآرامية لغة للكتابة[4]

(١) كان للآراميين دويلات منها «آرام النهرين» والمقصود بالنهرين الفرات والخابور . وموقع هذه الدويلة فى الرقعة الكائنة بين هذين النهرين بامتداد سوريا انظر :

* Roger. T. O. callahan Aram Naharaim - Rome. 1948. p. 143.

(٢) حران : من مواطن الآراميين التى أسسوا فيها دويلة أطلق عليها اسم «فدان آرام» . انظر : سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ ، ٢٨ : ٢ .

(٣) استوطن الآراميون فى دمشق - حسب بعض الآراء فى حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد . انظر : طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ٢/ ٢٧١ .

(٤) تدلنا بعض الآثار على أن اللغة الآرامية ظلت لغة كتابة وأدب ودين قبل ميلاد المسيح (فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى - طبعة ثانية سنة ١٩٤٤ م. صـ ١٢٠ .

ومما زاد فى تمازج الآرامية والعربية فى «تدمر» كثرة اختلاط قبائلها بالعرب بعد سنة ٢٧٢ م . حينما غُلبت وانتهت سيادة الزبا ، فتحول كل شىء فيها إلى اللون العربى ولكن رويدًا رويدًا ، ومن الطبيعى أن تتأثر العربية بهذا التفاعل القوى مع ا لآرامية التدمرية . ولما انتشرت المسيحية بين القبائل العربية فى القرون الأولى كان النصارى العرب يستعملون الخط الآرامى النبطى واللغة الآرامية ، كما أن أهل نجران العرب الخلص - وهم نصارى - كانوا يستعملون اللغة الآرامية خصوصًا فى طقوسهم الدينية . هذا من الوجهة اللغوية . أما من الوجهة الفنية فى الكتابة فمما لا شك فيه أن العرب أخذوا =

وربما تكلموا بها[١] .

والآرامية هى إحدى اللغات المعروفة باللغات السامية[٢] ، ومنها : البابلية والآشورية والأكدية والعربية والعبرية والآرامية والحبشية . . . ، إلا أن دخول المسيحية بلاد الآراميين فى أوائل القرن الثانى الميلادى جعل هؤلاء الذين اعتنقوها من الآراميين يعافون تلك التسمية القديمة (الآرامية) ويعتبرونها مرادفة للوثنية والإلحاد ، لذلك سارعوا إلى الأخذ بكلمة «سريان»[٣] تلك التسمية التى أطلقها عليهم اليونان الذين كانوا يحتلون بلادهم ، وسمّوا لغتهم بالسريانية وجعلوا اسم الآراميين لسكان القرى الوثنية مثل «حران» فى الجزيرة[٤] .

وعلى ذلك فالسريانية هى لغة السريان المسيحيين فى «الرها»[٥] وباتت هذه

= خطهم الذى نراه اليوم من الخط النبطى الآرامى ، وليس الخط الكوفى العربى إلا الخط الاسطرنجيلى الآرامى بتطور يسير .

انظر : إسرائيل ويلفنسون : تاريخ اللغات السامية دار العلم . بيروت ١٩٨٠ م ، صـ : ١٢٦ ، ١٧١ ، ٢٠٢ .

(١) انظر : تاريخ الأدب السريانى . د. مراد كامل . . . صـ ١٣ .

(٢) - Nöldeke (th.) compendious syriac Grammar... p. 31 .

(٣) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية . ص ١٤٦

* R. Duval . La litterature syriaque, paris, 1899. p. 5.

(٤) انظر : المرجعين السابقين .

(٥) الرها : هى إحدى مدن الجزيرة فى شمال ما بين النهرين بين الموصل والشام ، وكان يسميها السريان «أورهاى» ، ويسميها العرب (أورفا) ، ويسميها الأوربيون (Edessa) ، ويطلق عليها النصارى فى المؤلفات السريانية اسم المدينة المباركة أو المدينة المقدسة . انظر :

- د. زاكية محمد رشدى : السريانية نحوها وصرفها صـ ١٠ هامش ٤ .
- أغناطيوس افرام الأول (برصوم) : اللؤلؤ المنثور . حمص ١٩٤٣ م . صـ ٢٦ .
- تاريخ مختصر الدول . صـ ٧ .

* Brockelmann : Die syriache und die christilich Arabische literature. lipzig 1907. p. 1.

المدينة وما جاورها من البلاد الموطن الأصلى لـلغة السريانية التـى تعد امتداداً للآرامية السامية .

دخول السريانية مصر :

دخلت السـريانية مـصر ولكن فى الأديرة وبـين رجال الدين وبخـاصة فى الاسكندرية[١] ، وذلك فى العصر المسيحى ، أما عـن الآرامية فيبدو أنها كانت موجودة فى منـاطق عديدة بمصر قبل ذلك بـأزمان سحيقة . فقد اكـتشفت فى مصر آثار آرامية كثيرة، ففـى المتحف البريطانى[٢] عدة مخطوطـات منها ، ووُجد أحـدها فى سـقارة مؤرخًا سـنة ٤٥٨ ق. م. ، ويـضاف إلى ذلـك آثار صغـيرة أخرى كالأسطوانات والمثاقيل والأختام معاصرة لها[٣] ، كما اكتشفت فى مصر آثار أخرى آرامـية فى جزيرة فـيلة بأسـوان منها عقـود زواج وطلاق ووراثة ، ترقى إلى القرنين السادس والرابع قبل الميلاد[٤] ، بل أن هناك مخطوطات بردية آرامية اكتـشفت فى مصر وتكـاد تكون كلها من المسـتعمرة اليهوديـة فى جزيرة أسوان[٥] ومصدر هذه المخطوطات عائلة يهوديـة واحدة ، وكلها مؤرخة بتدقيق

---

(١) د. راكية رشدى : السريـانية وعلاقتها بالعربية . مـجلة الدراسات الشرقية . العدد الثـالث . ديسمبر ١٩٨٥ م . صـ ١٢ .

(٢) انظر : Wright, W. catalogue of the syriac manuscript in the british musieum.

(٣) انظر :

- شابو : اللغات الآرامية وآدابها تعريب أنطون شكرى . صـ ١٣ .
- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٩ م .

(٤) شابو : اللغات الآرامية : صـ ١٢٥ .

(٥) * Moscati, sabatino : Ancient semitic civilizations, p. 11.

C. Ganneau : origine perse des monuments araméens d'Egypte. paris. 1880 .

(٤٧١ - ٤١١ ق.م)[١] .

وكما ذكرنا من قبل فإن السريانية كانت لغة «الرها» قبل دخول المسيحية بزمان طويل ، فلما دخلت المسيحية الرها وبنيت الكنائس اتخذتها النصرانية لغة لها وترجم إليها الكثير من الآداب والعلوم اليونانية ، وصارت لغة التأليف المسيحى ، حتى أن المسيحيين فى مصر والشام والعراق وإيران درسوها وأخذوا جميعًا يستعملونها فى دراساتهم كوسيلة للتعبير فى شتى مناحى الثقافة ، ولا سيما الثقافة اليونانية ، حتى صارت لغة الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية . بل أن الكتاب المقدس قد تُرجم إلى السريانية ترجمة أصبحت من المراجع فى تحرى آيات الكتاب وتحقيقها وفهمها ، وهى المعروفة باسم الترجمة البسيطة «بشيطتا» . وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أنه بعد أن هاجر السريان النساطرة[٢] إلى بلاد الفرس بقى فى الرها المسيحيون القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح وهم السريان اليعاقبة[٣] وكانوا تحت النفوذ الرومانى ، وعلى هذا فقد ارتقت الآرامية مع

(١) راجع :

* H. Sayce et cowleg: Aramaic papyri discovered at Assuan. Londres - 1900.

* Nöldeke (th) : Zeitschr. für Assyriologie. t.xx, p. 130.

(٢) السريان النساطرة : هم أتباع نسطور بطريرك القسطنطينية (٣٨١ - ٤٣٠ م) ، وهم يعتقدون بوجود طبيعتين منفصلتين للمسيح ، إحداهما إلهية والأخرى إنسانية . انظر :

* Frend, W. H. C. The Rise of the monophysite movement, cambridge uni press, 1979. p. 68 .

• البير ابونا : تاريخ الكنيسة الشرقية . جـ ١ . من صـ ٥١ - ٦٨ .

* Badger, G. P. The Nestorian and their Rituals, Vol 11, london. p. 380 .

(٣) السريان اليعاقبة : هم أتباع يعقوب البردعى (ت : ٥٧٨ م.) مؤسس الكنيسة اليعقوبية السريانية التى تعتقد بوجود طبيعة واحدة للمسيح إلهية إنسانية اتحدت بحيث لا يمكن تمييز الإنسان عن الإله . انظر :

• د. مراد كامل ، د. محمد حمدى البكرى ، ود. زاكية محمد رشدى ، تاريخ الأدب السريانى صـ ١٩٣ . وما بعدها .

الزمن وتحولت هى الأخرى إلى لهجات ، فنراها فى صور شتى من اللهجات العديدة[١] التى تنقسم إلى فرعين متميزين كل التمييز هما : الآرامية الشرقية (فى بابل وما بين النهرين) ، والآرامية الغربية (فى سوريا وآسيا الصغرى وفلسطين وبلاد العرب ومصر) ، فالسريانية وهى لهجة شرقية كانت فى عهد ما هى اللغة الأدبية لمعظم الأقطار التى كانت اللهجات الغربية قد ازدهرت فيها[٢] .

= • الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية . صـ ١٥٩ - ١٦٠ .
• ألبير أبونا : تاريخ الكنيسة الشرقية ، جـ ١ . صـ ١١٦ - ١٤٣ .

* Frend. W. H. C. The Rise of the monophysite movement, pp. 1 - 50 .

(١) تستعمل كلمة لهجة للدلالة على لغة قُطر بأسره او شعب بأجمعه ، واللهجات الآرامية تتباعد الواحدة عن الأخرى من حيث الصرف والألفاظ أكثر من تباعد اللهجات اليونانية . وأما اللهجات أو اللغات العامية فقد تنوعت تنوعًا لا حد له . وقد ذكر ابن بهلول فى قاموسه ست عشرة لهجة للسريانية وحدها «طبعة R. Duval, p. XXIV» .

(٢) لمن يريد الوقوف على اللهجات الخاصة . فعليه أن يراجع :

* R. Duval, lecon d'ouverture faite au college de france (1895) .
* Noldeke. (th.) : Die Aramaische Literatur dans le vol. Die orientalischen literaturen. Berlin (1906).

الرموز المستخدمة فى البحث

١- الأصوات الصامتة

- الهمزة (>)
- ب (b)
- پ (p)
- ت (t)
- ث (ṯ)
- جٓ (g)
- ح (ḥ)
- خ (ḫ)
- د (d)
- ذ (ḏ)
- ر (r)
- ز (z)
- س (s)
- ش (š)
- ص (ṣ)
- ض (ḍ)
- ط (ṭ)
- ظ (ẓ)
- ع (<)
- غ (ġ)
- ف (f)
- ڤ (ḇ)
- ق (ḳ)
- ك (k)
- ل (l)
- م (m)
- ن (n)
- هـ (h)
- و (w)
- ى (y)

الجيم القاهرية فى الكتابة بالعربية على الشكل التالى : گ .

ب - رموز الحركات

- الكسرة القصيرة الخالصة .... (i)
- الكسرة القصيرة الممالة .... (e)
- الكسرة القصيرة الممالة المختلسة .... (ĕ)
- الكسرة الطويلة الخالصة .... (ī)
- الكسرة الطويلة الممالة .... (ē)
- الفتحة القصيرة .... (a)
- الفتحة الطويلة .... (ā)
- الفتحة القصيرة الممالة .... (u)
- الضمة القصيرة الممالة .... (o)
- الضمة الطويلة الخالصة .... (ū)
- الضمة الطويلة الممالة .... (ō)

من المشترك السامى بين السريانية والعامية المصرية

قلنا إن هناك عناصر لغوية مشتركة بين السريانية والعامية المصرية ، ثم أن هناك كثيراً من الألفاظ المشتركة .

وفيما يتعلق بالعناصر اللغوية فإننا سنتبع هنا سبيلاً من الإيجاز فى السرد بشأنها ذلك لأن صفحات البحث لا تتسع لدراسة كل العناصر المشتركة ، ونذكر منها ما يلى :

أ - **الإعراب**[1] : يلاحظ العارفون باللغة السريانية أنها لغة لا إعراب فيها ، إلا أن هناك بقايا منه تدل على أنه كان موجوداً فى السامية الأم التى تفرعت عنها ، وهكذا الأمر أيضًا بالنسبة للعامية العربية المصرية فهى الأخرى ليس فيها إعراب ، فى حين احتفظت العربية الفصحى بالإعراب[2] فآخر الكلمة يتغير طبقًا لموقعها فى الجملة أو السياق .

---

(١) ذكرنا آنفًا أن الإعراب هو الإبانة عن المعانى بتغيير أواخر الكلم . انظر هامش (١) - المحكم فى أصول الكلمات العامية لأحمد عيسى . ولأن الإعراب من أول بنود علم النحو العربى الذى يشكل المنطلق الأساسى للدراسات السامية المقارنة ، فإننا نجد هناك من يستخلصون قواعد نحو لغتهم (سواء عبرية أو سريانية) على أساس قواعد النحو العربى ، فنجد أن ابن جناح يستخلص بعض قواعد النحو العبرى على أساس قواعد النحو العربى . راجع :

- مروان بن جناح القرطبى : كتاب اللمع : صـ ٧ ، ١١ ، ١٣ وغيرها . بل إن إقليمس يؤكد أن قواعد اللغة السريانية لا تضبط طبطًا حسنًا إلا بمراجعة اللغة العربية والاستعانة بها . انظر :
- إقليمس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية صـ ١٩٢ .

(٢) تعد ظاهرة الإعراب من أقدم الظواهر اللغوية فى العربية التى تفوق الهجرة الأكادية سنة ٢٥٠٠ ق. م. وإن وجود أية ظاهرة لغوية فى الأكادية والعربية دليل على كون الظاهرة موروثة عن اللغة السامية الأولى (الأم) ، وبذلك يمكننا التاريخ لأقدم الظواهر اللغوية فى العربية عن طريق المقارنة بالأكدية انظر :

- د. محمود فهمى حجازى : اللغة العربية عبر القرون القاهرة . سنة ١٩٦٨ م . صـ ٢٨ .
- د. محمود فهمى حجازى : علم اللغة العربية - مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية . القاهرة سنة ١٩٩٢ م . صـ ١٥٦ .

ب - تبدأ الكلمة فى السريانية فــى كثير مــن الأحيان بالإسكــان ، مثل : ܠܡܢܐ ܫܒܩܬܢܝ Lma šbaḳtan = لم أو لمــاذا تركتنـــــى .

و ܟܬܒܬ : ktabt : = كتَبْتَ . وهكذا فى العامية المصرية نبدأ بالتــسكين غالبًا ، فــنقول : شرِبْت ، عــرِفت .... وهى فى الفــصحى شَرِبت ، عَرَفت ، بتحريك أول الكلمة وليس إسكانه .

جـ - السريانــية تسكن أول المضارع من الفعــل الأجوف ، فى مثل : ܢܨܘܡ : Nṣūm = نَصُوم . وهى فــى العامــية المصــرية أيــضًا : نْصُوم . ومثلــها كــذلــك : ܢܩܘܡ : Nḳūm = نَقُوم فهى فى العاميــة مثلها تمامًا : نْؤوم N>um . أو : نْگوم Ngūm بتسكين الأول . لكنهما فى الفصحى : نَصُوم ، نَقُوم . بفتح أول الفعل .

د - فى الفعل المبنى للمجهول فى الســريانية يضعون الألف والتاء (التى هى ثاء بالترقيــق) فى أول الفعل مثلما هو الأمــر فى العامية المصرية فــيقولون فى السريــانية : ܐܬܩܛܠ <eṯkṭel = إتقتل (فى العامية المصرية) . على خلاف ما هو فى العربية الفصحى : قُتل أو إنقتل .

هـ - تتشابه وتشــترك السريانية مع العامية المصريــة فى أن حروف المضارعة فى تصريف الــفعل مع بعض الضمــائر فى المضارع من الثلاثــى المجرد تكون مُمالة ، أى أن حرف المضارعة يشكل بالإمالة[1] ، فى مثل :

---

(١) حركة الإمالة : ليس لها علامة خاصة بها فى الشكــل العربى ، وإنما يدل عليها بالكسرة المعهودة ، ولا تتفق الكســرة التى نعرفها ونــطقنا فى العاميــة المصرية لمثل : بيت . سـيف ، ونطقنا للفــظ القرآنى : (ومجريها) ، وكان يرمز لهذه العلامة فى المصاحــف قديمًا بدائرة حمراء يضعونها تحت الحرف الممال ، ثم عدلوا عنها فى المطابع إلى رسم نقطة خالية الـوسط معيَّنة الشكل تحت الراء (مجريٖها) ، لصعوبة رسمها فى المطابع بمداد أحمر .
=

ܬܟܬܘܒ : Teḫtob = تكتب (أنت)

ܬܩܛܘܠ : tekṭol = تقتل (أنت)

ونقولهما فى العامية المصرية : تِكتب ، تِتتل أو تِكتل أى بإمالة تاء المضارعة وليس كسرها . أما فى العربية الفصحى فيختلف الأمر ، فهما : تَكْتب ، تَقْتُل ، بالفتح .

و - العامية المصرية تماثل السريانية فى تقديم الاسم (الفاعل) على الفعل فى مثل :

- محمد أتى = ܡܚܡܕ ܐܬܐ mḥammd >eṯā .
- أبونا أثم إثمًا عظيما = ܐܒܘܢ ܚܛܐ ܚܛܗܐ ܪܒܐ (١) .
- يوسف ذهب اليوم = ܝܘܣܦ ܐܙܠ ܝܘܡܢܐ (٢) .

ز - وتتشابه اللغتان أيضًا فى مطابقة الفعل للفاعل الجمع بإلحاق واو الجماعة بالفعل فى مثل :

- قالوا كل واحد منهما للآخر = ܐܡܪܘ ܚܕ ܠܚܒܪܗ (٣)

ومعناها بالفصحى : قال أحدهما للآخر .

ح - تستخدم السريانية - شأنها فى ذلك شأن العامية المصرية - كلمات خاصة

= (د. عبد المنعم سيد عبد العال : معجم الألفاظ العامية - الطبعة الثانية - القاهرة . سنة ١٩٧٢ . صـ ٢٠) .

(١) جرجس الرزى : الكتاب فى نحو اللغة الآرامية السريانية بيروت ١٨٩٧ م . صـ ٤٣ .

(٢) جبرائيل القرداحى : المناهج فى النحو والمعانى عند السريان . ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ذاته .

للدلالة على المثنى ، ومـــن هـــذه الكلمـــات : (اثنان - اثنتان . . . .)

(ܬܪܝܢ ، ܬܪܬܝܢ : tren - tarten) فى مثل :

- ܬܪܝܢ ܓܒܪܝܢ tren gabrin = رجلان (فى العامية : اتنين رجاله).
- ܬܪܬܝܢ ܢܫܐ (1) : tarten Nĕsē = امرأتان (فى العامية : اتنين ستات).

وهكذا ، فما ذكرناه هنا قليل من كـثير ، ولكن سنترك هذا لأبحاث أخرى إن شاء الله تعالى ، حيث تركز دراستنا الحـالية على المشترك من الألفاظ . وإن مجالات المشترك من العناصر والظواهر اللـغوية تحتاج إلى صفحات تفوق بحثنا هذا بكثير لذا فسوف نرجؤها الآن جانبًا حتى تستوفيها فيما بعد .

(1) اقليميس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية . الموصل ١٨٩٦ م .

المشترك السامى العام من الألفاظ
بين السريانية والعامية المصرية

رأينا أن نقسم هذه الألفاظ على النحو التالى :

١ - فى مجال الزراعة والنبات والخضراوات والفاكهة .

٢ - فى مجال الحيوانات وما يخصها .

٣ - فى مجال الطيور والحشرات والزواحف .

٤ - فى مجال الطعام والشراب وأدواتهما .

٥ - فى مجال الأسرة والمنزل .

٦ - فى أعضاء جسم الإنسان وحواسه .

٧ - فى الملابس والأدوات .

٨ - عام : فى شتى المجالات وقد رتَّبناه ترتيبًا أبجديًا .

١ - فى مجال الزراعة[1] والنبات والخضراوات والفاكهة

- ܐܣܦܪܓܠܐ : >esfarglā = سفرجل . شجرة السفرجل .
- ܐܪܛܒܐ : >rṭbā = أرْدَبّ .
- ܐܪܙܐ : >arzā = شجرة الأرز (أرز) cedar .
- ܒܐܪܐ : Berā = بئر . (فى العامية : بِير) .
- ܒܩܠܐ : Bakālā = بقال . بائع خُضر .
- ܒܕܪ : Bdar = بَذَرَ (فى العامية : بَدَرَ) الذال تقلب دال فى الفُصحى .
- ܒܙܩ : Bzak = بَذَرَ (فى العامية بَزَقَ الحب أى بدره وتقال خصوصًا : البزق للبصل الذى يزرع بالبذور) .
- ܒܪ : Bār = بارَ - تخرب . ومنه : ܒܘܪܐ : Būrā = بورًا أو . أرض بور . أو : بائر .
- ܒܛܝܚܐ : Baṭṭiḥā = بطيخ . بطيخة . watermelon .
- ܦܛܝܚܐ : Paṭṭiḥā = بطيخ . بطيخة .
- ܒܠܘܛܐ : Bloṭā = بلوط (خشب بلوط أو سنديان) .
- ܒܘܣܬܢܐ : Bostānā = بستان . حديقة garden .
- ܒܨܠܐ : Beṣlā = بصل onion .

---

(١) اخذ العرب معظم مصطلحات الزراعة عن النبط الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة على حافة الجزيرة العربية ، حتى أن علم الزراعة ظل إلى وقت طويل بعد الإسلام يسمى عند العرب «الفلاحة النبطية» . انظر : د. زاكية رشدى : السريانية وعلاقتها بالعربية . صـ ١٧ .

- ܓܘܙܐ : gawzā = جوز – شجرة الجوز nut, nut tree .
- ܓܘܪܢܐ : gūrna = جُـرن . (مكـان تجميـع المحاصيـل الزراعيـة ودراسها) .
- ܓܙܪܐ : gĕzārā = جَزَر carrot .
- ܓܢܬܐ : gantā = جَنَّة . بستان garden ومنها : ܓܢܢܐ : gannānā = بستانى (جناينى بالعامية) .
- ܓܠܦܐ : glāfā = القشر – الغلاف .

فيقال فى العامية (غلاف الإذرة) أى الورق الذى يلف بالكوز .

- ܓܪܘܦܐ : garūfā = مجرفة (جاروف فى العامية المصرية) .
- ܓܫܪܐ : gešra = جِسر .
- ܘܪܕܐ : wardā = وَرْد . ومنها الفعل المضعف : ܘܪܕ : warred والمزيد : ܐܘܪܕ : >wred بمعنى : وَرَّد . أَوْرد . أزهر .
- ܘܪܩܬܐ : warktā = ورقة (نبات) Leaf .
- ܙܢܒܝܠܐ : zanbīla = زنبيل . قُفَّة scuttle .
- ܩܘܦܝܢܐ : kūfīnā = قفّة .
- ܙܪܥ : zra< = زَرَعَ . بَذَرَ . ومنـها : ܙܪܥܐ : zar<ā = زَرْع sowing ، ܙܪܥܐ = زَرْع . ذرية . نسل seed .
- ܙܝܬܐ : zaytā = زَيْتون . شجرة الزيتون .
- ܚܘܚܐ : hūhā = الخوخ – شجرة الخوخ (خوخة bullace) .

- ܚܣܬܐ : hastā = خَسّ lettuce .
- ܚܨܕ : ḥṣad = حَصَدَ ، ܐܬܚܨܕ : >ethṣed = إنْحَصَدَ.
- ܚܩܠܐ : ḥaklā = حقل field .
- ܚܪܕܠܐ : ḥardlā = خردل mustard .
- ܚܪܛ : ḥraṭ = حرث . شق . حَفَرَ .
- ܛܝܢܐ : ṭīnā = طين . وحل mud .
- ܛܡܪ : ṭmar = طَمَـــر . غَطَّـــى . خـــبأ ، ومنهـــا : ܡܛܡܘܪܐ : maṭmūrā = مطموراً مُخبأ . وهذا اللفظ يستعمل فى محصول الفول البلدى الذى يتم طمره أى تخزينه وطمره تحت الأرض كى لا يصيبه السوس .
- ܝܣܡܝܢ : yasmīn = ياسمين jasmin .
- ܟܐܦܘܪܐ : kafūr = كافور : camphor .
- ܟܘܡܬܪܐ : kūmaṯrā = كُمثرى. شجرة الأجاص pear-tree.
- ܟܘܣܒܪܬܐ : kūsbartā = كزبرة : coriander . وتنطقها العامية بالسين كما هى فى السريانية فتقال : كُسبرة .
- ܟܝܠܐ : kaylā = مكيـال measure مكيال للحبـوب bushel ومنه : ܟܝܠܐ : kayālā = كيَّال ، ܟܝܠܬܐ = kiltā = كيلةٌ .
- ܟܝܣܐ : kīsā = كيس . ففى العامية . نقول : كيس قُطن وكيس خيش لتعبئة المحاصيل الزراعية gunny .
- ܟܡܘܢܐ : kamūnā = كمون = cummin .

- ܟܘܪܟܡܐ : kūrkmā = زعفـران = crocus وتقال فى الـعامية (كُركُم).
- ܟܪܡܐ : karmā = كَرْم . جفن (العنب) grape .
- ܟܪܦܣܐ : krefsā = كَرَفس : celery .
- ܟܪܬܐ : karrātā = كراث (هى نفس الـلفظ السريانى فى الـعامية فتقول: كُرَّات.
- ܟܬܢܐ : ketānā = كتان : linen .
- ܠܘܒܝܐ : Lūbyā = لوبيا : Bean .
- ܠܦܬܐ : Leftā = لِفت : turnip .
- ܠܩܛ : Lkaṭ = لَقَطَ . جمع (لقط الثـمار أو المحصول) وهذه تقال فى ريف مصر عند الجنى .
- ܡܒܘܥܐ : mabū<ā = ينبوع . عين مـاء . منبع source من الفعل ܢܒܥ : nba< = نَبَعَ .
- ܡܕܪܐ : medrā = مزراة : pitchfork . وتقال فى الـعامية المصرية بنـفس اللفظ السريانـى : مِدْرَة.فهناك مثل عامى يـقول : هاتى يا مِدْرة وَدّى يا سِدْرة .
- ܡܪܓܐ : margā = مَرْج : meadow = (أرض خضراء) .
- ܢܗܪܐ : nahrā = نهر : river .
- ܢܛܪ : neṭar = نثـــر : ܢܛܝܪܐ : nattīrā = منتشر . وتقـال فـــى العامية (نتر = نثر) .

- ܢܬܫ : ntaš = نتش . مَزَقَ (مَصَّ) . نتف .
- ܣܝܚܐ : siḥā = شيح . حبق : artemisia .
- ܣܠܩܐ : selḳā = سلق (نبات) bect .
- ܣܥܕܐ : se<dā = السعِد (نبات) galingale . والسعد هذا نبات بری ينبت فی زراعات محصول الأُرز .
- ܥܘܪܐ : <gūrā = غليظ . من الفعل ܥܓܪ = <aggar غَلَّظ . وهی تقابل فی العامية المصرية : العَجُّوز ، وهو الثمرة الغليظة من الخياريات .
- ܥܒܐ : <āḇā = غابة = forest .
- ܥܢܒܬܐ : <enbtā = عنـــب . والجمـــع : ܥܢܒܐ = <enbē grapes
- ܥܢܩܐ : <nāḳā = غُصن . فرع : branch, shoot ونقول فی العامية «عِنق» .
- ܥܣܒ : <seḇ = عشب : grass .
- ܥܩܪܐ : <eḳārā = جذر . عقار . أصل . أساس .
- ܦܠܦܠ : felfel = فلفل : pepper .
- ܦܢܕܩܐ : pendḳā = بندق : hazelnuts .
- ܦܣܬܩܐ : festḳā = فستق . شجرة الفستق .
- ܦܪܥܐ : far<ā = بُرعم (فَرْع) . زهرة . كم .
- ܨܢܕܠ : ṣandal = صندل . خشب الصندل : sandal - wood .

- ܩܛܦ : ḳṭaf = قطف . جنَى . لَمَّ (الثمار) ومنه : ܩܛܦܐ :
ḳṭāfā = قِطاف . جنى العنب . حصاد .
- ܟܒܪ : ḳabar = كَبَر (نبات)
- ܩܪܥܐ : ḳar<ā = قَرْع
- ܪܘܡܢܐ : rumānā = رُمَّان
- ܪܘܙܐ : ruzā = أُرْز (رُزّ بالعامية) .
- ܨܒܠܐ : ṣeblā = سُنبلة .
- ܫܘܪܢܟܐ : šūrnḳā = غلاف البذر (شرنقة فى العامية) .
- ܫܘܫܢܬܐ : šawšantā = سوسنة lily .
- ܫܩܐ : šḳā = سقى . روى (بكل معانى الكلمة . . .) .
- ܫܪܫܐ : šerša = جذر . شِرْش (نقول شرش جزَر) .
- ܬܘܡܐ : tawmā = ثُوم (تُوم . فى العامية) .
- ܬܘܬܐ : tūtā = توت mulberry .

٢ - فى مجال الحيوانات وما يخصها

- ܐܝܠܐ : >ylā = أيل = stag .
- ܐܠܝܬܐ : >elītā = لِيَّة (الخروف) .
- ܐܣܛܒܠܛ : >esṭablāṭ = اسطبل (مربط الخيول وحظيرتها) .
- ܐܣܦܘܓܐ : >esfūgā = إسفنج .
- ܐܪܢܒܐ : >arnbā = أرنب .
- ܒܓܠܐ : baġlā = بَغل : mule .
- ܒܪܕܥܬܐ : barda<tā = بردعة . قطعة قماش .
- ܒܟܪܐ : bakrā = قطيع (من البقر) ، ومنه : ܒܟܪܐ : Bakārā = بقّار - راعي البقر .
- ܓܕܝܐ : gedyā = جَدى = kid (صغير الماعز) .
- ܓܘܕ : gwād = جَوَاد . حصان أصيل .
- ܓܙ : gaz = جَزَّ . قَصَّ الجزّة . ومنه ܓܙܐ : gezzā = جَزَّة .
- ܓܠܕܐ : geldā = جلد skin .
- ܓܡܠܐ : gamlā = جَمَل camel
- ܓܪܒ : greb = برص . جرب . صار أجرب

ܓܪܒܝܐ garbāyā ، ܓܪܒܢܐ : garbānā = أجرب

- ܓܥܪܬܐ : g<ārtā = زئير (جعير . بالعامية) .
- ܕܐܒܐ : Dībā = ذئب wolf (تقال فى العامية : ديب) .
- ܕܒܐ : debā = دُبّ = bear .
- ܕܫܝܫܬܐ : dšištā = جشيشة أو دشيشة porridge .
- ܗܘܓܢܐ : hūgnā = هجين (جمل هجين) .
- ܙܒܠܐ : zeblā = زِبْل duny . من الفعل المضعف : ܙܒܠ : zabel = زبَّل أى أخرج الحيوان الزبل .
- ܙܡܡܐ : zmāmā = زمام . لجام . وهناك أيضًا : ܠܓܡܐ : Lgāmā = لجام . خطام .
- ܚܙܝܪܐ : ḥzirā = خنزير = pig .
- ܚܡܪܐ : ḥmāra = حمار . والمؤنث : ܚܡܪܬܐ : ḥmārtā حمارة .
- ܚܘܝܐ : ḥewyā = حَيَّة : serpent .
- ܚܪܛܘܡܐ : ḥarṭūmā = خرطوم (الفيل) trunk (of elephant) .
- ܟܠܒܐ : kalbā = كَلْب = dog .
- ܟܪܥܐ : krā<ā = ساق . رِجْل (كارع . بالعامية) .
- ܠܓܡܐ : lgāmā = لجام = bridle ، خطام : bit .
- ܡܪܒܛܐ : marbṭā = حظيرة (فى العامية : مربط البهائم أو الدواب) .
- ܢܒܚ : nbaḥ = نبح – عوى . ومنه : ܢܒܚܐ : nbāḥā = نباح . عواء .

- ܢܗܓ : nhag = نهـق (فى العامية : نَهَگ الحِمار) أو : زأر . to roar
- ܢܥܪ : n<ar = نَعَر . زأر .
- ܢܡܪܐ : nemrā = نِمر Leopard .
- ܢܥܡܐ : n<āmā = نعامة astrich .
- ܢܦܪ : nfar = هرب جافلاً (الحصان) . نَفَر مِن . . . وهى أيضًا بمعنى : ثغا . صهل . ومنها : ܢܦܪܐ nfārā = صهيل . ارتعاش.
- ܣܪܓܐ : sargā = سرج saddle . ومنها : ܣܪܓܐ : srāgā = سَرَّاج . صانع السرج .
- ܥܓܠܐ : <eglā = عِجْل ، والمؤنث : ܥܓܠܬܐ <geltā = عِجلة : calf .
- ܥܙܐ : <ĕzā = عنزة goat .
- ܦܗܕܐ : fahdā = فهد panther .
- ܦܝܠܐ : fīla = فيل elephant .
- ܦܪܓܠܐ : fragelā = سوط . فَرجلَّة (يستعملها الفلاح لزجر الحيوانات فى العمل وخصوصًا أثناء حرث الأرض) .
- ܦܪܝܐ : farāyā = فراء .
- ܨܗܠ : ṣhal = صَهَل to neigh .
- ܩܛܐ : kaṭā = قط . هِر .
- ܩܘܦܕܐ : kūfdā = قنفذ hedgehog (قُنفِذ بالعامية) .
- ܬܘܪ : tūr = ثور : bull, ox . وتقال فى العامية بالتاء أيضًا : تور).

٣ - فى مجال الطيور والحشرات والزواحف

- ܒܒܓܐ : BaBagā = ببغاء = parrot (بغبغان . بالعامية) .
- ܒܘܡܐ : Būmā = بومة = owl .
- ܒܙܝ : Bāzī = صقر (البازى) falcon .
- ܒܛܐ : Baṭṭā = بطة = duck .
- ܕܒܒܐ : dĕbaba = ذبابة fly (فى العامية : دِبَّانة) .
- ܕܒܘܪܐ : debūrā = زنبور horned (دبُّور . بالعامية) .
- ܙܘܓܠܐ : zūglā = فرخ حمام (زغلول . بالعامية) .
- ܛܝܪܐ : ṭayrā = عصفور (طير) bird .
- ܢܡܠܐ : nmālā = نملة = ant .
- ܡܩܪܐ : makārā = منقار (الطير) .
- ܢܫܪܐ : nesrā = نِسر = eagla .
- ܥܘܪܒܐ : <ūrbā = غراب raven .
- ܦܪܘܓܐ : farūgā = فَرُّوج - فَرْخ العصافير .
- ܨܕ : ṣād = صاد . يصيد صيداً . قَنَصَ .

ومنها : ܨܝܕܐ : ṣayādā = صياد . قناص

و : ܨܝܕܐ : ṣaydā = صيد . قنص . فريسة .

و : ܡܨܝܕܬܐ : msīdtā = مصيدة . شبكة .

- ܨܘܐ : ṣwā = غَرَّد (صوَى) to warble .

ܨܘܨܝ : ṣawṣī = غَرَّد (صَوْصَوْ . بالعامية المصرية)

- ܨܦܪܐ : ṣefrā = عصفور .bird .
- ܨܨܪܐ : ṣeṣrā = صرصور cricket .
- ܩܙ : ḳaz = قَزّ silk ؛ ܩܙܙܐ : kazaza = قزاز . حائك قَزّ .
- ܩܦܨܐ : ḳafṣā = قفص cage .
- ܩܪܢܐ : ḳarnā = قرن corne .
- ܪܦܪܦ : rafref = حَرَّك . رفرف (الأجنحة للطير) .
- ܪܦܨ : rfaṣ = رفس . داس.

ܪܦܨ ܒܪܓܠܐ : rfaṣ brĕglā = رَفس برجله .

- ܪܫܡܐ : rašmā = رباط bond (رشمة الحمار . أى الرباط الذى يوضع فى رأس الحمار .
- ܫܚܛܐ : šḥaṭā = الشحاط (مرض يصيب الحيوانات وخصوصًا الأبقار) .
- ܫܠܫܠ : šalšel = سلسل . ربط بسلسلة .
- ܫܡܢ : šmen = سَمِنَ .
- ܬܒܢܐ : tebnā = تبن - عَلَف الحيوانات .
- ܬܢܝܢܐ : tanīnā = تنين . حيَّة .
- ܬܥܠܐ : ta<lā = ثعلب (تعلب بالعامية) .

٤ - فى مجال الطعام والشراب وأدواتهما

- ܐܟܠ : >ahal = أَكَلَ : to eat . ومنها : ܐܟܘܠܐ
: >āhūlā = أكول . شره .

- ܒܓܒܓ : Bagbĕg = بقبق (الكوز فى الماء) أى أحدث صوتًا .
ومنها : ܒܓܒܘܓܐ Bagbūgā = إبريق : jug ومن ذلك فى العامية المصرية : بگبگ (فى لهجة الصعـيد والشرقية) = Bagbag : أى أحدث صوتًا لانسكاب الماء من الإبريق أو القُلَّة .

- ܒܠܥ : Bla< = بَلَعَ . إزدرد to gulp .

- ܒܨ : Baṣ = تَلِفَ . نقول فى العامية : (باظ الطعام أى تلف) .

- ܓܘܒܢܐ : gūbnĕ = جبن : cheese . ومنه الفعل :
ܐܬܓܒܢ : >etgben = تجبَّن .

- ܕܗܝܢܐ : dahīnā = دهين . سَمِين .

- ܕܩܝܩ : dakīk = دقيق (طحين) من الفعل : ܕܩ : dak =
دَقَّ . سَحَقَ . طَحَنَ .

- ܙܘܕܐ : zwādā = قوت . زاد للسفر ، وفى العامية نقول (زِوَّادة) .

- ܚܠܐ : hallā = خَلّ vinegar .

- ܚܠܬܐ : halta = إناء (حَلَّة) .

- ܚܠܝ : hlī = حلَى . لَذَّ . ومنه المضعَّف : ܚܠܝ : hallī .

- ܚܠܒ : hleb ، ܚܠܒܐ : halbā = حلب . حليب milk .

- ܚܡ : ḥam = حَرَّ . سَخَنَ to hot ، ومنه : ܚܡܝܡܐ : ḥamīmā = حار . ساخن . ونقول فى العامية (الدنيا حَمّ) أى الجو حار أو ساخن .
- ܚܡܪܐ : ḥamrā = خمر Wine ، ومنه : ܚܡܪܐ : ḥammārā = خمار . أو صانع الخمر وبائعه . و : ܚܡܝܪܐ : ḥmīrā = خمير ferment .
- ܛܒܚܐ : ṭbāḥā = طَبَّاخ cook ، ومنها : ܒܝܬ ܛܒܚܐ : Bēt ṭabāḥā = مطبخ kitchen .
- ܛܚܢ : ṭḥan = طحن to grind .
- ܛܥܡ : t<em = ذاق . طَعِمَ . أَكَلَ ، ومنه :

  ܛܥܡܐ : ta<ma = طَعْم .
- ܟܘܒܐ : kūḇā = كوب . كاس .
- ܟܘܙܐ : kūzā = كوز . إبريق jug .
- ܟܢܘܢܐ : kānūnā = كانون . موقد صغير يطهى عليه الطعام .
- ܟܣܐ : kāsā = كاس : cup .
- ܠܒܢ : lban = لبن : milk .
- ܡܘܩܕܐ : mawḳdā = مَوْقد hearth ، من الفعل : ܐܘܩܕ : >awḳed = أوقد . أشعل . . . . .
- ܡܙܓ : mzag = مَزَج (الشراب) ، ܐܬܡܙܓ : >etmzēg = إمتزج .

• ܡܝܐ : mayā = ماء : water ، ونقولها فى العامية (ميًّا) .

• ܡܠܐ : mlā = ملأ : fil ، ونقولها فى العامية (مَلاَ) .

• ܡܠܚܐ : melḥā = مِلْح : salt . ومنه :

ܡܠܝܚܐ : mlīḥā = مليح : salty .

و : ܡܠܝܚܘܬܐ : mlīḥūtā = ملوحة : saltiness .

و : ܡܠܚܐ : mallāḥā = بحار . ملاح : sailor .

• ܡܠܛ : mlaṭ = دَهَنَ . طلى . (فى العامية نقول : مَلَط الشىء أى : دهنه أو طلاه) .

• ܡܨ : maṣṣ = مَصَّ . عَصَرَ ، ܡܨܡܨ : maṣmēs = مَصْمَصَ . مَصَّ .

• ܡܪ : mar = مَرَّ . صار مُرًّا ، ܡܘܪܐ : mūrā = مُرٌّ صافٍ ، ومنها أيضًا :

ܡܪܪܐ : mrārā = مرارة .

• ܣܒܥ : sba< = شَبِعَ ، ܣܒܥܐ : sab<ā = شبعان ، ܣܒܥ : sabba< = شبَّعَ ، أشبَعَ .

• ܣܛܠܐ : saṭlā = سَطْل : bucket . وفى العامية المصرية نقول : سَطْل عناب أو خرّوب .

• ܣܟܝܢܐ : sakīnā = سكين .

• ܣܡܐ : sammā = سم . دواء . عقار

ومنه : ܣܡܡ : sammēm = سَمَّمَ .

- ܦܛܝܪܐ : faṭīrā = فطير . خبز غير مختمر . أى فطير فى العامية .
- ܦܠܓܐ : felgā = جزء. نصف (فلگة بطيخ فى العامية من الفعل : ܦܠܓ : falleg = قَسَّم . وزع . فَرَّق .
- ܦܪܝܟ : frīḥ = فريك (حبوب مفروكة) من الفعل : ܦܪܟ : frah = فرك . سحق .
- ܦܬܬܐ : fĕttā = فتة . فتات . كسرة . من الفعل ܦܬ : fat = فت . يفتُّ .
- ܨܡ : ṣām = صام – امتنع عن الطعام . ومنه : ܨܘܡܐ : ṣawmā = صوم . صيام ، ܨܝܡܐ = ṣyāmā = صائم . و ܨܘܡܐ = ṣawāmā = صوَّام . كثير الصوم .
- ܨܠܘܠܐ : ṣalūlā = صاف . رائق . فى العامين : ماء زلال . . .
- ܩܕܪܐ : kĕdrā = قِدرة أو قِدر : pot .
- ܩܘܪܣܠܐ : kūrṣlā = قرص زبدة . نقول فى العامية قُرْص كذا .
- ܪܘܐ : rwā = ارتوى . شرب : to drink ، ومنه : ܐܪܘܝ : >rwī = سقى . أروى . أسكر .
- ܪܙܩܐ : rĕzkā = رزق .
- ܫܠܩ : šlak = سَلَق : to kook ، ܫܠܝܩܐ šlīkā = مسلوق .
- ܫܡܝܢܐ : šmīnā = سمين . من الفعل : ܫܡܢ : šmēn = سَمِنَ ومنه : ܫܘܡܢܐ = šūmnā = سَمْن . دسم .

٥ - فى مجال الأسرة والمنزل

- ܐܒܐ : >aḇā = أب : father . والجمع : ܐܒܗܐ : >aḇāhē = آباء . والدان . أجداد .

والملاحظ أن الجمع يوضع فيه الهاء كما هو فى العامية «أبهات» أى : آباء

وهناك أيضًا : ܒܒܐ bābā = بابا baba .

- ܐܚܐ : >aḥā = أخ : brother .
- ܚܬܐ : ḥaṭā = أخت : sister .
- ܐܝܘܢܐ : >īwānā = إيوان . قصر : palace .
- ܐܝܩܘܢܐ : >īkūnā = أيقونة . تمثال : image .
- ܐܡܐ : >ĕmā ، ܐܡ = >ĕm = أم : mather .

ويلاحظ أيضًا أن جمعها ينطق فيه الهاء كما هو فى العامية المصرية والفصحى.فالجمع السريانى ܐܡܗܬܐ = أمهات .

- ܐܡܬܐ : >amtā = أَمَة . خادمة : maidservant .
- ܐܪܡܠܐ : >armĕl = أرمِل : widower . والمؤنث منه : ܐܪܡܠܬܐ : >armlaṭ .
- ܒܝܬܐ : Baytā = البيت ، ܒܝܬ : Bet = بيت house .
- ܒܢܝܢܐ : bĕnyānā = بنيان . عمارة : building من الفعل : ܒܢܐ : bna = بَنَى كَوَّن .
- ܒܪܐ : barrā = خارجًا عن : out تقابل بَرًّا بالعامية أى فى الخارج

ومنها : ܡܢ ܠܒܪ : mĕn lbar = أى من الخارج أو خــارجيًا.وهى تقابل فى العامية المصرية (مِن برّا) .

و ܒܪܢܝܐ : barrānāyā = خارجى (برانى . فى العامية) .

والمضاد لهذه الكلمة أيضًا يقابل مضادها فى العامية المصرية أيضًا :

- ܓܘܐ : gawā = داخل (فى العامية جُوَّا) أى بالداخل . ومنها : ܒܓܘ : bgaw ، ܡܢ ܓܘ : men gaw بمعنى بالداخل أو داخلاً (لجُوَّا . من جُوَّا) . ومنــها أيضًا : ܓܘܝܐ : gawāyā = داخلى (جُوَّانى بالعامية) .

وفى القاموس[1] : الجو: كل باطن غامض، والنسبة إليه بالألف والنون ، فيقال : جوانى .

وفى الحديث الشريف : (مَنْ أصلح جوانّية أصلح الله برانيَّة)[2] .

- و ܕܒܠܬܐ : dbaltā = دِبْلة (دبلة الخطوبة فى العامية) .
- ܕܗܒܐ : dahba = ذهب (فى العامية دَهَبْ) : gold .
- ܙܘܓܐ : zawgā = زوج : husband .

  و ܙܘܳܓܐ : zowāgā = زواج . عُرس .
- ܚܒܝܒ : habib = حبيب . عزيز (حبيب بالعامية) .

  و ܚܘܒܐ : hūbā = حُبّ love .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادى . ط . المطبعة المصرية ١٣٥٢ هـ.

(٢) انظر : د. عبد المنـعم سيد عبد العال . معجم الألفـاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربـية . مكتبة الخانجى . القاهرة ، صـ ١٨١ .

- ܚܒܠ : ḥbal = حملت . ولدت : to feel pains of childirth
  ونقول في العامية عن الحمْل : (الزوجة حِبْلت) بدل حَمَلت .
- ܚܢ : ḥan = حَنَّ . رحم . ترأف . أشفق على .
  ومنها : ܚܢܢܐ ḥannānā = حنَّان . رؤوف .
- ܝܬܡ : ytem ، ܝܬܡܐ yatmā = يتيم : orphan .
  والفعل : ܝܬܡ : yattēm = يِتَم . أيتم .
  و : ܐܬܝܬܡ : >etyatam = تيتم.
- ܟܘܢܝܐ : kūnāyā = تسمية (كنية) من الفعل : ܟܢܝ :
  kannī = سَمَّى . كنَّى .
- ܡܗܪܐ : mahrā = مَهْر : dowry .
- ܡܟܢܫܬܐ : mĕḫnastā = مكنَسَة ، ܟܢܫܐ : knāšā =
  كناسة . قمامة . من الفعل ܟܢܫ : knas بمعنى : جَمَعَ . كَنَس .
- ܡܫܟܢ : maškan = مسكن . خيمة : tent .
- ܥܒܕܐ : <abdā = عَبْد . slove, servant .
- ܥܠܝܡܐ : <laymā = شاب . غلام . خادم .
- ܦܢܣܐ : fānsā = فانوس . مصباح : lamp .

٦ - فى أعضاء جسم الإنسان وحواسه

- ܐܝܕܐ : >īdā = يد : hand : (إيد : فى العامية) .
- ܐܠܥܐ : >ēl<ā = ضِلْع : rib .
- ܒܙܐ : Bēzā = الثدى (بزّ) فى العامية .
- ܒܠܐ : Bālā = الباب ، يقولون : ܥܠ ܒܠܗ : <al Bālēh أى : على باله ، ܣܠܩ ܥܠ ܒܠܗ : slek <al Bālēh : أى : خطر على باله ، وهذا فى العامية المصرية .
- ܓܕܝܠܬܐ : gdīltā = جديلة صغيرة . خصلة شعر . ومنها الفعل المضَعَّف : ܓܕܠ : gaddēl = جدَّل . جدَلَ .
- ܓܠܕ : gēld = جلد : skin .
- ܓܢܒ : gnab ، ܓܒܐ : gabbā = جنب .
- ܓܪܚ : grah = جَرَحَ ، ܐܬܓܪܚ : >etgrēh = جُرِحَ . إنجرح .
- ܓܪܕܐ : grādā = أصلع . بدون شعر ، وتقال فى العامية المصرية : (أجرودى)[1] : أى بدون شعْر) .
- ܕܡܥܬܐ : dēm<tā = دَمْعة . من الفعل : ܕܡܥ : dm< أى : دَمَع ، أو دمَّع . دمعت عيناه .
- ܕܩܢܐ : daknā = لِحيَة (نقول فى العامية : دِئنة طويلة . نقصد لحيته) .

---

(١) أجرود : هو من لا ينبت له شعر فى عارضيه . معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية . صـ ١٥ .

- ܕܪܥܐ : drā<ā = ذراع : arm ونقولها فى العامية بالدال : دراع .
- ܗܢܐ : hnā = هنئ . لذَّ : to be pleasing .
- ܘܪܝܕܐ : warīdā = وَرِيد : Vein .
- ܚܢܟܐ : ḥĕnkā = فم : mouth ، حَنَك palate .
- ܚܪܝܐ : ḥeryā = خـراء . براز . excrement . واللفظ فى العامية مماثل تمامًا لهذا ، ويعرفه العامة .
- ܚܪܫ : ḥrĕš = خرس . سكت ، ܐܬܚܪܫ : <ethrĕš = إنخرس . إتخرس . لم ينطق .
- ܚܫ : ḥaš = حَسَّ بـ. شَعَرَ بـ. . .
- ܛܚܠܐ : ṭḥālā = طحال : spleen .
- ܛܝܙܐ : ṭizā = إِست . شَرَج : fundament : واللفـظ بمنطوقه السريانى موجود فى العامية المصرية .
- ܛܦܪܐ : ṭefrā = ظفر nail .

يقولون : ܡܢ ܛܦܪܐ ܪܗܝܛܬܐ : mĕn ṭefrā rḥīḥāṭā : أى من نعومة أظفاره .

- ܛܪܘܫܐ : ṭrōšā = أبكم . صامت . أطرش .
- ܟܘܝܒܐ : kūyābā = كآبة .
- ܟܒܕܐ : kbdā = كبد liver .
- ܟܘܠܝܬܐ : kūlītā = كلية kidney .

• ܟܚܬܐ : kaḥtā = نفس . Breath ومنه : تنفس . شهق . استنشق (كُحَّة . يكح فى العامية) .

• ܟܦܐ : kaffā = كَفّ . راحة اليد .

• ܟܪܣ : krēs = بطن (كرش بالعامية بنفس اللفظ السريانى) .

• ܟܬܦ : ktēf = كَتِف shoulder .

• ܠܒܐ : Lĕbā = قلب . روح . نَفْس .

• ܠܫܢ : Lĕšān = لسان .

• ܡܫ : māš = مِسَّ . لَمَسَ . جَسَّ .

• ܡܬ : māt = مات . فاضت روحه . ومنه :

ܡܝܬ : mīt = مَيِّت : ܡܘܬܐ : mawtā مَوْت .

و : ܒܪ ܡܘܬܐ : Bar mawtā = مآله الموت .

• ܡܚܘܛܐ : mḥūṭā = مخاط ganders .

• ܡܘܚܐ : mūḥa = مُخ . دماغ Brain .

• ܡܥܐ : m<ē = معى . وجمعها أمعاء intestine .

• ܡܥܨܐ : ma<ṣā = مغص colic .

• ܢܡ : nām = نام . ينام to sleep .

• ܢܘܪܐ : nūrā = نار . (نور) .

ومنها : ܡܢܪܬܐ mnārtā = منارة . شمعدان . مئذنة .

• ܢܚܒ : nḥab = نحف . صار نحيفًا .

ومنها : ܢܚܝܒܐ : nḥībā = نحيف .

- ܢܦܚ : nfaḥ = نَفَخ، ܐܬܢܦܚ = >etnafaḥ = انتفخ .
- ܢܦܩܐ : nefḳā = نفقة ، ܢܦܩܬܐ = nafḳātā = نفقات .
- ܢܦܫܐ : nafšā = نفس . روح . حياة شخص .
- ܢܨܬ ، ܐܨܬ : nṣet. >aṣet = نصت – أنصت .

أى أصغى أو أرهف السمع . أو استرق السمع .

- ܢܫܐ : nšā = نَسى . ܐܬܢܫܝ = أُنسى . نُسّى .

ومنه ܢܫܝ naši = نَسَّى . أنسى .

- ܢܬܥ : nta< = سحب . نزع (نتع) فاق ثقلاً .
- ܢܬܦ : ntaf = نتف . نزع ، ܢܬܦ = nattef = نتَّف .
- ܣܓܕ : sged = سجد . انحنى . خرَّ ساجداً .

ومنها : ܡܣܓܕ : mesgad = مسجد . سجود .

و : ܐܣܓܕ : Asged = أسجد . جعله يسجد .

- ܣܢܕܢܐ : sandānā = سندان الحداد anvil .
- ܣܥܪ : s<ar = شعر hair .
- ܣܦܬܐ : sĕftā = شفة ، ܣܦܐ : sfā = شفه Lip .
- ܥܘܪܐ : <wārā = عَوَر . عمى one - eyed state .

ومنها : ܥܘܝܪܐ : <wīrā = أعور، ܥܘܪ = <war = فقأ العين . أعمى.

- ܥܛܫܐ : <tāšā = عَطَس sneeze .
- ܥܝܢܐ : <aynā = عَيْن . eye . نبع (عين ماء) .

ومنه : ܡܥܝܢܐ : m<iā = عين . ينبوع . مَعِين .

- ܥܡܨ : <maṣ = أغمض جفون عينه . ومن هنا نقول عيونه معصمة أى معمصة من إفرازاتها . العُماص .
- ܥܪܩܘܒܐ : <arḳūḇā = عَرْقُوب tendon of Achilles .
- ܦܘܚܕܐ : fūḥdā = فخذ thigh .
- ܦܘܡܐ : fūmā = فَمْ . فُوَّهة . . .
- ܦܠܓܡܐ : flĕgmā = بلغم pituita (الكلمة من أصل يونانى).
- ܨܕܥܐ : ṣed<ā = صِدغ Temple .
- ܨܘܬܐ : ṣawtā = صوت sound .
- ܨܪܪܐ : ṣrārā = رباط . صُرَّة . (نقول فى العامية صِرار الوليد).
- ܩܘܠܘܢ : ḳawlūn = قَوْلون . معى غليظ colic .
- ܩܘܨܬܐ : kūṣtā = خِصلة من الشعر (بالعامية : قُصّه ، أُصة) .
- ܩܦܝܐ : ḳafyā = قفا nape (of the neck) .
- ܪܓܠܐ : Rĕglā = رِجل . foot ، ܐܬܪܓܠ : etrgel = تَرَجَّل .
- ܪܝܪܐ : rīrā = ريق . لعاب spittle .
- ܪܝܫܐ : rīšā = رأس بكل معانيها . . .

- ܪܐܬܐ : rātā = رئة (للتنفس) lung .
- ܫܡܥ : šma< = سمع . ومنها : ܡܫܡܥܬܐ = mašma<tā = أذن . إستماع .
- ܫܢܐ : šenā = سن . أحد الأسنان tooth .
- ܫܥܠ : š<al = سَعَلَ to cough .
  ومنه : ܫܥܠܐ = š<ālā = سعال cough .
- ܫܪܝܢܐ : šeryānā = شريان . نبض .
- ܬܕܐ : tedā = ثدى breast .

٧ - فى الملابس والأدوات

- ܒܙܥ : Bza< = مَزَّق . شَقَّ (فى العامية : مَزَّع ملابسه) .
- ܒܠܐ : Blā = بلى . عَتِقَ . إهترى . أُتلف . . للملابس وغيرها .
- ܚܝܛܐ : ḥyāṭā = خياطة . تخييط sewing .

  و : ܚܝܛ : ḥayĕt = خَيَّط . جمع . خاط .

  و : ܚܝܛܐ : ḥayāṭā = خياط : tailor .
- ܟܘܝܐ : kwāyā = كَى . كى الملابس وغيرها .
- ܟܚܠܐ : keḥlā = كُحل . خضاب kohl, paint .
- ܟܠܝܠܐ : klīlā = إكليل . تاج crown, diadem .
- ܟܘܪܣܐ : cūrrāsā = كراسة Booklet .
- ܟܫܟܘܠܐ : kaškūlā = كشكول olio.
- ܠܒܫ : Lbaš = لَبس ، ܠܒܫܐ : Lbasa = لباس .

  ملبس ، ܠܒܘܫܐ : Lbūsā = ملبس . لباس .
- ܡܛܠܬܐ : mṭaltā = مظلة : tent .
- ܣܢܕܠܐ : sandlā = نعل (صندل) .
- ܥܛܦܐ : <ṭāfā = معطف . لِبس .
- ܨܒܥܐ : ṣba<ā = صبغة . لون . من الفعل :

ܨܒܥ : ṣba< = صَبغ . لَوَّن . ومنه : ܨܒܥܐ ṣba<a = صَبَّاغ .

- ܩܕ : kad = قَدّ . قطع (فى العامية قَدّ ملابسه وغيرها . . .) .
- ܩܘܦܠܐ : kūflā = قِفل : loct .
- ܩܡܝܣܬܐ : kmīstā = قميص shirt .
- ܩܢܕܝܠܐ : kandīlā = قنديل . شمع . مشعل .
- ܩܢܥ : kna< ، ܩܘܢܥܐ : kūn<ā = قناع .

ومنه : ܡܩܢܥܬܐ : mekna<tā = قناع . حجاب . خمار veil .

ومنه : ܐܩܢܥ Akna< = ألبس المقنع أو القناع .

- ܩܨ : kas = قَصّ . حَلَق . جَزّ .
- ܩܪܘܫܐ : krūšā = قروش piastres .
- ܡܪܘܚܐ : marwhā = مروحة fan .
- ܪܘܡܚܐ : rūmhā = رُمح . حربة spear .
- ܡܪܙܦܬܐ : marzaftā = مرزبة . مطرقة hammer .
- ܪܚܝܐ : rahya = رحى . حجر الرحى (فى العامية رحاية) .
- ܪܛܠܐ : retlā = رطل (فى الموازين) .
- ܪܝܚܐ : rīhā = رائحة (فى العامية : ريحة) .
- ܫܠܚ : šlah = شلح (ثوبه) تعرى من (فى العامية شلّح هدومه)

ومنه ܡܫܠܚܐ = عارٍ . بلا رداء .

- ܫܪܒܠܐ : šarbālā = سروال .

- ܬܐܓܐ : tāgā = تاج . وأيضًا : ܬܐܓܐ = tāgā = تاج = crown .
- ܬܘܒܐ : tawbā = ثوب clothes ، فى العامية (توب) .
- ܓܘܪܒܐ : gūrbā = جورب من صوف .
- ܡܐܠܐ : mālā = مال mony .
- ܡܢܕܝܠܐ : mandīlā = منديل . كفن .

٨ - ألفاظ عامة مشتركة بين السريانية والعامية المصرية مرتبة ترتيباً أبجدياً

(ܐ - أ)

- ܐܓܪܐ : >grā = أجرة . ثمن . من الفعل : ܐܓܪ >ēgar = أجَّر ، ܐܬܐܓܪ >etēgar استأجر . (نلاحظ هنا الجيم القاهرية) .
- ܐܕܪܟ : adrēḥ = أدرك . أمسك . لحق بـ . . . .
- ܐܘܐ : >ēwā = وافق ، تقابل فى العامية المصرية كلمة «أيْوَه»(١) يعنى : أنا أوافق ، نعم .
- ܐܡܬ : >ēmat = مَتَى ، تقابل كلمة «إمتَا» بالعامية بمعنى متى ؟ فى أى وقت ؟
- ܐܣܦܝܢܐ : >esfinā = إسفين wedge .
- ܐܫܪ : >ašar = ثبّت . أقام . قال الحق . أمّن (وفى العامية تقول أشرّ على الطلب . أى وافق عليه وأقره. . .) .
- ܐܘܗ : >ūh = آه (كلمة توجع فى العامية . . .) .

---

(١) «أيْوَه» : هى فى العامية المصرية حرف جواب ، وتقال آه - عند تذكر الشىء بعد نسيانه ، أو فهمه بعد استغلاقه عليه كأنها اسم فعل لـ : تذكّرت أو عرفت . انظر :

- معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية . تأليف : أحمد تيمور جـ ٢ - صـ ٣ ، صـ ٩٢ .
- معجم عطية فى العامى والدخيل . تأليف الشيخ رشيد عطية صـ ١٢ ، صـ ١٣ .

- ܐܘܚ : >ūḫ = آخ(1) (كلمة توجع أيضًا . . .) .
- ܐܙܠ : >ezal = ذهب . زال .
- ܐܠܐ : >elā = إلا (للاستثناء فى العامية والفصحى . . .) .
- ܐܡܝܪܐ : >amīrā = أمير .
- ܐܢ : >ēn = إنْ ، إذا .
- ܐܫܟܦܐ : >eškāfā = إسكافى : shos - maker .
- ܐܣܝܪܐ : >asīrā = أسير captive .
- ܐܬܐ : >ēṯā = أتى . جاء . وصل .
- ܐܬܪܐ : >aṯrā ، >atar = أثر . مكـــان . موضـــع (تقول فى العامية : مُتَقَصِّى الأثر أو الأتر . . .) .

(ب - ܒ)

- ܒܒܘܣܐ : babūsā = صبى صغير (فـى العامية : بُبِّص أو ببسّ) أى : little boy
- ܒܚܪ : Bḥar = فحص . امتـحن (فى العاميـة : بِيبَحَّر فيه . أى يتفحصه بالنظر .
- ܒܛܠ : btēl = بَطِلَ . تفرغ ، ومنها batlana = بطـالة . فضــاوة . بطــلان ، batel = بَطَّل . أوقـف ، batala = بَطَّال . كسلان .

---

(1) آخ : كلمة توجع . هى من الألفاظ المشتركة فى أكثر اللغـات على صور متقاربة . معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية . ص ٣ .

- ܒܟܐ : bkā = بَكَى : To weep .
- ܒܰܠܒܶܠ : balbēl = خلط . بَلْبَلَ ، ܐܬܒܰܠܒܰܠ
etbabal = تبلبل . اختلط ، ܒܘܼܠܒܳܠܳܐ : būlbālā = بلبلة . اختلاط .
- ܒܪܶܟ : breḫ = برك . ركع . جثا ، ܐܰܒܪܶܟ : abrĕḫ
= أبرك . أركع .
- ܒܪܰܩ : brak = بَرَقَ . لمع (نقول فى العامية : بيبْرق . بيلْمع) .
- ܒܰܪܩܳܐ : barkā = البرق . الصاعقة .
- ܒܬܘܼܠܳܐ : btūlā = ، ܒܬܘܼܠܬܳܐ : btūltā = بتول . أعذب .
عذراء ، ܒܬܘܼܠܘܼܬܳܐ : btūlūṯā = بتولية . عفة .
- ܒܳܬ : baṯ = بات (ليلته) to pass the night .
- ܒܰܪܕܳܐ : bardā = بَرْد : hail .

ܓ (ج)

- ܓܒܳܐ : gbā = جبا (الضريبة) ، ومنه : ܓܰܒܳܝܳܐ :
gabbāyā = أى : جابى (الخراج) .
- ܓܰܙܘܼܪܳܐ : gazūrā = جزار : butcher .
- ܓܳܙܰܪܬܳܐ : gāzartā = جزيرة : island .
- ܓܰܝܣܳܐ : gaysā = جيش : army .
- ܓܠܳܐ : glā = جَلَى . كَشَفَ . أعلن ، ومنها :
ܡܓܰܠܘܼܢܳܐ : mgalūnā = كتاب صغير . مِجَلَّة .

- ܓܘܡܪ̈ܐ : gumrē = جمرات ، ومفردها : ܓܡܘܪܬܐ : gmūrtā = جمرة . فحمة . lire coal .
- ܓܢܙ : gnaz ، ܓܢܝܙܐ : gnīza : خفى . مجهول . غير منظور . مكنوز ، كنز ، ومنه: ܐܓܢܙ : >agnēz = خبأ كَنَزَ .
- ܓܥܐ = فاه بـ . تقيـأ . مَجَّ : والمعنى معروف فى العامـية عندما يخرج الإنسان الغازات من أسفل .
- ܓܪ : gar = سَحَبَ . جَرَّ . نـزع . ومنـه : ܓܪܓܪ : gargar = جَرْجَرَ ، ܐܬܓܪܓܪ : >etgargar = تجرجر (إتجرجر) .
- ܓܪܒܐ : grābā = جراب - وعاء من الجلد .
- ܓܪܦ : graf = جَرَفَ ، ومنها : ܡܓܪܦܬܐ = ملعقة . spoon وفى العامية نقول على الملعقة الكبيرة (مغرفة . . . .) .
- ܓܫ : gaš = جَسَّ . لَمَسَ ، ومنه : ܓܫܘܫܐ : gasusa = جسَّاس

(ܕ - د)

- ܕܒ : dāb = ذاب. سال. وفى العامية المصرية نقول (داب السكر).
- ܕܒܚ : dbaḥ = ذَبَحَ (دَبَحَ. بالعامية) الذال قُلبت دالاً . ومنها : ܡܕܒܚܐ : madbaḥ = مذبح (مَدْبَح . بالعامية) .
- ܕܒܩ : dbak = لزق بـ . اتحد بـ (ونقول فى العامية : يدبأ له . أى يلتصق به ولم يفارقه) .
- ܕܓܠ : dagēl = كذب : to lie ، خدع : to declare liar ونقول فى العامية : (فلان دَجَّال بيَدجِّل) أى يمارس الكذب والخداع .

- ܕܒܪ : dabbar = دَبَّر to direct administrate .
- ܕܗܢ : dhĕn = سَمِنَ to grow fat .
- ܕܚܐ : dḥā = دفع . دحق (زاح بالعامية) .
- ܕܝܦܬܪܐ : dīftrā = دفتر الحساب : account - book (يونانية الأصل) .
- ܕܝܢܐ : dayānā = دَيَّان . من الفعل : ܕܢ : dān = دان : عَدَلَ .
- ܕܪ : dār = سكن ، ܕܘܪܐ : dawārā = مسكن ونقول فى العامية : دَوَّار العمدة . أى مسكنه ومقر إقامته .
- ܕܪܓܐ : dargā = درجة . وظيفة . رتبة .
- ܕܫ : dāš = داس . دهس To tread, Trample on .
- ܕܟܪ : dḥar = ذكر . مذكر male, masculine .
- ܕܡ : dĕm ، ܕܡܐ : dmā : دَمٌ : blood .
- ܕܦܐ : daffā = لوح سميك (دَفَّة المركب فى العامية) .
- ܕܩ : daḳ = دَقَّ . سَحَقَ : To pound .

ومنه: ܕܩܝܩܐ : dḳīḳā = دقيق . صغير small .

- ܕܩܪ : dḳar = نطح . ضرب . دقر (فى العامية دأر يدأره . أى ينطحه أو يضربه .

(ܗ - هـ)

- ܗܢܐ : hnā = هنئ . لَذَّ To be pleasing .

نقول فى العامية (بالهنا والشفا . . .) .

- ܗܘܦܐ : hawfā = نفخة . breath . رائحة smell .

ونقول فى العامية عندما نشم ريحًا معينًا : هُوف . وهى أيضًا بمعنى : دخان . بخار ، وفى العامية نقول هايف ، كلام هايف ، تعرف الهايف من كلامه .

(ܘ - و)

- ܘܙܝܪܐ : wazīrā = وزير ، ܘܙܝܪܘܬܐ : waziruta = وزارة .

- ܘܠܐ : wālē = يليق . يجب .

نقول فى العامية (أوْلىَ لك أن تفعل كذا . . أى يجب أو يليق) .

- ܘܥܕܐ : wa<dā = وعد . ميثاق . مدة معينة . أجل .

(ܙ - ز)

- ܙܒܘܢܐ : zābūnā = مبتاع buyer .

ونقول فى العامية : «زبون» أى مشترى .

وهى من الفعل ܙܒܢ zban : اشترى .

- ܙܓܘܓܝܬܐ : zgūgītā = زجاجة : glass .
- ܙܓܪ : zgar = منع . أسكت (زَجَرَ)

ܐܙܕܓܪ = انسد (إزدجر) .

• ܙܕܩ : zaddek = صَدَّق . صادق على .

ܙܕܝܩܐ : zaddīkā = صِدِّيق : just .

• ܙܗܐ : zhĕ = بهى . جمل : ܙܗܝ : zahē = جعله بهيا ،

ܐܙܕܗܝ : >ezdhī = أصبح بهيا .

ونقول في العامية (القماش لونه زاهي . أي بهي وجميل) .

• ܙܘܝܬܐ : zawītā = زاوية . قرنة ongle, corner .

• ܙܚ : zāḥ = تحرك . ابتعد . ونقول في العامية (زاح الشيء حركه وأبعده) .

• ܙܘܪܩܐ : zūrkā = قارب . (زَوْرق) .

• ܙܝܦ : zīf = بهتان falsity . مكر : fraud . كذب Lie ونقول عن الكذب : زَيْف .

ܙܝܦ : zayĕf = زَيَّف To falsity .

• ܙܟܐ : zkā = طهر . برؤ . زكا . تزكى .

• ܙܠ : zall = زَلَّ . To be slip .

: zalila = حقير . صغير (زليل . بالعامية) .

• ܙܦܪ : zfar = نتن To stink ، ܙܦܪܐ : zafra = نتن stinking

ويقال عن النتانة في العامية (زفارة) .

• ܙܢܐ : znā = زنى .

• ܙܥܙܥ : za<zē< = زعزع . حَرَّك . هَزَّ . رَجَّ .

• ܙܥܩ : z<ak = صرخ (زعق) To cry out

ܙܥܩܬܐ : z<akta = صراخ (زعيق) .

(ܚ - ح)

- ܚܒܝܒ : ḥabib = عزيز . (حبيب) . صديق .
- ܚܒܛ : ḥbaṭ = خبط . قطع . كسر . دَقّ .

  ܐܬܚܒܛ : >ethbet = انخبط (إتخبط) .
- ܚܒܠܐ : ḥablā = حبل cord .
- ܚܒܪܐ : ḥĕbrā = حبر ink .
- ܚܒܫ : ḥbaš = حَبَّس : To clositer ، حَجَزَ : keep back ، ܚܒܝܫܐ : hbīsā = حبيس .
- ܚܓ : ḥag = حَجّ : piligrimage to mecca .
- ܚܝܪ : ḥyar = حَجَرَ . منع To restrain .
- ܚܕܬ : ḥaddaṭ = حَدَّث . جَدَّد . جعله حديثًا .
- ܚܛ : ḥāṭ = خاط . يخيط ، ܚܝܛܐ : ḥayāṭā = خياط .

  ܚܝܛ : ḥayēt : خيط . جمع وخاط .
- ܚܣ : ḥās = ترفق (حاسب . بالعامية) .
- ܚܣ : ḥās = حاشا ، ܚܣ ܠܢ hās lan = حاشا لنا أن . . .
- ܚܘܦܢܐ : ḥūfnā = حفنة (حفان . بالعامية) .
- ܚܘܨܐ : ḥūṣĕ = خوص .
- ܚܙܩ : ḥzak = أحدق بـ . أحاط بـ (فى العامية تقال : خزئتك : أى أحطت بك أو أحدقت بك) .

• ܚܛܐ : ḥṭā = أخطا ، ܚܛܳܝܳܐ : ḥaṭāyā = خاطئ .

ܚܛܺܝܬܐ : ḥṭītā = خطيئة .

• ܚܛܦ : ḥṭaf = إختطف . اغتصب ، ܐܶܬܚܛܶܦ : <eṯḥṭef

انخطف . (إتخطف) .

• ܚܰܝܠܐ : ḥaylā = قوة . مقدرة . طاقة (حيل . فى العامية) فيقال :

حيلى مهدود ، أى : انهارت قوتى . .) .

• ܚܰܟ : ḥak = حَكّ . itch ، فَرَكَ To rub .

• ܚܠܛ : ḥlaṭ = خَلَطَ : To mingle .

ܐܶܬܚܠܶܛ : >eṯḥleṭ = انخلط . اختلط

ܚܰܠܶܛ : ḥalleṭ = خَلَّطَ . To mix .

• ܚܠܡ : ḥlam = حلم To dream .

الاسم : ܚܶܠܡ : ḥelm : dream .

• ܚܠܺܝܦܬܐ : ḥlifta = خليفة caliph .

وهناك أيضًا : ܚܠܺܝܦܐ = ḥlifah : خليفة .

• ܚܶܢܐ : ḥenā = حِنَّة - حناء (وهى بالعامية : حِنَّة) .

• ܚܢܛ : ḥnaṭ = حَنَّط (ميتًا) ، ܚܽܘܢܳܛܐ : ḥūnāṭā = تحنيط .

• ܚܢܩ : ḥnak = خنق ، ܐܶܬܚܢܶܩ : >eṯnēk = انخنق .

وفى العامية (إتخنق) ، ܚܢܩ ܢܰܦܫܶܗ = ḥnak nafšeh خنق نفسه .

• ܚܶܣܢܐ : ḥesnā ، ܚܶܨܢܐ : ḥēṣnā = حصن . قلعة .

- ܚܣܪ : ḥsar = خسر To lose .

  ܚܣܪ : ḥassar = خَسَّر . أضر . أغرَم .

- ܚܦܪ : ḥfar = حَفَرَ To dig ، ܐܬܚܦܪ : >etḥfĕr = إنحفر (إتحفر بالعامية)، ܚܦܪܐ : ḥefrā = حفرة .

- ܚܨܪ : ḥassar = حاصرَ To besiege (فى العامية : حَصَر) .

- ܚܪܪ : ḥarrĕr = حَــرَّر . أعتق ، ܐܬܚܪܪ : >etḥarrar = تحرر . وتقول فى العامية (إتحرر) .

- ܚܘܪܦܐ : ḥūrfā = حَد . حرف، ܚܪܦܐ : ḥerfā = شفرة .

- ܚܬܡܐ : ḥatmā = خاتم seal (من الختم أو التوقيع) .

  ܚܬܡ : ḥtam = خَتَمَ . أنهى .

  ܚܬܡܐ : ḥtāmā = رسم . ختم .

(ܛ - ط)

- ܛܒܚܐ : ṭabāḥā = طَبَّاخ : cook .

- ܛܒܠܐ : ṭablā = طَبْل Tambourine

  من الفعل : ܛܒܠ : ṭbal = طَبَّل To drum .

- ܛܒܥ : ṭba< = ختم : To seal ، ومنها : ܛܒܥܐ = Ṭab<ā ختم : seal .

- ܛܘܒܐ : ṭūbā = طوبى . غبطة . سعادة . خير . ثمر . تقول : (طوبى لك . وطوبى لنا . . .) .

- ܛܘܦܢܐ : ṭūfānā = طوفان : deluge .
- ܛܘܪܝܩܐ : Ṭūryākā = ترياق : Theriac (يونانية) .
- ܛܪ : ṭār = طار . يطير To fly .
  ܛܝܪ : ṭayar = طَيَّر To make fly .
- ܛܠܠܐ : ṭelālā = ظِلّ : Shade ، والفعل : ܛܠܠ : Ṭallel = ظَلَّل .
- ܛܠܐ : ṭallā = طَلّ . ندى : dew .
- ܛܠܡ : ṭlam = ظلم . أذى ، ܛܠܘܡܐ : ṭālūmā = ظالم .
- ܛܦܫ : ṭfaš = طفش . تخبأ To hide oneself .
- ܛܪܕ : ṭrad = طَرَد To expel .
- ܛܪܛܫ : ṭarteš = وَسَّخ To soil .

ونقول فى العامية (طين الشارع طرطش على هدومى) أو وَسَّخها .

(ܛ - ܝ)

- ܝܒܫ : ybeš = يَبِسَ . تجفف ، ܝܒܫ : yabeš : يَبَّس . جَفَّفَ .
- ܝܘܡ : yūm = يوم : day (هى فى العام يُوم وليس يَوْم)
- ܝܡܝܢܐ : ymīnā = يمين right .
- ܝܩܪ : yakar = وَقَّرَ To pay honour .
- ܝܪܬ : yret = ورث : To inherit
  ܝܪܬ : yāret = وارث : heir .
  ܐܘܪܬ : <awret = أورث : To make inherit of .

(ܟ - ك)

- ܟܰܕܶܒ : kaddeb = كذب . كَذَّب (كدَّب . فى العامية بالدال) .
  ܐܶܬܟܰܕܰܒ . تكذب (إتكدَّب . بالعامية) .
- ܟܘܳܐ : kwā = حرق (كَوَى) To burn
  ܐܶܬܟܰܘܺܝ : >etkawī = احترق (إتكَوَى) .
- ܟܬܳܒܳܐ : ktābā = كتاب = book = كتابة . خط .
  من الفعل : ܟܬܰܒ : ktab = كتب To write .
  ܐܰܟܬܶܒ : >ahteb = أكتَبَ . كتَّب . أملَى .

(ܠ - ل)

- ܠܳܐ : Lā = لا . not. no . . .
  ܠܳܐ ܚܰܕ : Lā had = لا أحد (فى العامية : لا حَد) .
- ܠܰܓܠܶܓ : Lagleg = لجلج : To stammer .
  ܠܽܘܓܠܳܓܳܐ : Lūglāgā : لجلجة .
- ܐܶܬܠܰܗܠܰܗ : >etlahlah = اندهش To be stupefied .
  وتقال فى العامية (إتلهله أى انخبل . اندهش . . .) .
- ܠܶܗܬܳܐ : Lēhtā = لهاث ، هواء كثيف
  ܐܰܠܗܶܬ = >alhēt = نهج To pant ، ألهث .
- ܠܽܘܚܳܐ : Lūhā = لوح . طاولة . Table .
- ܠܺܝܛܽܘܬܳܐ : Lītūtā = فاحشة (لواط) .

• ܠܙ : Laz = دفع . ضغط (فى العامية نقول : لزّه . أى ضغطه) .

• ܠܛܫ : Lṭaš = سَنَّ . صقل . حث .

ܠܛܫ ܥܠ : Lṭaš <al = افترى عليه . .

وفى العامية (لطشه أى ضربه بإفتراء أو افترى عليه) .

• ܠܝܬ : Layṯ = ليس . وهى تتكون من ܠܐ = لا + ܐܝܬ = يوجد .

La + <it = بمعنى لا يوجد

• ܠܠܝ : Laylay = ليلاً night ، وهى من : ܠܠܝܐ

Lelyā = ليل .

• ܠܡ : Lam = لَمَّ . جَمَعَ .

• ܬܠܡܝܕܐ : talmīdā = تلميذ

ܐܬܬܠܡܕ : >attalmad = تتلمذ .

• ܠܡܦܝܕܐ : Lampīdā = قنديل . مشعل (لَمْدة بالعامية) .

• ܠܣܛܐ : Lēsṭā = لص . سارق .

(ܡ - م)

• ܡܓܢ : magān = مجانًا gratis .

• ܡܕܪܫܬܐ : madraštā = مدرسة School .

• ܡܗܝܪܐ : mhīrā = ماهر : skilful .

• ܡܚܪܒ : meḥrāḇ = محراب .

• ܡܛܪܐ : mēṭrā = مطر rain ، ܡܛܪ : mṭar = مَطَّر

و : ܡܛܝܪܐ : mṭīrā = مطير . مُمْطِر : rainy .

و : ܐܡܛܪ : amṭar : أمطر . مَطَّر .

- ܡܝܕܢ : maydān = ميدان square .
- ܡܝܠܐ : mīlā = ميل : mile .
- ܡܟܘܟܐ : makūka = مكوك .
- ܡܠܠܚܐ : mllāḥā = مَلاَّح . بحار sailor .
- ܡܠܛ : mlaṭ = دهن . طلى . (مَلَط بالعامية) .
- ܡܢܫܘܪ : manšūr = منشور . مرسوم .
- ܡܥܨܪܬܐ : ma<ṣartā = معصرة .
- ܡܥܪܬܐ : m<artā = مغارة : cava .
- ܡܫܚ : mšaḥ = مَسَحَ = قاس ، ܡܫܘܚܐ : māšūḥā = مَسَّاح .
- ܡܬܠܐ : maṯlā = مَثَلَ . تشبيه . قصة . مثل سائر .
- ܡܬܟ : mtaḳ = مَصَّ . بلع . استنشق : ܐܬܡܬܟ >eṯmtēḳ = جعله يمص . (فى العامية يتمتگ . . .) .

(ܢ - ن)

- ܢܓܪܐ : nagārā = نَجَّار . من الفعل : ܢܓܪ : naggar = نَجَّر .
- ܢܕܪ : ndar = نذر (نَدَّر بالعامية) .
- ܢܚܫܐ : nḥāšā = نحاس . فلز . ومنها : ܢܚܫܬܐ

= nḥāšāyā = نحاسي . فلزي .

• ܢܘܣܚܐ : nūsḥā = نُسخة = copy .

من الفعل : ܢܣܚ : nsaḥ= نَقَل . نَسَخ .

• ܢܦܛܐ : nfāṭā = نفاية . قذارة .

• ܢܦܛܐ : nĕfṭā = نفط .

• ܢܦܨ : nfaṣ = هزّ . نَفَض ، ܢܦܨ : naffēṣ =
هَزَّ . أسقط . حرر . نَفَّض .

• ܢܨܒ : nṣab = نصَب . أقام . أسس . أوجد .

• ܢܩܒ : nḳab = نقب . ثقب . حفر .

ܢܩܒܐ : nĕḳbā = ثقبه .

• ܢܩܝܒܐ : nḳībā = نقيب . حاكم . رئيس .

• ܢܩܡ : nḳam = نقم ، ܐܬܢܩܡ : >etnaḳam = أخذ الثأر .
انتقم.

ܢܩܡܬܐ ، nĕḳmtā ܢܩܡܬ : nĕḳmaṯ = انتقام

• ܢܩܘܫܐ : nāḳušā = ناقوس .

(ܣ - س)

• ܣܛ : saṭ = إحترق . شاط .

• ܣܝܓܐ : syāgā = سياج .

• ܣܘܠܛܢ : sūlṭān = سُلطان .

- ܣܛܢܐ : sāṭānā = شيطان .
- ܡܣܟܝܢܐ : mĕskīnā = مسكين . تعيس . فقير .

ܐܬܡܣܟܢ : >etmaskan = تمسكن . تَضَعَّفَ .

- ܣܟܪ : sakkar = سَدّ (سكّر الباب أى أغلقه) .
- ܣܠܐ : salā = سَلَّة basket .

ܣܠܬܐ : saltā = سلة .

- ܣܦܝܢܬܐ : sfīttā = سفينة ship .
- ܣܦܣܪܐ : safsārā = سمسار broker .
- ܣܪܕܒ : sĕrdāḇ = سرداب . قبو cellar .
- ܣܪܩܝܐ : sarḳāyā = شرقى .
- ܣܬܘܝܐ : satwāyā = شتوى .

ܐܣܬܝ : astī : اشتى . شتا .

- ܣܬܪܐ : sĕtrā = سرّ . ܒܣܬܪܐ = سراً . فى السرّ .

(فى الستر . عكس العلن) .

ܣܬܪ : star : اخفى . ستر

(ܥ - ع)

- ܥܒܪ : <bar = عَبَرَ . مَرَّ . احتاز .

ܡܥܒܪܐ : ma<brā = معبر . عبور .

ܐܥܒܪ : >a<bar = أعبر . سمح بالعبور .

- ܥܕܐ ܥܠ : <dā <al = عَدا على rush at .
- ܥܕܠ : <addĕl = عدل ، ܬܥܕܝܠܐ : Ta<dīl = تعديل .
- ܥܕܢ : <dĕn = عدن . فردوس .
- ܥܗܪܐ : <āhrā = عاهر lustful .
- ܥܘܪܐ : <wārā = أعمى blind .

ܥܘܝܪܐ : <wīrā = أعور

ܥܘܪ : <war = فقا (العين) أعورها

- ܥܙܠܐ : >ĕzlā = غزل . خيوط ، ܡܥܙܠܐ : ma<zālā = مغزل .
- ܥܛܪܐ : <aṭārā = عطار .
- ܥܝܛ : <ayĕṭ = أغاظ ، ܥܝܛܐ : <ayāṭā = سريع الغضب .
- ܥܝܡܐ : <aymā = غيم : cloud .
- ܥܠܬܐ : <eltā = عِلَّة . سبب . حجة .

ܐܥܠ : >a<el = أغل . أثمر .

- ܥܠܝܐ : <elāyā = عالى (المقام) . سامى . رفيع الشأن .
- ܥܠܡܐ : <ālmā = عالم . دهر . أبدية .

ܥܠܡܝܐ : <ālmāyā = علمانى . أرضى .

- ܥܡܨ : <maṣ = أغمض (عينيه) To close (eyes) .
- ܥܡܩ : <maḳ = عمق To be deep ، ܥܘܡܩܐ = <ūmḳā = عمق . سماكة ، ܥܡܝܩܐ : <mīḳā = عميق .

- ܥܢܝ : >anī = غَنَّى . بدأ باللحن .
- ܥܢܐ : >nā = اعتنى بـ .
- ܥܣ : <ass = غَشَّ To deceive .
- ܥܣܟܪ : >askar = عسكر army .
- ܥܦܪܐ : <afrā = غبار . تراب (عفار بالعامية) dust .
- ܥܨܒܐ : <ṣabā = عصابة . رباط .
- ܥܨܝܢܘܬܐ : <esyānūtā = عصيان revolte .
- ܥܨܪ : <ṣar = عَصَرَ : ܐܬܥܨܪ = >et<ṣer = عُصر . إنعصَرَ .
- ܥܪܒ : <rab = غربت (الشمس) ܥܪܒ ܥܪܒܐ <rābā = غروب

  ܡܥܪܒܐ : ma<rbā = مغرب .
- ܥܪܒܘܬܐ : <arbūtā = عربون . رهن . كفالة .
- ܥܪܒܠ : <arbĕl = غربل To sift .
- ܥܪܡ : <ram = – = تكوَّم ، ܥܪܡܐ = <arma = كومة .

  وتقال فى العامية لكومة محصول القمح : عُرْمَة .
- ܥܪܥܪ : <ar<ar = غرغر To gargle .
- ܥܪܨ : <raṣ = عَرَض (على) Too happen (to) .
- ܥܬܩ : <tĕk = عَتَقَ . شاخ . تقدم (فى السن) .

  ومنها : ܥܬܝܩܐ : عتيق . قديم . شيخ old man .

(ܦ - ف)

- ܦܰܕܳܢܳܐ : faddānā = فَدَّان acre .
- ܦܘܚܳܐ : fūḥā = رائحة (نقول : ريحة فايحة) .
- ܦܘܪܢܳܐ : fūrnā = فُرن (يونانية) .
- ܦܰܚܳܐ : faḥā = فخ . شَرَك snare .
- ܦܰܚܳܪܳܐ : faḥārā = فخار . خزف .
- ܦܚܰܬ : fḥat = فحت . ثقب ، ܦܶܚܬܳܐ fĕḥtā = جب . هوة (فُحته . بالعامية) .
- ܦܘܠܳܙ : fūlaz = فولاذ .
- ܦܛܶܢ : ftĕn = فطن . فهم .
- ܦܛܶܢܘܬܳܐ = ftenūta = فطنة . ܦܛܺܝܢܳܐ : ftīnā = فطِن . بصير

ومنها أيضًا : ܦܶܛܢܳܐ : fetna = ذكاء . فطنة .

- ܦܠܳܐ : flā = فَلَّى . فتش ، ܦܰܠܺܝ : Fallī = فَلَّى . فتش .
- ܦܠܰܓ : flag = قسم . فرق . (فلگ . بالعامية) .
- ܦܠܰܚ : flaḥ = فَلَحَ . حَرَث . اشتغل ومنها :

ܦܰܠܳܚܳܐ : fallāhā = عامل . فلاح . حارث .

- ܦܠܰܛ : flat = أفلت من . هرب من .
- ܦܠܳܢ : flān = فُلان .
- ܦܶܣܦܣܳܐ : fesfsa = حصاة صغيرة (فى العامية : فسفوسة) .

- ܦܩܕ : fḳad = فتّش . تفقد .
- ܦܩܝܪܐ : faḳīrā = فقير .
- ܦܩܥ : fḳa< = فقع . خرق .
- ܦܩܪܬܐ : fḳartā = فقرة . جمعها : فقرات .
- ܦܪ : far = فَرَّ . هرب . . مضى .

ومنها : ܐܬܦܪܦܪ : >etṯfarfar = أسلم الروح

ونقول فى العامية (فرفر . . .) .

- ܦܪܛ : frat = حطم . قسم . شق (فَرَّطَهُم. . .) .
- ܦܪܟ : frak = فَرَكَ . سحق .
- ܦܪܡ : fram = فَرَمَ To hack .
- ܦܪܣ : fras = فرش . بسط . مَدَّ . .

وهناك أيضًا : ܦܫܛ : fšat = بسط . مَدَّ .

- ܦܪܘܩܐ : fārūḳā = مخلص . محـرر (الفـاروق . يطلقونها على عُمر بن الخطاب لأنه خلص النصارى من ظُلم الرومان . . .) .

وهى من الفعل : ܦܪܩ : fraḳ = أبعد . أنقذ . خلَّص . فدى .

- ܦܬܚ : ftaḥ = فَتَح .
- ܦܬܠ : ftal = فَتَلَ ، ܦܬܝܠܐ : ftila = فتيل .
- ܦܬܢܐ : fĕtnā = فتنة . شغب . اضطراب tumulte .
- ܦܬܩ : ftaḳ = فتق . فجر To burst .

• ܦܬܫ : fattes̆ = فتّش : search, to rummage .

• ܨܘܠܚܐ : sulha = صُلح . معاهدة .

• ܨܘܪܬܐ : ṣurtā = صورة . شكل . مثال image, form, type .

• ܡܨܛܒܬܐ : masṭabtā = درجة . منبر . طاولة . (وفى العامية : مصطبة) وهى تقال على مصاطب الأبنية الهرمية القديمة وأيضًا (المصطبة المعروفة فى ريف مصر للجلوس عليها) .

(ܨ - ص)

• ܨܠܠܐ : ṣlālā = رنين ringing (صليل . . .) .

• ܨܠܒ : ṣlab = صَلَب To crucify .

ܨܠܝܒܐ : ṣlibā = صليب cross .

• ܨܢܕܘܩ : ṣanduk = صندوق chest. box .

• ܨܦܝ : ṣaffi = صفّى To filter .

• ܨܪܦܐ : ṣarāfā = صرّاف mony changer .

(ܩ - ق)

• ܩܒܪܐ : ḳabrā = قبر grave .

ومنها الفعل : ܩܒܪ : ḳbar = قبر To bury

و ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ : Baet ḳbūrā = مقبرة . مكان القبور

• ܩܕܡ : ḳdām = قبل (قُدّام) befor .

ومنها : ܡܢ ܩܕܝܡ = mēn ḳdīn = من قديم . سابقًا . قديمًا

• ܩܡ : ḳām = قام . وقف . . . بكل مشتقاته وأوزانه . . .

ܩܐܡ = ḳā>ĕm = قائم . حاضر ، ܩܝܘܡܐ = ḳāyūmā =
حاكم . مدبر . مراقب (قيوم) .

ܩܝܡܐ : ḳyāmā = قيام . موقف

ܐܩܝܡ : >aḳīm = أقام . أوقف . نصب . بعث .

• ܩܛܡ : ḳṭam = قطم : To cut .

• ܩܛܥ : ḳṭa< = قطع . ܩܛܥܐ ḳĕṭ<ā = قطعة .

• ܩܠ : ḳal = قَلَّ . خَفَّ . ܩܠܝܠܐ : ḳlīlā = خفيف . قليل .

• ܩܠܐ : ḳlā = قلى . شوى . ܩܠܝ : ḳallī = قَلَى .

• ܩܠܝܡܐ : ḳlīmā = إقليم . منطقة .

• ܩܠܥܐ : ḳel<ā ، ܡܩܠܥܐ : maḳla<ā = مقلاع sling .

• ܩܠܥܐ : ḳal<ā = قلعة fortress .

• ܩܡܛ : ḳmaṭ = رَبَطَ . شدَّ (قمط بالعامية فى المعمار . .) .

• ܩܢܐ : ḳnā = قنى . اقتنى . مَلَكَ .

ܐܩܢܝ : >aḳnī = أعطى . أقنى . أنال . . .

• ܩܢܘܢܐ : ḳānūnā = قانون . نظام . قاعدة .

• ܩܦܠܐ : ḳāflā = قافلة .

• ܩܪܚܐ : ḳrāhā = مبقع spotted .

ونقول فى العامية : (الجلبية مقرَّحة أى شديدة الاتساخ ومبقعة) .

• ܩܪܛ : ḳraṭ = قرض To gnaw (ونقول فى العامية قرض وقرَط).

وهناك : ܩܪܛܡ :: ḳarṭem = قطع To cut

ونقولها فى العامية قرطم (أرطم) .

• ܩܪܝܬܐ : ḳrīṯā = قرية Village .

• ܩܪܨ : ḳraṣ = قَرَص To sting .

ܩܪܨܝܐ = ḳarṣāyā = برد قارص .

• ܩܫܝ : ḳašī = قَسَّى . قسا ، ܐܩܫܝ : aḳšī = قسَّى . صَلَّب .

(ܪ - ر)

• ܪܓܐ : rgā = رجا - رغب To hope, desire .

• ܪܓܡ : rgam = رَجَمَ ، ܪܓܝܡܐ : rgīmā = رجيم ، واجب رجمه .

• ܪܘܚܢܐ : rūḥānā = روحانى spiritual .

ܪܘܚܢܘܬܐ : rūḥānūṯā = روحانية .

• ܪܘܥܬܐ : rū<tā = رغوة foam (رغوة البحر مجازًا أو رغوة الغسيل).

• ܪܚܠܐ : raḥlā = رحل Luggage .

• ܪܚܡ : rḥēm = رحم . أحب To have pity upon, To Love .

ܪܚܡܢܐ : raḥmānā = رحوم . رحمان .

• ܪܛܒ : rṭeḇ = رطب . ترطب ، ܪܛܒ : raṭēḇ = رَطَّب .

ܪܛܝܒܘܬܐ : rṭīḇūṯā = رطوبة .

- ܪܟܒ (ܥܠ) : rkeḇ (<al) = ركب (على) . امتطى .
  ܪܟܒ : raḥēḇ = ركّب . ألّف . بنى . . .
- ܪܡܐ : rmā = رمى . ألقى . طرح .
- ܪܡܙ : rmaz = رمز إلى . أومأ . دل على . عبّر عن .
- ܪܢܐ : rnā = رنا . تأمل . فكّر في .
- ܪܣ : rass = رشّ . نضح . سكب في .
- ܪܣܘܠܐ : rasūlā = رسول .
- ܪܥܐ : r<ā = رعى . دبّر . . .
- ܪܨܦ : rṣaf = رصف . حصّب (طريقًا) .
- ܐܘܪܩܥܬܐ : <ūrka<tā = رقعة . خرقة ، والجمع
  ܪܘܩܥܐ : ruk<e = رقاع . . .
- ܪܫܡ : ršam = رسم . علّم . خط . صوّر . وسم .

(ܫ - ش)

- ܫܐܠ : šel = سأل . طلب . ܫܐܠ : ša>ēl = سأل
  ܫܘܐܠܐ : šū>ālā = سؤال .
- ܫܒܐ : šbā = سبى . نهب . سلب .
- ܫܒܚ : šabbaḥ = سبّح . مجد .
  ܡܫܒܚܢܐ : mšabḥānē = مسبحون . ممجدون .
- ܫܘܝ : šawī = بسط . مدّ (سوّى . .) .

- ܫܘܒܐ : šawbā = قيظ . شدة حرّ (شُوب فى العامية) .
- ܫܘܛܐ : šawṭā = سَوْط = whip .
- ܫܝܛܬܐ : šiṯṭā = طاعون (شوطة فى العامية) .
- ܫܘܩܐ : šūqā = سوق . ساحة .
- ܫܘܪܐ : šūrā = سُور : rampart .
- ܫܚܩ : šḥaq = سحق . عَذَّب . أتعب .
- ܫܟܢ : škēn = سكن . استقر . هدأ .

  ܐܫܟܢ : >aškēn = أسْكَنَ .
- ܫܟܪ : šekar = سُكَّر sugar .
- ܫܠܛ : šlaṭ = تسلط . مَلَكَ .

  ومنها : ܫܘܠܛܢܐ : šūlṭānā = سلطة . سلطان . قدرة . سيطرة .
- ܫܠܡ : šlēm = سَلِمَ . تم . كمل .
- ܫܠܡ : šlām = سلام . صحة . ازدهار

  ومنه : ܫܠܡ : šallem : سَلَّم (على) .
- ܫܡܐ : šmā = اسم (شخص . .) ܫܡܗܐ : šmāhā = شُهرة .

  اسم، ܫܡܗ : šammah = سَمَّى . ܫܡܝ : šammī = سَمَّى .
- ܫܡܛ : šmaṭ = نزع . نشل . استل (نقول فى العامية شمط السيف من جرابه أى استله . . .) .
- ܫܡܝܐ : šmayā = سماء .

• ܫܶܡܫܳܐ : šemšā = شمس sun (يقولها البعض فى العامية : شَمْش) .

• ܫܢܳܢܳܐ : šnānā = حَدّ (السيف) رأس (الحربة) .

ونقول فى العامية (سنان الرماح) .

• ܫܦܶܠ : šfēl = سفل . دنى ، ܫܰܦܠܳܐ : šaflā = دنئ .

سافل، ܫܶܦܠܳܐ : šeflā = سفالة .

• ܫܪܳܓܳܐ : šrāgā = سراج . شمعدان Lamp . . .

• ܫܰܪܰܚ : šarraḥ = فَرَّح . بعث على الانشراح .

ܐܰܫܪܰܚ : >ašraḥ = فَرَّح . أفرح . فتن .

• ܫܽܘܪܛܳܐ : šūrṭā = شرطة . حرس ملك . حرس .

• ܫܰܪܬܰܚ : šartaḥ = أفاض . كثر .

ܫܽܘܪܬܳܚܳܐ : šūrtāḥā = ثرثرة .

ربما لها علاقة بما يقال فى العامية عندما يثرثر الإنسان ويفيض فى قبيح الكلام لغيره فنقول : بيشرتح له .

(ܬ - ت)

• ܬܒܰܥ : tba< = تتبع : to follow .

• ܬܰܓܳܪܳܐ : tagārā = تاجر merchant .

ومنها : ܬܰܓܽܘܪܬܳܐ : tāgūrtā = تجارة

• ܬܳܒ : tab = تاب . رجع . ندم ، ܬܰܝܳܒܳܐ : Tayābā = تائب .

• ܬܚܽܘܡܳܐ : thūmā = تخوم . حدود (نقول بلد متاخم لـ . . .) .

• ܬܚܬ : thet = تحت under .

• ܬܠܐ : tēlā ، ܬܠܠܐ : tella = تل . رابية hill, mound .

• ܬܠܓܐ : talgā = ثلج snow (فى العامية : تَلْج) .

• ܬܡܝܡ : tamēm = أكمل . أتم (تَممَّ) .

• ܬܢܐ : tnā = رَدَّد . روى . قال . تكلم .

ونقول فى العامية (تنى الكلام . قول تانى أى من جديد)

ومنه الاسم : ܬܢܝܢܐ : Tenyānā = تكرار . ذِكْر ثانى .

والفعل : ܬܢܝ : tannī = رَدَّد .

• ܬܢܘܪܐ : tannūrā = تنور . شمعدان .

• ܡܬܩܠܐ : mētkālā = وزن . مثقال . ثقل .

من الفعل : ܬܩܠ : tkal = وزن . ثقل . . .

• ܬܪܓܡܢܐ : targmānā = ترجمان .

من الفعل : ܬܪܓܡ : targēm = ترجم . فَسَّر . شرح .

• ܬܘܪܥܬܐ : tūr<tā = ممر (ماء) . ܬܪܝܥܐ : trī<a = منفجر :

متدفق . من الفعل : ܬܪܥ : tra< ، ܐܬܬܪܥ : >ettra< =

إنشق . إندفع . فار . ومنها كلمة (ترعة) مجرى الماء المتدفق .

الخاتمة والنتائج

بعد أن استعرضنا ما توصلنا إليه من سمات لغوية وألفاظ مشتركة بين السريانية الآرامية والعامية المصرية العربية فى عجالة لكى لا نطيل البحث كثيراً، نرى من المفيد ، بل من الضرورى أن نأتى هنا بتلخيص لأهم النقاط التى برزت من خلال البحث ، ونرصد لأهم الاستنتاجات كحصيلة أولية نأمل أن نستوفيها فى المستقبل (إن شاء الله تعالى) ببحوث أخرى .

١ - تبيَّن مما سبق أن الألفاظ السامية المشتركة بين اللغتين تعد أمراً جديراً بالاهتمام والدراسة ، فالألفاظ لها تاريخ كالأفكار أو غيرها من الأمور الأخرى ، ينبغى البحث عن أصولها ، وتتبع تطورها ، ولا يقف هذا التاريخ عند عصر معين ، ولا يحدد بجيل ما .

٢ - ويبدو تطور الألفاظ جليًا فى استكمال صقلها ، وشيوع استعمالها ، واختلاف مدلولها باختلاف العصور ، ويحرص اللغوى على تتبع ذلك والوقوف على مراحله ، وتوضيحه فى ضوء ما ورد فى استعمال مثل هذه الألفاظ ، والكشف عن المستعمل منها والمهمل ليبين حقيقتها ويُظهر فصاحتها ، ولابد للباحث اللغوى أن يتذرع فى هذا كله بالصبر والجلد .

٣ - يأتى دور هذه الدراسة متمثلاً فى التنبيه إلى بعض الكلمات التى تعد سامية الأصل ، والتى يتوهم كثير من الباحثين بأنها عامية رغم وجود بعضها فى القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، أو فى نصوص من الشعر والنثر ، أو صفحات المعاجم المختلفة .

٤ - ينبغى هنا الإلتفات إلى الكلمات الفصحى أيضًا التى حَرَّفت العامة لفظها أو غيرت معناها ، ثم تحديد صوابها اللغوى ليتجنبها متعلم اللغة العربية والمتحدث بها ، فإذا صُحِّحت هذه الكلمات وأُزيل عنها التحريف ، ونفى

عنها التصحيف ، كانت فى متناول مستخدميها خصوصًا إذا تيقن أنها ألفاظ عربية سامية أصيلة ، أكَّد ساميتها اشتراكها فى كل من السريانية والعامية المصرية فى الاستخدام .

٥ - لقد كان حرصى شديدًا فى هذه الدراسة على جمع اللفظ العامى ذى الأصل السامى المشترك ، وتحاشيت بقدر الإمكان ما فى عاميتنا الدارجة من ألفاظ غير سامية ، توارثناها بحكم الغزو أو الجوار ، كالألفاظ القبطية أو الفارطية أو اليونانية أو التركية وغيرها من لغات تعاملنا بها على مرّ الزمان ، فلم أدرجها هنا .

٦ - كما أننى لم أغفل أيضًا الحقيقة المتمثلة فى كون العامية المصرية هى الأخرى بدورها تعد متشعبة . فهناك اللهجة العامية القاهرية ، ولهجة الاسكندرانية ، ولهجة السواحل الأخرى كبورسعيد والسويس ، واللهجة الشرقاوية والصعيدية ، ولهجة البدو فى سيناء وصحارى مصر . . .

٧ - ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نؤكد على أن اللغة العربية بفصحاها وعامياتها لا تخلو من الكثير من الكلمات الأجنبية (غير السامية) . كما هو الحال أيضًا فى شتى لغات العالم ، فهذا أمر لا مفر منه بالنسبة لأية لغة ، فكيف لا يحدث هذا إذا كان من غير الممكن لأى من الشعوب فى أى وقت أن يظل الناس محبوسين داخل حدود جغرافية وسياسية بالمعنى المطلق . إنهم من آن لآخر قد يدخلون فى مجتمعات أخرى أجنبية عليهم ومحيطة بهم من كل جانب ، ثم قد يستوطنون بها . وهذا هو الشأن أيضًا بالنسبة للغة والكلمات حيث أنها تتخطى حدود من ينتسبون إليها[1] ،

(١) انظر : نصوحى أونال قرة أرسلان : جامع التعريب بالطريق القريب . صـ ٣٧ .

ونحن لا نتطرق فى هذا البحث إلى ذكر ما هو أجنبى غير سامى ، فهذا أمر تتناوله كتب المعرب والدخيل .

٨ - أما السامى المشترك فى اللغة العربية وعامياتها فلا يمكن اعتباره مادة دخيلة أو مُعَرَّبة ، بل هو مادة سامية مشتركة يمكن أن توجد فى جميع اللغات السامية بما فيها السريانية الآرامية والعامية المصرية العربية . وقد رأينا فى هذا البحث أن نقف على جملة من الألفاظ المشتركة ونعلق عليها بفوائد تتصل بعلم اللغة المقارن Comparative Linguistics الذى يعد من أقدم مناهج علم اللغة الحديث ، وبه بدأ البحث اللغوى عصر ازدهاره فى القرن التاسع عشر[١] . ومثل هذا النوع من البحث يقوم على المقارنة والموازنة ، فالمقارنة وسيلة علمية مهمة من وسائل علم اللغة الحديث Linguistics تهدف إلى الوصول لفهم مشكلات اللغة نحواً وصرفًا ولغة . . .

٩ - ولكون اللغات السامية فروعًا متشعبة عن لغة سامية أم ، فإن هذا جعل من الممكن أن توجد كلمة فى إحدى هذه اللغات ، وفى الوقت ذاته توجد الكلمة ذاتها فى غيرها من شقيقاتها ، فلهذه اللغات - كأسرة واحدة - اتجاهات مشتركة مع بعضها البعض فى العناصر اللغوية التى تفى بما هو ضرورى لمتطلبات الحياة من ألفاظ بسيطة مثل أعضاء الجسم والضمائر والأعداد وأسماء الحيوانات والنباتات[٢] ، وعلى هذا فإنه ينبغى لنا أن لا نميل إلى القول بوجود آثار سريانية فى العامية المصرية أو فى

(١) راجع : د. محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٩٨ م . صـ ١٩ .

(٢) جريجوريوس بولس بهنام : العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية السريانية . مجلة المجمع العلمى العربى . دمشق . ٣٣/٤ ، صـ ٢٣٩/٢ .

العربية عمومًا بشكل مطلق ، أو أن نعتبر بعض الألفاظ الآرامية السريانية دخيلاً فى اللسان العربى المصرى الدارج ، ثم نحاول العودة إلى الأصول الفصيحة ونقف عليها وقفات تاريخية تدخل فى باب ما يسمى بعلم المعجمات المقارنة La Lexicographi Comparee[(1)] ، فالثابت أن هناك بعض المفردات السامية العربية السريانية المشتركة التى تدل على وحدة اللغتين الساميتين أصلاً[(2)] ، فظهور كلمة ما من التراث العام للغات السامية فى لغة ما واختفاؤها فى أخرى أو إهمال استعمالها فى زمن ما لا يعنى عدم وجودها فى هذه اللغة أو تلك ، ولا يجعلنا نجزم بأن هذه الكلمة أعجمية الأصل ، لأن ذلك احتمال ليس له ما يبرره . بل أن هناك رأى يؤكد أنه من المستحيل أن نجزم عند بحثنا فى كثير من الألفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من لغات العائلة السامية بأن هذه اللفظة أو تلك «مأخوذة» من العبرية أو الآرامية السريانية أو البابلية أو الحبشية أو غيرها ، إذ قد يكون العكس هو الصحيح ، نظرًا لقدم لغة العرب ، ولعدم عثورنا على أى نص مكتوب أو مروى عن اللغة السامية الأم التى تفرعت عنها كل تلك اللغات واللهجات[(3)] .

١٠ - رغم الإسهاب لدى الكثير من الباحثين فى الخوض فى الآراء الخاصة بقدم أى من السريانية أو العربية عن الأخرى ، أو مدى قرب أى منها أكثر إلى السامية الأم ، إلا أن غالبية العلماء يلاحظون أن العربية أقرب من

---

(١) انظر : د. إبراهيم السامرائى : دراسات فى اللغتين السريانية والعربية. دار الجيل . بيروت . سنة ١٩٨٥ م . صـ ٢٩ .

(٢) انظر : زهير أحمد القيسى : النظرية الثنائية بين العربية والسريانية . مجلة مجمع اللغة السريانية . جـ ٣ . بغداد . سنة ١٩٧٧ م . صـ ٢٧٥ .

(٣) د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم . مكتبة الدراسات اللغوية الاسكندرية ١٩٧١ م .

السريانية إلى اللغة السامية الأم[1] ، وأكثر منها شبهًا بها . إذ فاقت العربية السريانية باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الأصيلة المنحدرة إليها من السامية الأم .

١١ - ولقد عرف علماء العربية القداما العلاقة بين العربية وأخواتها ، فنجد أن «ابن حزم الأندلس» (ت ٤٥٦ هـ) يمثل لدينا البدايات الأولى فى مجال المقارنات السامية ، حيث اكتشف مبكرًا صلة اللغة العربية باللغتين العبرية والسريانية ، ورأى أن هذه اللغات الثلاث ذات أصل واحد . فقال : «إن من تدبر هذه اللغات أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمات ، واختلاف البلدان ، ومجاورتهم الأمم ، وأنها لغة واحدة فى الأصل[2] .

وإذا كان علماء العربية قد تمكنوا من الإحاطة بتقارب العربية والسريانية والعبرية إلى حد ما[3] فإنهم لم يتمكنوا من الكشف عن أن هذه اللغات ولهجاتها التى تمايزت عن بعضها البعض بمرور الزمن ما هى إلا فروع من أصل واحد .

١٢ - ومجمل الأمر أن الباحثين فى لغتنا العربية ولهجاتها فى حاجة ماسة إلى معرفة اللغات السامية الأخرى شقيقة العربية - وخصوصًا اللغة السريانية - لكى يتضح لديهم الاشتقاق اللغوى فى كثير من الأمور التى حار الباحثون

---

(١) أغناطيوس يعقوب الثالث : البراهين الحسية . صـ ١٠ .

(٢) انظر : ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام . جـ ١ . صـ ٣١ .

(٣) انظر : ابن دريد (أبو بكر) : جمهرة اللغة . حيدر أباد سنة ١٩٢٦ م . ٢٦٦/١ .

وفيما يتعلق بمعرفة خبر روايات العهد القديم بشأن الأمم التى نشأت بعد الطوفان ونوح . انظر : تاريخ الطبرى . جـ ١ .

وقارن ذلك بما جاء بالعهد القديم . تك : ١ ، ٢٢ ، ٣ .

العرب فى الفصل فيها ، فعدوها حينًا سريانية أو عبرية أو حبشية ، وحينًا آخر توهموا لها اشتقاقات عربية غير صحيحة ، وذلك لعدم وقوفهم على أصل هذه الكلمات فى سائر اللغات السامية ، فلا يصح أن يقال عن الكلمات التى تشترك فيها العربية مع كل من السريانية أو العبرية أو غيرهما من اللغات السامية ، أنها من الدخيل ، لأن اللغات السامية كلها تجمعها أصول تتيح احتفاظ هذه اللغات بغالبية عناصرها اللغوية القديمة حتى وإن تطرق الأمر للحديث عن اللهجات العامية .

وهناك مقولة تؤكد بشكل بليغ هذه الحقيقة ، مفادها أن دارسى اللغة العربية بدون دراسة اللغات السامية الأخرى مثلهم كمثل من ينظر إلى الأشياء من ثقب الباب ، ومثل من يقارن اللغة العربية باللغات السامية مثل من تفتحت له جميع النوافذ والأبواب ، فهو ينظر إلى الأشياء من خلالها بوضوح[1] .

وبعد ، فقد تم الانتهاء من البحث بإذن الله تعالى ، وأنا لا أدعى العصمة فى كل ما أوردته من السمات اللغوية والألفاظ التى رأيت أنها مشتركة أو متشابهة بين السريانية والعامية المصرية فى شتى المجالات التى أشرت إليها ، ولكننى أقول إننى أوردت من السمات والألفاظ ما أمكننى التوصل إليه بجهدى المتواضع الذى قد يكون قاصراً عن الإحاطة بكل ما تصبو إليه النفس لأن الكمال لله وحده .

وعلى الله قصد السبيل ،

---

(١) د. أحمد نصيف الجنابى : ملامح من تاريخ اللغة العربية . صـ ٥١ .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الكتاب المقدس .

٣ - د. إبراهيم السامرائى: دراسات فى اللغتين السريانية والعربية. دار الجيل. بيروت . سنة ١٩٨٥ م .

٤ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول . بيروت - ١٨٩٠ م .

٥ - ابن حزم الأندلسى : الإحكام فى أصول الأحكام . طبع الخانجى - ١٣٤٥هـ .

٦ - ابن دريد (أبو بكر) : جمهرة اللغة - حيدر آباد - ١٩٢٦ م .

٧ - ابن منظور (محمد مكرم) : لسان العرب . جـ ١ - جـ ١٥ . بيروت - بدون تاريخ .

٨ - أحمد تيمور : معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية . إعداد وتحقيق : د. حسين نصار . جـ ٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٧٨ م .

٩ - أحمد عيسى بك : المحكم فى أصول الكلمات العامية . الطبعة الأولى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

١٠ - د. أحمد نصيف الجنابى : ملامح من تاريخ اللغة العربية - دار الرشيد - العراق - ١٩٨١ م .

١١ - إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية . الطبعة الأولى . القاهرة . ١٩٢٩ م .

١٢ - أغناطيوس أفرام الأول (برصوم) : اللؤلؤ المنثور . حمص - ١٩٤٣ م.

١٣ - أغناطيوس يعقوب الثالث : البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية - دمشق ١٩٦٩ م .

١٤ - البير أبونا : تاريخ الكنيسة الشرقية . الجزء الأول . من انتشار المسيحية حتى مجئ الإسلام . ط ٢ . بغداد ١٩٨٥ م .

١٥ - الطبرى (بن جرير) : تاريخ الطبرى . جـ ١ . نشر : محمد أبو الفضل إبراهيم - مصر - ١٩٦٠ - ١٩٦٩ م .

١٦ - الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط - الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - الطبعة الثانية (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) .

١٧ - اقليميس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية . دير الآباء الدومينيكان . الموصل . سنة ١٨٩٦ م .

١٨ - برجشتراسر : التطور النحوى . أخرجه وصححه وعلق عليه : د. رمضان عبد التواب - الخانجى - القاهرة - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٩ - بروكلمان : فقه اللغات السامية - ترجمة : د. رمضان عبد التواب . مطبوعات جامعة الرياض بالسعودية - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٢٠ - جبرائيل القرداحى : إحكام الإحكام فى علم التصريف عند السريان - لبنان - ١٩٢٤ م .

٢١ - ـــــــــــ : المناهج فى النحو والمعانى عند السريان - روما - ١٩٠٣ م .

٢٢ - جرجس الرزى : الكتاب فى نحو اللغة الآرامية السريانية الكلدانية وصرفها وشعرها - المكتبة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين - بيروت - سنة ١٨٩٧ م .

٢٣ - جريجوريوس بولس بهنام : العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية (السريانية) - مجلة المجمع العلمى العربى - دمشق .

٢٤ - جلال الدين السيوطى : المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م .

٢٥ - د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم - مكتبة الدراسات اللغوية - الاسكندرية - ١٩٧١ م .

٢٦ - داود الحلبى الموصلى : الآثار الآرامية فى لغة الموصل العامية - مطبعة النجم الكلدانية - الموصل - ١٩٣٥ م .

٢٧ - رشيد عطية : معجم عطية فى العامى والدخيل . دار الطباعة والنشر العربية - سان باولو - برازيل طبع عام ١٩٤٤ م .

٢٨ - د. رمضان عبد التواب : فصول فى فقه العربية . الطبعة الثانية - الخانجى - القاهرة - ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م .

٢٩ - د. زاكية محمد رشدى : السريانية وعلاقتها بالعربية - مجلة الدراسات الشرقية - العدد الثالث - ديسمبر ١٩٨٥ م .

٣٠ - ———————— : السريانية نحوها وصرفها - دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة . (بدون تاريخ) .

٣١ - د. زهير أحمد القيسى : النظرية الثنائية بين العربية والسريانية - مجلة مجمع اللغة السريانية - جـ ٣ - بغداد ١٩٧٧ م .

٣٢ - شابو : اللغات الآرامية وآدابها - تعريب : أنطون شكرى . مطبعة ديرمار مرقص للسريان - القدس - ١٩٣٠ م .

٣٣ - طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه - دار العرب للبستانى - القاهرة - ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

٣٤ - طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة . دار الشئون الثقافية - بغداد - ١٩٨٦ م .

٣٥ - د. عبد المنعم سيد عبد العال : معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية - الطبعة الثانية - القاهرة - سنة ١٩٧٢ م .

٣٦ - د. مراد كامل ، ود. محمد حمدى البكرى ، ود. زاكية محمد رشدى: تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى العصر الحاضر - القاهرة - ١٩٨٧ م .

٣٧ - مروان بن جناح القرطبى : كتاب اللمع ، وهو الجزء الأول من كتاب التنقيح - تحقيق : يوسف درينبورج . باريس .

٣٨ - محمد أبو زهرة (الإمام) : محاضرات فى النصرانية - الطبعة الثالثة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٦٦ م .

٣٩ - د. محمود فهمى حجازى : اللغة العربية عبر القرون - القاهرة - ١٩٦٨ م .

٤٠ - ــــــــــــــــ : علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية - القاهرة - ١٩٩٢ م .

٤١ - ــــــــــــــــ : مدخل إلى علم اللغة . دار قباء للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨ م .

٤٢ - نصوحى أونال قرة أرسلان : جامع التعريب بالطريق القريب . القاهرة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

المصادر والمراجع الأجنبية :

1 - Badger (G. P.) : The nestorian and Their Rituals, vol 11, london.

2 - Brockelmann : Die Syriiche und die christilich Arabische Literature, Lipzig, 1907 .

3 -Brockelmann: LEXICON SYRIACUM Praefatus est TH. Nöldeke Berlin, 1895 .

4 - Duval (R.) : La Litterature syriaque, paris, 1899 .

5 - ________ : Lecon d'ouverture faite au college defrance, 1895 .

6 - Fleisch (Henri) : introduction a' L'Etude des Langues sémitiques, paris, 1947 .

7 - Frend, (W. H. C.) : The Rise of The monophysite movement, cambridge uni press, 1979 .

8 - Ganneau, (C.) : origine perse des monuments araméens d'Egypt. paris, 1880 .

9 - Gesenius, (W) : A Hebrew and English Lexicon of The old testament, oxford.

10 - ____________ : Hebräische und Aramaisches Handwöter - buch under Alte Testament, unveranderter Neudruck der 1915. Erschienen 17. Auflage, Berlin, Gottingen Heidelberg 1962 .

11 - Louis Costaz, (S. J.) : Dictionnaire syriaque - francais, syriac - English Dictionary - imprimerie catholique Beyrouth

12 - Moscati (sabatino) : Ancient semitic civilizations, London, 1957 .

13 - Nöldeke (th.) : compendious syriac Grammar. translated by J. A. crichton, London, 1904 .

14 - __________ : Die Aramaische Literatur dans Le vol : Die orientalischen Literaturen. Berlin (1906) .

15 - __________ : Zeitschr für Assyriologie.

16 - Payne smith (J) : A Compendious syriac dictionary. oxford at the clarendon press. 1903 .

17 - Roger (T. O. Calaghan) : Aram Nahraim - Rome, 1948 .

18 - Sayce (H.), et cawley : Aramaic papyri discovered at Assuan. Londres. 1906 .

19 - Wright, (W.) : Catalogue of the syriac manuscript in the British Musieum. London. 1870 -1872 .

مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته
وأثره فى تحديد العلاقات الدلالية والأسلوب

د. رجب عثمان محمد
مدرس العلوم اللغوية بآداب بنى سويف
فرع جامعة القاهرة

المقدمة :

هذا البحث يناقش قضية من أخطر القضايا فى تراثنا اللغوى ، ولها دور فعال فى صياغة واختيار الأساليب ، والعبارات ، والجمل ألا وهى قضية السياق وقد تنبه علماؤنا القدامى إلى هذه الفكرة منذ أمد بعيد ، عندما ركزوا على عبارة (لكل مقام مقال) فى علم البلاغة .

ومن أهم الموضوعات التى شغلت القدماء والمحدثين أيضاً ارتباط الدلالة بالسياق ، وقد أردت فى هذا البحث أن أعرض أولاً : لمفهوم السياق ودلالته ودوره الفعال فى صياغة المعنى عند علماء العربية القدامى والمحدثين .

ومن الموضوعات التى اهتم بها العلماء ، وحازت على قدر كبير من تفكيرهم قضية السياق اللغوى ودوره فى تحديد معانى الكلمات ، إذا استخدمت فى سياقات لغوية مختلفة .

وقد ناقش البحث أيضاً أنواعاً أخرى من السياق ، مثل سياق الموقف ، أو السياق الاجتماعى الذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعبارة البلاغيين (لكل مقام مقال)،

والسياق الثقافى الذى يعتمد فى الدرجة الأولى على ثقافة المتكلمين والأفراد ، والسياق العاطفى الذى يبرز فيه دور العاطفة فى أثناء سياق الكلام .

كما ناقش أيضاً دور السياق فى بيان وتوضيح علاقة اللفظ بالمعنى من أمثال المشترك اللـفظى والترادف والتضاد ، وكـيف أن السياق هو الذى يحـدد المعنى المطلوب فى الجمل عندما يكون اللفظ أكثر من دلالة .

وقد عرض البحث أيـضاً لمجالات السياق وفعاليته فـى أشياء أخرى ، مثل دور السياق فى تحـديد معانى الكلمات حـينما ترد فى سياقات مـتعددة ، ولعل هذا له صلـة أيضاً بالسيـاق اللغوى ، وعلاقة الـسياق بموقع الجمـل ، وتحديد دلالة الزمن فى المـشتقات من خلال السياق ، وعـلاقته أيضاً بالنظم والـتعليق والغموض ، ودور المتكلم فى اختيار المعنى المناسب للسياق .

كما ناقش أيضـاً علاقة السياق بعلم الأسلوب ، ودوره فى اخـتيار السمات الأسلوبية المميـزة ، والفرق بين السياق المباشر وغير المبـاشر ، وكيف أن علماء الأسلوب اهتموا بدور السياق الفعال فى صياغة الأساليب العربية .

المبحث الأول

مفهوم ومعانى السياق عند القدماء والمحدثين والبلاغيين

لقد أدرك علماء العربية القدامى أهمية السياق فى تحديد الدلالة فلا تجد أصوليًا ولا لغويًا إلا أشار إلى ذلك عند كلامه عن الدلالة ، فهذا الشافعى يقول : (ومن الخطاب ما يبين سياقه معناه) فهذه إشارة إلى إدراكهم لقيمة السياق فى تحديد المعانى[1] .

وقد كان ابن جنى أوضح عندما عرض للروايات اللغوية ومشاهدة اللغويين لروائها وأثرها فى تحديد الدلالة مع الالتفات إلى أن تلك المعانى التى سجلها الأوائل ، والطرق التى فهموا بها ما عرض لهم من حوادث وأقوال هى أقرب إلى الصحة والدقة لأنهم شاهدوا أحوال أصحابها[2] .

كما عقد الشافعى باباً خاصًا فى كتابه الرسالة سماه : (الصنف الذى يبين سياقه معناه) واستدل بقوله تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3] ، يقول الشافعى تعليقًا على الآية : دلّ على أنه أراد أهل القرية ؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان فى السبت ولا غيره ، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون[4] .

---

(١) انظر علم الدلالة لأحمد كراعين ٨٦-٨٧ والرسالة للشافعى ٦٢ .

(٢) انظر علم الدلالة لأحمد كراعين ٨٦-٨٧ وينظر الخصائص ٢٤٨/١ .

(٣) سورة الأعراف ٧/ ١٦٣ .

(٤) الرسالة للشافعى ص ٦٢ .

وابن قيم الجوزية من أبرز العلماء الذين أشاروا إلى السياق وأثره في تبيين الدلالة يقول (السياق يرشد إلى تبيين المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط فى نظره ، وغالط فى مناظرته ، فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (سورة الدخان ٤٩) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير)[١] .

وقد عقّب الدكتور أحمد كراعين فى كتابه علم الدلالة على كلام ابن القيم بقوله : (هذه هى الدلالة السياقية تنظيراً وتطبيقاً ووضوحاً قبل أن يظهر (فيرث Firth) بسبعة قرون على الأقل)[٢] .

ولقد فهم علماء العربية من لغويين وبلاغيين وأصوليين هذه الدلالة واهتموا بها منذ نزول القرآن الكريم ، وذلك فى ربطهم معانى الآيات بأسباب النزول ، كما أن كلامهم عن الحقيقة والمجاز والخصوص والعموم .. يدل على إدراكهم إدراكاً واعياً لدلالة السياق ، ولو نظرنا إلى ما قاله الأصوليون نجد أن دلالة النص عندهم ترتكز على السياق ، يقول الدكتور محمد أديب صالح : (والنص هو الذى يكون معناه الأصلى مقصوداً من السياق)[٣] .

أما البلاغيون فهم من أوائل العلماء الذين توسعوا فى دراسة السياق وتحديد الدلالة من خلاله . يقول الدكتور محمد عبد المطلب : (وقد لاحظ البلاغيون منذ القدم ظاهرة السياق من خلال مقولتهم بأن لكل مقام مقالاً ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقامًا ، فانطلقوا فى مباحثهم حول فكرة السياق وربطها بالصياغة ، أو بمعنى أصح ربط الصياغة بالسياق ، وأصبح مقاييس

(١) انظر بديع الفوائد ٤/٩-١٠ .

(٢) انظر علم الدلالة للدكتور احمد كرعين ص ٨٦ .

(٣) انظر علم الدلالة للدكتور احمد كراعين ص ١٠٠-١٠١ .

الكلام فى باب الحسن والقبول بحسب مناسبة لما يليق به ، أى مقتضى الحال)[1] .

ويشرح السكاكى مقولة البلاغيين (لكل مقام مقال) بقوله : (فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم ، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحلّيه بشىء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوة ، وإن كان مقتضى الحال طى ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه ، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب ، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عارياً عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباتاً مخصصاً بشىء من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها)[2] .

ويوضح كلام السكاكى الدكتور محمد عبد المطلب بقوله : (فى هذه الجملة السابقة يجمل السكاكى مقتضيات الأحوال أو السياقات التى ترد فيها أنواع الصياغة بما تحويه من خواص تركيبية فى الجملة ، ولا يخفى على الرجل أن هذه الصياغة لها مستويات يختلفان باختلاف السياق الذى يردان فيه أيضاً ، ويعبر عن المستوى الأول بأنه المستوى اللغوى الذى ترد فيه الصياغة حسب مقتضيات الإيصال فحسب ، أما المستوى الثانى فهو الذى عبر عنه بالوظيفة البيانية لاختصاصه بصياغة أخرى تتميز بطبيعتها الجمالية ، وما تحويه من مفردات)[3] .

ويحتاج الكلام إلى عنصرين أساسين كى تتضح الدلالة فى أجزائه هما : المقام والسياق فمن المؤكد أن افتقاد المقام يؤدى إلى ورود مفردات متناثرة لا

(١) انظر البلاغة والأسلوبية ص ٢٢٨ .

(٢) انظر مفتاح العلوم للسكاكى ص ٧٤ .

(٣) انظر البلاغة والأسلوبية ص ٢٢٩ .

تمثل مقالاً بالمعنى اللغوى أو بالمعنى البلاغى ؛ لأنها لم توضع فى سياق يربط بين أجزائها بحيث تؤدى فى النهاية معنى معيناً ، وعلى هذا لو قمنا بتحليل هذه المفردات من حيث مستوى الصوت ، أو الصرف ، أو النحو ، أو من حيث علاقة اللفظ بمدلوله ، فلن نصل أبداً إلى دلالة محددة لافتقاد السياق ، أو المقام الذى يعطى البعد المكانى ، وافتقاد الحال الذى يعطى البعد الزمانى للصياغة(١) .

والألفاظ قد تحسن فى موضع وتقبح فى موضع آخر ؛ وذلك بحسب السياق فإن ميزة اللغة تظهر فى تراكيبها ودقة النظم المؤلّف منها ، وأن لكل لفظ موضعه المحمود فى النظم ، فقد يحسن اللفظ فى موضع ؛ لأن السياق يقتضيه ، ويقبح فى موضع آخر ؛ لأن السياق يلفظه ويطرحه(٢) .

ويتضح من حديث اللغويين والبلاغيين إدراكهم لدور السياق فى بيان الدلالة والمعنى ، وأن مقتضيات السياق لبيان المعنى فى حاجة إلى اختيار الألفاظ والمقام الذى يقال فيه الكلام ، حتى يتم الربط والتناسق بين كل هذه العناصر ، فتصبح الصياغة متكاملة مؤدية للغرض المطلوب منها .

أما مفهوم السياق عند المحدثين فقد اتسعت مداركه ومسالكه ، وأخذ حيزاً كبيراً من دراساتهم ، وأصبحت له نظريات مستقلة ومدارس لسانية ، ويمثل قمة هذه النظريات العالم الإنجليزى فيرث Firth ومالينوفسكى ودى سوسير وأولمان وغيرهم من العلماء .

يقول Firth : «بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة الدلالية أى وضعها فى سياقات مختلفة»(٣) .

---

(١) انظر البلاغة والأسلوبية ص ٣٣٠ .

(٢) انظر علم الأسلوب فى الدراسات الأدبية والنقدية ص ٢٦ .

(٣) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٦٨ .

كما يقول أصحاب هطه النظرية : «معظم الوحدات الدلالية تقع فى مجاورة وحدات أخرى ، وإن معانى هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التى تقع مجاورة لها»[1] .

وقد عرّف (سبنس Spence) السياق : «بأنه وضع الكلمة داخل الجملة أو الحدث الذى تعبر عنه الكلمة داخل الجملة ، مرتبطة بما قبلها وما بعدها ، كما أنه فى حالة الكلام يتمثل فى العلاقة القائمة بين المتكلم والحالة أو المقام الذى يتكلم فيه وتكوينه الثقافى»[2] .

وقد عدّ الدكتور تمام حسان قرينة السياق من أهم القرائن اللفظية يقول : «القرينة اللفظية هى عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية، فيمكن بالاسترشاد بها أن نقول هذا اللفظ فاعل . وذلك مفعول به أو غير ذلك ، ومثل هذه القرائن كمثل معالم الطريق الذى يهدى المرء إلى المكان الذى يقصده ، وفى العربية من القرائن اللفظية قرينة البنية ، والإعراب ، والربط ، والرتبة ، والتضام ، وفيها فوق ذلك كبرى القرائن اللفظية وهى : قرينة السياق ، ولا تدل واحدة من هذه القرائن اللفظية بمفردها على المعنى النحوى، وإنما يتضح المعنى بعصبة من القرائن المتضافرة»[3] .

وقد جعل (أولمان) مفهوم السياق لا يقف عند الجمل والعبارات بل يتعدى ذلك ويشمل النصوص والكتب كاملة ، يقول : «وكلمة السياق قد استعملت حديثاً فى عدة معان مختلفة ، والمعنى الوحيد الذى يهم مشكلتنا فى الحقيقة هو معناها التقليدى أى (النظم اللفظى للكلمة وموقعها من ذلك النظم) بأوسع معانى هذه العبارة ، إن السياق على هذا التفسير ينبغى أن يشمل لا الكلمات

---

(١) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٦٧-٦٨ .

(٢) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد كراعين ص ١٠٠ .

(٣) انظر البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان ص ٧ .

ولا الجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ، بل والقطعة كلها والكتاب كله . كما ينبغى أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات ، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذى تنطق فيه الكلمة ، لها هى الأخرى أهميتها البالغة فى هذا الشأن»[1] .

ولم يهمل (دى سوسير) الجانب السياقى فهو يقول : «إن قيمة أى اصطلاح تتحدد تبعاً للمحيط الذى تذكر فيه ، فقد أوضح أثر المقام فى تحديد الدلالة ، ولكن المدرسة الاجتماعية أو السياقية برزت بوضوح ، أو حمل لواءها اللغوى الإنجليزى (فيرث Firth) فإنه لا يعتبر أى وجود للمعنى خارج السياق[2]، ولذلك يقول : «إن الوحدات الحقيقية للغة ليست الأصوات ، ولا طريقة الكتابة أو المعانى ، ولكنها العلاقات التى تمثلها هذه الأصوات والأساليب والمعانى» إنها العلاقات المتبادلة أو المشتركة داخل السلسلة الكلامية ، والصيغ الصرفية والنحوية ، وقد وضح (جون ليونز John Lyons) فى مقاله فى ذكرى فيرث مفهوم فيرث للمعنى فقال : «المعنى عبارة عن مزيج من العلاقات السياقية، والصوتية ، والنحوية ، والمعجمية ، والدلالية ، وكل واحد من هذه تحمل معها من هذا المزيج فى سياقها الخاص المميز ، ولهذا فكل فروع علم اللغة مرتبطة بالمعنى»[3] .

كما جاء فى الشرح الذى كتبه (ليونز Lyons) لرأى (فيرث Firth) ص ٢٩٠ : إن المعى أو الوظيفة فى السياق يجب أن يفسر على أنه مدى القبول أو الملائمة فى ذلك السياق ، فالعبارج أو جزء من العبارة لا تكون (ذات معنى)

---

(١) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٦٠ .

(٢) انظر علم الدلالة للدكتور احمد كراعين ص ٩٠-٩١ ونظام الارتباط والربط للدكتور مصطفى حميدة ص ٥٠ .

(٣) انظر علم الدلالة لأحمد كراعين ص ٩٠-٩١ .

إلا إذا كان من الممكن أن تستعمل بشكل ملائم فى سياق فعلى . ويتمثل المنهج الثانى فى تفسير السياق بأنه الكلمات فى النص التى تحيط بالكلمة ، أو الكلمات التى يراد إظهار معناها ، ومساواة معنى الكلمة بمجموعة السياقات الكلامية الواقعة فيها[1] .

ويرى الدكتور حلمى خليل أن مفهوم السياق لم يصبح نظرية مستقلة إلا بفضل جهود العالم الإنجليزى فيرث ولذلك يقول : «غير أن الفضل فى إعادة الحياة إلى نظرية السياق مرة أخرى يعود إلى العالم الإنجليزى Firth الذى صاغ من فكرة السياق نظرية علمية قد تلتقى فى بعض جوانبها مع آراء القدماء ، ولكنها بلا شك تختلف من حيث المنهج وطريقة التطبيق ، مما جعل منها نظرية كاملة فى دراسة المعنى . فقد كان يرى أن على عالم اللغة إذا ما أراد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوى أو الكلامى أن يبدأ أولاً بوصف وتحليل الظواهر اللغوية المتصلة به ومحاولة تقعيدها وفقاً لخواصها ، ووظائفها فى الكلام ، وهذا المبدأ الأساسى هو محور منهج عام فى دراسة اللغة عنده»[2] .

ويتفق مع الدكتور حلمى خليل فى رؤيته تلك الدكتور أحمد كراعين مع ذكره للعلماء الذين تأثر بهم فيرث فى نظريته للسياق يقول : «وأما جهود الغربيين ودراستهم لدلالة السياق فتظهر بوضوح عند رائد المدرسة الاجتماعية اللغوية فيرث Firth الذى تأثر بعالم الاجتماع دوركايم وعالم الأنثربولوجيا مالينوفسكى وبخاصة فى دراسات الأخير للغة المجتمعات البدائية ، وعدم قدرته على فهم جميع دلالات الألفاظ فى لغاتهم إلا من خلال السياق فقال : «اللغة بالفعل والمعنى بالاستعمال ، أى أن اللغة لا تكون لغة إلا باعتبارها

---

(١) انظر مدارس اللسانيات التسابق والتطور ص ٢٤١ .

(٢) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٥٧-١٥٨ .

حدثاً كلامياً - لا نصوص مسجلة فى بطون الكتب - ومعانى الألفاظ لا وجود لها إلا من خلال الاستعمال أو سياق الحال ولهذا أقام فيرث دراسة للمعنى على سياق الحال»[1] .

وقد بيّن (فندريس) أن الكلمة لا قيمة لها إلا من خلال السياق يقول : «الذى يعين قيمة الكلمة فى الحالات إنما هو السياق ، إذ إن الكلمة توجد فى كل مرة تستعمل فيها فى جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً ، والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، بالرغم من المعانى المتنوعة التى فى وسعها أن تدل عليها . والسياق أيضاً هو الذى يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التى تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذى يخلق لها قيمة حضارية»[2].

ويستخلص من حديث فيرث أيضاً عن السياق أن السياق عنده ينقسم فى الحقيقة إلى نوعين :

١ - السياق الداخلى للحدث اللغوى ، ويتمثل فى العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين .

٢ - السياق الخارجى ويتمثل فى السياق الاجتماعى أو سياق الحال بما يحتويه ، وهو يشكل الإطار الخارجى للحدث الكلامى[3] .

كما يقول الفيلسوف الألمانى (فنجنشتين Wittgenstein) «لا تبحث عن الكلمة بل ابحث عن استعمالها»[4] .

ويناقش بالمر القول السابق بقوله : «وهذه ليست ملاحظة مفيدة ؛ لأننا ربما

---

(١) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد كراعين ص ١٠٢ وعلم الدلالة لبالمر ص ١٤٥ .

(٢) انظر اللغة لفندريس ٢٣١ ، والكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٥٧ .

(٣) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٦١ .

(٤) انظر علم الدلالة لبالمر ص ٥١ والتحليل الدلالى للدكتور كريم حسام ص ٩٥ .

لا نكون واثقين من استخدام كلمة أكثر من ثقتنا من معناها ، لكن ما له قيمة لنا نستطيع أن نفحص الاستخدام ، ومن المحتمل أن نكون أقل تفكيراً فى الاستخدام على أنه الشىء الذى تملكه الكلمات بأى معنى حرفى وأقل احتمالاً لتضييع وقتنا فى محاولة الكشف عنه على نحو دقيق»[١] .

كما يقول اللسانى الفرنسى (مييه Meille) : إن الكلمة الحقيقية هى الكلمة فى السياق فكلمة عملية Operation تتحدد معانيها المختلفة من وجودها فى سياق مرتبط بالطبيب والضابط والتاجر ، كما أن السياق هو الذى يخبرنا بمعنى كلمة لعب فى سياق مرتبط بالطفل أو الممثل أو الرياضى[٢] .

والواقع أننا لا نتكلم كلمات مفردة ، ولكننا نكون منها تراكيب وعبارات أو جملاً ووحدات أكبر من ذلك ، ووظائف هذه الوحدات هى بيان الارتباطات والعلاقات بين الأشياء ، أما الأشياء نفسها فيرمز إليها بالكلمات المفردة ، وقد تقوم الكلمة الواحدة فى الحالات القصوى مقام النطق الكامل كما فى الصيحة (حريق)[٣] .

كما أننا فى حاجة إلى مراجعة معى الاستجابة التى يتكون من خلالها المعنى ، ومعنى السياق الذى لابد من ملاحظته قبل استخلاص معنى معين ، ولابد أن نلاحظ أن السياق يعتمد على جانب ملحوظ وجانب محذوف ، ومن الخطر المقارنة بين المعانى دون ملاحظة هذه الجوانب[٤] .

وبعض اللسانيين يفرق بين المعنى المعجمى للكلمة ، وورود الكلمة فى سياقات مختلفة ؛ ولذلك يتساءل هل يمكن أن نجد هذه المعانى المختلفة لكلمة

---

(١) انظر علم الدلالة لبالمر ص ٥١ .

(٢) انظر التحليل الدلالى ص ٩٥ .

(٣) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٣٤ .

(٤) انظر دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ص ٨١ .

فم فى المعجم كالتى نجدها فى مثل هذه السياقات : «التهم الطعام بفمه ، فمه مقفول ، هذا فم جميل ، فالمعنى الأول يعنى : الفم المستعمل فى الأكل ، والمعنى الثانى : الفم المستعمل فى الكلام ، والثالث : ملمح من ملامح الوجه. ويمكن أن نضيف من السياقات معانى أخرى مثل : فم المدفع : مقدمته ، فم البركان : أعلاه أو فوهته ، فم النفق : مدخله أو بدايته»[1] .

ولذلك يقول الدكتور محمود السعران : (إن معنى الكلام لا يتأتى فصله بأية حال من الأحوال عن السياق الذى يعرض فيه)[2] .

ويرى الدكتور أحمد قدور أن أصحاب نظرية السياق درسوا معنى الكلمة متجاوزين أصل الدلالة ، وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول ، إذ اهتموا بالدور الذى تؤديه الكلمات فى السياق والطريقة التى تستعمل بها ، وعلى ذلك عرفوا المعنى بأنه حصيلة استعمال الكلمة فى اللغة من حيث وضعها فى سياقات مختلفة - فالدارس المعجمى - كما يقول أولمان - يلاحظ كل كلمة فى سياقها كما ترد فى الحديث أو النص المكتوب[3] .

كما يلاحظ أن تركيز هؤلاء الباحثين على دور السياق الذى ترد فيه الكلمة جعلهم ينفون أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه ، أو وصفه أو تعريفه ، وقد بالغ بعضهم حقًا حين رأى أن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها فى النظم ، ويرى أولمان أن فى هذا الرأى تبسيطاً للأمور ومبالغة ضخمة ؛ لأن للكلمات المفردة معانى يتواضح عليها المتكلمون، والسامعون ثم تدون فى تضاعيف المعجم ، ومع أن بعض معانى الكلمات

(١) انظر التحليل الدلالى للدكتور كريم زكى حسام الدين ص ٩٥ .

(٢) انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص ٢٦٥ .

(٣) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور احمد قدور ص ٢٩٤ .

يعتريها الغموض الشديد ، فلابد من أن يكون لها معنى أو عدة معانى مركزية ثابتة[1] .

على حين يرى (جاكوبسون) أن الإشارات اللغوية لا تتضح دلالتها إلا من خلال السياق يقول : «فالإشارة اللغوية لا تستطيع أن تقوم بمهمة التواصل والتبادل إلا إذا وجدت فى إطار مجموعة من الإشارات تحدد العلاقات التى تقوم بينها جميعاً الوظيفة التواصلية للإشارة . فكما أن الإشارة اللغوية تجد وظيفتها ضمن نظام الإشارات الذى تنتمى إليه ، ولنأخذ مثلاً على ذلك الجملة التالية (أكل الولد التفاحة) : إن كل إشارة من الإشارات التى تتكون منها هذه المرسلة تستمد معناها ووظيفتها التواصلية من الإشارات الأخرى التى تتكون منها المرسلة . فكل إشارة على حدة لا تعطى المعنى الواضح والكامل الذى تحصل عليه عند وضعها فى مرسلة معينة ، ولذلك نجد (جاكوبسون) يصر على وجود معان ، وليس معنى واحداً ، فالكلمة بذاتها لها معان كثيرة ، والسياق الذى توجد فيه هو الذى يحدد المعنى المقصود من المرسلة[2] .

فالنقطة الأساسية فى نظرية التواصل عند جاكوبسون هى أن الإشارة اللغوية لا تقدم ولا يمكن أن تقدم كل المعنى الذى تحويه ، وأن نسبة كبيرة منه تفهم من السياق ، فالمعنى لا يكمن فى الكلمات فقط بل فى فعل التواصل بمجمله ، بمعنى أن هناك عناصر نحوية ليس لها من معنى دقيق بحد ذاتها ، وإنما تكون حساسة للسياق الذى ترد فيه ، فكلمة (رغب) فى العربية مثلاً يتغير معناها تبعاً للسياق فنقول : (رغب فى الشىء) و (رغب عنه) والتباين واضح بين معنى (رغب) فى الحالة الأولى ومعناها فى الحالة الثانية ، رغم أن حرفى (فى) و (عن) ليس لهما معنى دقيق إذا أخذا منفردين[3] .

---

(١) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٥ .

(٢) انظر نظرية الألسنية عند جاكوبسون ص ٦٩ . (٣) انظر نظرية الألسنية لجاكوبسون ص ١٣٠ .

كما أن على محلل الخطاب التواصلي أن يكون عنصر السياق أساسيًا لديه في تحليل الخطاب ، ففي رأي (براون) و (بول) كلما توفر المتلقي على معلومات عن هذه المكونات تكون أمامه خطوط قوية لفهم الرسالة وتأويلها ، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى ، فعلى محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يرد فيه جزء من خطاب ، إذ هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية في أثناء التأويل ، ومن هذه الحدود المعينات مثل : هنا ، الآن ، أنا ، أنت ، هذا ، ذاك من أجل تأويل هذه العناصر ، حين ترد في خطاب ما ، من الضروري أن نعرف على الأقل من هو المتكلم ، ومن هو المستمع ، وزمان ومكان إنتاج الخطاب ، هذا هو المبدأ العام الذي يحدد أهمية ودور السياق في فهم وتأويل خطاب معين(١) .

وخلاصة هذا المبحث حول مفهوم السياق ما يلي :

أولاً : أن علماء العربية القدماء من لغويين وبلاغيين وأصوليين قد درسوا مفهوم السياق دراسة مستفيضة ، وبينوا أثره في النظم وتحديد دلالات الكلمات والجمل .

ثانياً : أن مفهوم السياق عند المحدثين تشعبت مداركه وأصبحت له نظريات ومدارس ورواد في العصر الحديث من أمثال فيرث وأولمان وغيرهم .

ثالثاً : أن بعض المحدثين بالغ في مفهوم السياق في بيان دلالة الكلمات والجمل من خلال النظم ، وعدّ كل معاني الكلمة لا تظهر إلا من خلال السياق .

وأرى أن للكلمات دلالتين : الأولى نسميها دلالة ثابتة معجمية ، والثانية دلالة سياقية تُفهم من خلال ورود الكلمة ضمن السياق .

---

(١) انظر لسانيات النص للأستاذ محمد خطابى ص ٢٩٧ وتحليل الخطاب لبراون ترجمة الدكتور محمد لطفى ص ٣٥ .

المبحث الثانى

أنواع السياق

أولاً : السياق اللغوى :

السياق اللغوى هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى ، مما يكسبها معنى خاصًا محدّداً . ويشار فى هذا الصدد إلى أن السياق اللغوى يوضح كثيراً من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان الترادف ، أو الاشتراك ، أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك ، فالمعنى الذى يقدمه المعجم عادة هو معنى متعدد وعام، ويتصف بالاحتمال، على حين أن المعنى الذى يقدمه السياق ولاسيما السياق اللغوى - هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم[1] .

ويشمل السياق اللغوى كل العلاقات ، وهى كل العلاقات التى تتخذها الكلمة فى داخل الجملة . وهذه العلاقات الأفقية syntagmatic relations على عكس العلاقات الجدولية وهى العلاقات الاستبدالية التى تتخذها الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها ، وإيضاح هذا بالأمثلة على النحو التالى : أمثلة العلاقات الأفقية : قام بواجبه - شجرة باسقة - كتاب قيم - علم الدلالة، أمثلة العلاقات الجدولية : جلس الطالب على الكرسى - جلس الأستاذ على الكرسى - جلس المدير على الكرسى . وعلى هذا فالعلاقة بين (قام) و (واجب) أفقية ، وكذلك بين (شجرة) و (باسقة) ، وبين (كتاب) و (قيم) ، وكذلك بين (علم) و (الدلالة) . أما العلاقة الجدولية فتجدها بين الكلمات التى يصلح استخدامها فى الموقع نفسه فى الجملة والوحدة ، وهى

---

(١) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٥ .

كلمات الطالب والأستاذ والمدير ، فى إطار البحث الدلالى تعد العلاقات الأفقية بكل أنواعها موضوعاً للسياق اللغوى ، ويدخل فى هذا بالضرورة ظواهر مختلفة منها التضام والتراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة ، ويتناول كل ما يربط كلمتين أو أكثر فى سياق لغوى مثل : اسم + حرف جر الحق له ، الحق عليه، فعل + حرف جر : رغب فى ، رغب عن . . . وهكذ تعد كل علاقات السياق ضرورة فى العمل المعجمى[١] .

وقد ذكر الدكتور نايف خرما مثالاً للسياق اللغوى بقوله : «لنرى كيف يكتسب الفعل (أكل) معانى مختلفة لوقوعه فى سياقات لغوية مختلفة : أكل علىّ طعامه ، أكل علىّ مال اليتيم ، أكل علىّ أصابعه ندماً ، أكل علىّ ضربة على رأسه ، أكلنى جلدى أو رأسى ، أكَلَتْ السكين اللحم ، علىّ يأكل عمره، علىّ يأكل لحوم الناس ، (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) ، أكل علىّ علقة ، هنالك إذن السياق اللغوى الذى يحدد معانى المفردات والذى بدونه لا يتم ذلك ، ولكن هنالك أيضاً قرينة أخرى هى الموقف أو المناسبة التى يقال فيها الكلام ، والتى أطلق عليها اللغويون العرب عبارة المقام[٢] ، فقالوا : (لكل مقام مقال) وهذا بالطبع يؤثر فى معنى الجملة تأثيراً كبيراً .

ومن الأمثلة أيضاً للسياق اللغوى ما ذكره الدكتور أحمد مختار عمر عن كلمة (يد) عندما تستخدم فى سياقات متنوعة مثل ١) أعطيته مالاً عن ظهر (يد) يعنى: تفضلاً ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة ٢) هم (يد) على من سواهم: إذا كان أمرهم واحداً ٣) يد الفأس ونحوه : مقبضها ٤) يد الدهر : مد زمانه ٥) يد الريح : سلطانها ٦) يد الطائر : جناحاه ٧) خلع يده من الطاعة : مثل نزع يده ٨) بايعته يداً بيد : أى نقداً ٩) ثوب قصير اليد : إذا

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمى حجازى ص ١٥٩-١٦٠ .

(٢) انظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ١٢٢-١٢٣ .

كان يقصر أن يلتحف به ١٠) فلان طويل اليد : إذا كان سمحاً ١١) سقط فى يده : ندم[1] .

ويناقش أيضاً السياق اللغوى الدكتور/ محمد حماسة ويذكر أمثلة له بقوله: «وثمة ضرب آخر من السياق هو السياق اللغوى ، وهو يعتمد على عناصر لغوية فى النص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة ، أو عنصر فى جملة سابقة أو لاحقة ، أو فى الجملة نفسها يحوّل مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له، كما فى قوله تعالى : ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (سورة النحل ٤٩) حيث تعد جملة (فلا تستعجلوه) قرينة لغوية سياقية تصرف الفعل (أتى) عن دلالته على الماضى إلى دلالته على المستقبل . وصرف الفعل عن دلالته يصرف الفاعل (أمر الله) بدوره عن دلالته أو بعبارة أخرى يحدد دلالته لأن العناصر المكونة للجملة لن تبقى بدون تغيير إذا صرف عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينة ما ، و (أمر الله) فى سياق هذه الآية ليس مثل (أمر الله) فى هذه الآيات ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ (سورة هود ٤٣) - ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة هو ٧٣) وقوله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات ٩) لقد فسّر (أمر الله) بأنه قيام الساعة وقد أتى الفعل بصيغة الماضى لتحقق وقوع الأمر وقربه . . . إن اختيار المفردات ووضعها معاً فى إطار جملة واحدة يقوم بدور كبير فى تحديد دلالة السياق اللغوى الذى ينعكس بدوره على دلالة المفردات فى الجملة»[2] .

كما حدد (انكفست) للسياق اللغوى مقاييس ثلاثة هى الحقل (Field) الذى يربط الخطاب بموضوعه ، وحالة الخطاب (Mode) وفحوى الخطاب (Tenor) وتعد علاقته بالخاصية الأسلوبية دافعاً أو باعثاً على رصدها لكشف قصد المنشئ من توظيفها كما يقول الدكتور سعد مصلوح موضحاً ذلك : ليس كل انحراف

(١) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٦٩-٧٠ .

(٢) انظر النحو والدلالة ص ١١٦ .

جديراً بأن يعد خاصية أسلوبية مهـمة ، بل لابد لذلك من انتظام الانحراف فى علاقـاته بالـسيـاق ، كما أن إلحـاح المنشـئ علـى أنماط معـينة مـن انحـرافات الاستعمال وإيثارها على غيرها من البدائل ، وما قد تسفر عنه المقارنة بين النص المدروس والنص النمط من اختلاف فى نوعية البدائل المستخدمة وكثافتها ، كل أولئك يعد من المقومات الأساسية للأساليب[1] .

ويناقش أيضاً (بالمر) الـسياق اللغوى بقوله : «إننا نستطـيع غالباً أن نميز بين المعانى المختلفة بالـنظر إلى السياقات اللغوية للكلمات وعلـى سبيل المثال يناقش (نيدا Nida) استخدام كلمة (كرسى Chair) على النحو التالى : ١) جلس على كرسى . ٢) كـرسى عالٍ للأطفـال ، طويل القوائم ومـزود بصينيـة للأكل ، ومسند للـقدمين . ٣) كرسى الأسـتاذية . ٤) يسند إليه مـنصب . ٥) رئيس الجـلسة . ٦) سوف يرأس الاجـتماع . ٧) الـكرسى الكهربـائى . وواضح أن هذه ثنائيات تعطى أربعة معان مختلفـة للكلمة ، لكن هذا إلى حد كبير لا يعيّن اختلافات المعنى . إن المعجمات لاسيما المعجمات الكبيرة تستخدم هذا النوع من السياقية استخداماً جديراً بالاعتبار»[2] .

وقد عرض الدكـتور / أحمد قدور لنظريـة الرصف ضمن السيـاق اللغوى يقول : «وهناك اتجاه معروف ضمن الدرس السياقى اقتصر أصحابه على السياق اللغوى وحده ، وقد دعى بالرصف أو التـساوى ، وقد طرح اللغوى (هاليداى Halliday) هذه الفكرة فـى منتصف الستينـيات ، استناداً إلى أن معنـى الكلمة يتحدد من خلال ورودها مع مجموعة من الكـلمات . فلكى نتوصل إلى معنى الكلمة الدقيق علينا أن نتمعن فى العنـاصر التى تقع معها فى سياق لغوى يقبله

(١) انظر فى العلاقة بين البنية والدلالة للدكـتور سعيد بحيرى ص ٤٦ ، وعلـم الأسلوب / سعد مصلوح ص ٥١ .

(٢) انظر علم الدلالة لبالمر ص ١٤٥-١٤٦ .

أبناء اللغة ، من أمثلة ذلك أن معنى (منصهر) يرتبط بمجموعة من الكلمات نحو : الحديد والنحاس والذهب والفضة . . . ولا يرتبط بكلمات نحو : التراب والخشب والجلد والملح .. وعلى هذا يتحدد معنى (منصهر) من جهة، ويعرف أنها لا ترد في سياق لغوى مقبول مع المجموعة الثانية من الكلمات من جهة أخرى[1] .

كما ترد كلمة (أطلق) في العربية في سياقات لغوية مثل قولنا : أطلق لحيته - أطلق يده في الأمر - أطلق عليه اسماً - أطلق ساقيه للريح - أطلق عليه الرصاص - أطلق صاروخاً - أطلق المدفعية إحدى وعشرين طلقة - أطلق سراحه . لكن (أطلق) لا ترد في سياقات مثل : أطلق الأستاذ محاضرة ، أو أطلق الرجل الملح على الطعام ، أو أطلق العالم علمه على الناس . وبذلك يتبين عن طريق السياقات اللغوية التي يمكن أن ترد فيها كلمة (أطلق) معناها أو معانيها المتعددة . إن دراسة المعنى من خلال السياق اللغوى كما رأينا - توقف المرء على المعنى الدقيق الذى يحدد تحديداً نابعاً من معطيات الاستعمال الفعلى البعيد عن الوصف التقريبي للمعنى[2] .

ثانياً : سياق الموقف (سياق الحال) :

يدل سياق الموقف على العلاقات الزمانية والمكانية التى يجرى فيها الكلام. وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السياق ، كما عبر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام) ، وقد غدت كلمتهم (لكل مقام مقال) مثلاً مشهوراً ، ويرى الدكتور تمام حسان أن ما صاغه مالينوفسكى تحت عنوان (Context of situation) سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما

(١) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٣٠١ وعلم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٧٤.

(٢) انظر مبادئ اللسانيات ص ٣٠١ .

فوقهـا. لكن كتب هـؤلاء لم تجد من الدعـاية على المستوى العالمـى ما وجده مصطلح مالينوفسكى من تلك الدعايـة بسبب انتشار نفوذ العالم الغربى فى كل الاتجاهات[1] .

كما أن مـا يؤديه المقام للـمعنى من تحـديد ومناسبـة ظرفية ، يتطـلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التى يجرى الكلام فيها . ولذلك يمهد للآثار الأدبية بدراسته للبيئة الزمانية والمكانية والملابسات الشخصية لما لها من أهمية فى معرفة المعنى المقصود فى تلك الأثناء[2] .

لكن الدكـتور محمود السـعران يرى أن مالينـوفسكى أضاف معـنى جديداً باسـتخدامـه سياق الحال يـقول : «واسـتـعمل مـالينـوفسكى ذلـك المصطـلح (Context of situation) سياق الحال . نعم أنّ كلمة Context : السياق ، كانت متداولة بين اللغويـين من قبله ، ولا تزال متداولة بينهم ، ولكـن مالينوفسكى أضفى علـى الاصطلاح (سياق الحال) معـنى خاصًا ، ثم تطور هذا المـصطلح تطوراً آخر باستعمال الأستاذ (فيـرث) له فى دراسته اللغوية . و (سياق الحال) عند الأستاذ فيرث نوع من التجريد من الـبيئة ، أو الوسط الذى يقع فيه الكلام وهذا التجريد يقـوم به اللغويون للوفاء بدراستهم . وسـياق الحال يشمل أنواع النشـاط اللغوى جميـعاً كلاماً ، وكتابـةً ، وقد رأينا أن (بلـومفيلد) السـلوكى النزعة يحد سياق الحال بظواهر يمكن تقريرها فى إطار من (الأحداث العملية). إنّ (سياق الحال) عـند بلومفيـلد مادى ، ولهذا فهو يـتجاهل حقائـق لها شأن بالكلام»[3] .

إنّ (سياق الحال) هو جـملة العناصر المكـونة للموقف الكلامـى أو للحال

(١) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٨ .

(٢) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص ٣١٠-٣١٢ .

الكلامية ، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية :

١ - شخصية المتكلم والسامع ، وتكوينهما الثقافى وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوى ، ودورهم أيقتصر على الشهود أم يشاركون من آن لآخر بالكلام والنصوص الكلامية التى تصدر عنهم .

٢ - العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوى لمن يشارك فى الموقف الكلامى كحالة الجو إن كان لها دخل ، وكالوضع السياسى . . . إلخ ، وكل ما يطرأ فى أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامى من أنفعال أو أى ضرب من ضروب الاستجابة ، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامى أيًا كانت درجة تعلقه .

٣ - أثر النص الكلامى فى المشتركين ، كالاقتناع ، أو الألم ، أو الإغراء ، أو الضحك . وهكذا يتضح أن من أهم خصائص (سياق الحال) إبراز الدور الاجتماعى الذى يقوم به المتكلم وسائر المشتركين فى الموقف الكلامى .

٤ - وإن نظرية اللغة التى تقوم على التصور الخاص بـ (سياق الحال) تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية ، بمعنى أنها بهذا التصور تستطيع أن تدرس وتفسر جميع أنواع الوظائف الكلامية(١) .

ويشرح الدكتور أحمد مختار عمر معنى سياق الحال بقوله : «وأما سياق الموقف فيعنى الموقف الخارجى الذى يمكن أن تقع فيه الكلمة مثل استعمال كلمة (يرحم) فى مقام تشميت العاطس (يرحمك الله) : البدء بالفعل ، وفى مقام الترحم بعد الموت (الله يرحمه) : البدء بالاسم ، فالأولى : تعنى طلب

(١) انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص ٣١٠-٣١٢ والتحليل الدلالى ص ٩٧-٩٨ والكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٥٨ ولسانيات النص للأستاذ محمد خطابى ص ٥٢-٥٣ .

الرحمة فى الدنيا ، والثانية : تعنى طلب الرحمة فى الآخرة ، وقد دلّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوى المتمثل فى التقديم والتأخير»[1] .

ويرى الدكتور محمود فهمى حجازى أنّ سياق الموقف ضرورى لتحديد الدلالة وفهم المعنى ويطلق عليه السياق الاجتماعى يقول : «أما السياق الاجتماعى فهو أيضاً ضرورى فى تحديد الدلالة ، ويكفى أن نشير إلى أنّ عبارة (سلام عليكم) تحمل دلالات تختلف باختلاف التنغيم فى نطقها وفقاً للمواقف الاجتماعية المختلفة ، فنطقها عند الغضب يختلف عنها عند التحية . ودراسة استخدام الكلمة أو العبارة أو التركيب فى الموقف الاجتماعى أمر متعدد الجوانب ، ولابد من أن تضع الدراسة العناصر المختلفة المحددة لطبيعة هذا الموقف وفى مقدمتها :

أ - الزمن (وقت العمل ، وقت الراحة الأسبوعية ، وقت العطلة الأسبوعية) .

ب - المكان (مكان العمل ، منزل ، نادى ، مدرسة ، قطار) .

جـ- مكانة المتحدث (الوظيفة ، الثروة ، العمر) .

د - مكانة المخاطب (الوظيفة ، الثروة العمر) .

هـ- العلاقة بينهما (رسمية ، قرابة ، صداقة ، عدم معرفة) .

و - الأفعال غير اللغوية المصاحبة للحدث (حركات اليد ، قسمات الوجه) .

ز - الموضوع (موضوع عمل ، موضوع شخصى ، موضوع سياسى) .

ح - العناصر المادية بالموقف (المنظر الطبيعى ، المنزل)[2] .

وبذلك يكون عرض الدكتور محمود فهمى حجازى لسياق الموقف يختلف

---

(١) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٧١ .

(٢) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمى حجازى ص ١٦٠ .

عن عرض الدكتور محمود السعران ، وأرى أنّ كليهما يكمل بعضه بعضاً فى تحديد الدلالة بالنسبة للسياق الاجتماعى .

كما أنّ المعنى عند الأستاذ (فيرث) هو كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية ، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية ، ثم المورفولوجية والنحوية والقاموسية ، والوظيفة الدلالية لسياق الحال ، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذى يراعى عند دراستها . والحقيقة أن هذه الطريقة من طرق دراسة المعنى ترسم (تحليلات) عملية للمعنى على مستويات مختلفة ، ومما تجدر ملاحظته أن التحليلات اللغوية كلها على المستويات المختلفة ليست المعنى ، ولا هى دراسة المعنى ، فلابد للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التى توصل إليها هذه التحليلات جميعاً ربطاً يدخل فى اعتباره سائر عناصر سياق الحال[1] .

ويستخلص الدكتور السعران من كلام الأستاذ فيرث الأسس التى يرتكز عليها سياق الحال فى دراسة المعنى بقوله : «وهكذا فالأستاذ فيرث يرى أنّ الوصول إلى معنى أى نص لغوى يستلزم :

١ - أن يحلل النص اللغوى على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية والفونولوجية والموروفولوجية والنظمية والمعجمية .

٢ - أن يبين (سياق الحال) : شخصية المتكلم ، شخصية السامع ، جميع الظروف المحيطة بالكلام .

٣ - أن يبين نوع الوظيفة الكلامية : تمنّ ، إغراء . . . إلخ .

٤ - وأخيراً يذكر الأثر الذى يتركه الكلام (ضحك، تصديق، سخرية . . إلخ)[2] .

(١) انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص ٣١٢ ولسانيات النص للأستاذ محمد خطابى ص ٥٢-٥٣ .

(٢) انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص ٣١٢ ولسانيات النص ص ٥٢-٥٣ .

وقد طور (هايمز) فى عدد من المقالات منهجاً مماثلاً فى التركيز على أهمية المبدأ الاجتماعى فى فهم عمليات التواصل بين المجموعة العرقية ، ويعرف هايمز دور السياق فى الفهم بأنّه يحصر من جهة عدد المعانى الممكنة ، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبنى المعنى المقصود : «إنّ استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعانى ، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعانى . فعندما تستعمل صيغة فى سياق ما ، فإنّها تستبعد كل المعانى الممكنة لذلك السياق والتى لم تشر إليها تلك الصيغة : والسياق بدوره يستبعد كل المعانى الممكنة لتلك الصيغة التى لا يحتملها السياق[1] .

كما أخذ هايمز بأسلوب يذكرنا بأسلوب فيرث ، فهو يركز فى المقام الأول مثل فيرث على الأشخاص المشاركين فى الحدث الكلامى ، ثم أن التعميم الذى يجريه على الأحداث الكلامية يمكنه من تجريد وظيفتى (الباث) والمتلقى[2] .

ويرى الدكتور صلاح فضل أنه ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار (سياق الموقف) عند الدراسة الأدبية للأسلوب ، ويرى بأنّ النص فى نهاية الأمر ليس سوى تعبير يشكل جزءاً من عملية اجتماعية معقدة ؛ مما يجعل من الضرورى استحضار الملابسات الشخصية والاجتماعية واللغوية والأدبية (والأيديولوجية) التى كتب فيها النص ؛ ما دمنا نريد أن نجرى عليه اختباراً جاداً فى نطاق تحليل أدبى مكتمل[3] .

وأرى أنّ كل ما قاله المحدثون من ظروف اجتماعية ومقامية تكوّن سياق الموقف لخصه البلاغيون القدماء فى عبارة (لكل مقام مقال) وكلمة المقام تقتضى الظروف السياقية والاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامى .

---

(١) انظر تحليل الخطاب ص ٤٧ .

(٢) انظر تحليل الخطاب ص ٤٧ .

(٣) انظر علم الأسلوب للدكتور صلاح فضل ص ٢٥٠ .

ثالثاً : السياق العاطفى :

وأما السياق العاطفى فيحدد درجة القـوة والضعف فى الانفعال مما يقتضى تأكيـداً أو مبالغـة أو اعتدالاً فكـلمة (love) الإنجليزية غـير كلمة (like) رغم اشتـراكهما فـى أصل المعنـى وهو الحب ، وكلـمة (يكـره) العربيـة غير كلـمة (يبغض) رغم اشتراكهما فى أصل المعنى كذلك[1] .

كما يشـرح السياق العاطـفى (أولمان) بقوله : «المعنى العاطفـى : السياق وحده هو الذى يوضـح لنا ما إذا كانت الكلمة يـنبغى أن تؤخذ على أنهـا تعبير موضوعى صرف أو أنها قصد بها - أساساً - التعبير عن العواطف والانفعالات . ويتضـح هذا بصيغـة خاصة فى مـجموعة معـينة من الكـلمات نحـو (حرية وعدل) التى قد تـشحن فى كثير من الأحـيان بمضمونات عاطفـية بل إنّ بعض الكلمات المستعملـة فى الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمـة عاطفية قوية غير متوقعـة فى المواقف الانفعـالية مثل ذلك كلـمة (جدار) وفى هذه القـطعة من (حلم ليلة فى منتصف الصيف) :

وأنـت أيـهـا الجـدار أيـهـا الجـدار الحـلـو الجـمـيـل
أنـت الـذى تحـول بـين بـيـت أبـيـهـا وبـيـتـى
أنـت أيـهـا الجـدار أيـهـا الجـدار الحـلـو الجـمـيـل
ألا تـتـصـدع مـن أجـلـى فـألمحـهـا بـعـيـنـى
شكراً لـك أيها الجدار المهذب : رعـاك الله من أجل هذا الصنيع
لا أنـت أيهـا الجـدار اللـئيـم الـذى لا أرى من خـلالـه رحمـه
لـعـنـة الله عـلـى كـل حـجـر فـيـك لـقـد خـدعـتـنـى

(١) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٧١ .

وهكذا نرى أنّ السياق وحده هو الذى يساعدنا على إدراك التبادل بين المعانى الموضوعية والمعانى العاطفية والانفعالية»[1] .

كما يحدد السياق العاطفى أيضاً درجة الانفعال قوة وضعفاً ، إذ تنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال . مثال ذلك أنّ المتكلم الذى يكون فى حالة من الشعور الجامح يغلو فى استعمال كلمات قد لا يقصد هو نفسه معناها الحقيقى فتكون محمّلة بما يعتوره من اندفاع ، فالمتكلم الذى يكون فى مثل هذه الحالة يستعمل كلمات من نحو: القتل والذبح ، والاحتقار ، والاستكراه الشديد ، دون أن يقصد دلالتها الموضوعية ، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة فى التعبير فى حالته العاطفية . كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعانى الانفعالية والعاطفية، كأن تنطق وكأنها تمثل معناها تمثيلاً حقيقيًا ، ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام فى هذا الصدد من أهمية فى إبراز المعانى الانفعالية[2] .

رابعاً : السياق الثقافى :

فأما السياق الثقافى فيقتضى تحديد المحيط الثقافى أو الاجتماعى الذى يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ، فكلمة مثل Looking glass تعتبر فى بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة mirror وكذلك كلمة rich بالنسبة لكلمة wealthy وكلمة (عقيلته) تعد فى العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلاً . وكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع ، ومعنى ثان عند اللغوى ، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات[3] .

(١) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٦٣-٦٤ .

(٢) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٧ .

(٣) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٧١ .

كما يتفـرد السياق الثقافى بدور مـستقل عن سياق الموقف الـذى يقصد به عادة المقام من خـلال المعطيات الاجتماعـية . لكن هذا لا ينفى دخـول السياق الثقافى ضمن معطيات المقام عموماً ، ويظهر السياق الثقافى فى استعمال كلمات معينة فى مستـوى لغوى محدد . فالمثقف العربى المعاصر يـختار كلمة (زوجته) أو (مدام) للدلالة على امرأته ، على حين يـستخدم الرجل العادى كلمة (مَرَه) للدلالة على زوجته[1] .

ويحدد السياق الثقافى الدلالة المقصودة مـن الكلمة التى تستخدم استخداماً عاماً . فاستعمال كلمة (الصرف) لدى دارسـى العربية وطلابها تعنى مباشرة أن المقصـود هو علم الصـرف الذى تعرف به أحـوال الكلمة الـعربية من اشـتقاق وتغيـير وزيادة ونحو ذلـك ؛ على حين أن دارسى الهـندسة وطلابهـا يحددون دلالة (الصرف) عـندهم بأنها مصـطلح علمى يشيـر إلى عمليات التـخلص من المياه بأى وسيلة ، ولـذلك تراه يرتبط عندهم بمصطلـح آخر هو (الرى) وهكذا يتحدث هؤلاء عن (الرى والصرف) أما إذا استعـملت كلمة (الصرف) فى قطاع المال والتـجارة ، فإن لهـا دلالة أخرى تشير إلى نتحـويل العمـلة النقـدية من الوجود فى الحساب المصـرفى مثلاً إلى التداول الفعلى ، أو تحويـل العملة من فئة إلى فئة أو من نقد إلى آخر[2] .

---

(١) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٩ .

(٢) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٢٩-٣٠٠ .

مجالات البحث حول السياق :

أولاً : دور السياق فى تحديد معانى الكلمات حينما ترد فى سياقات متعددة :

يقول الدكتور تمام حسان حول هذا المعنى : «والذى يجب أن لا يغيب عن أذهاننا دائماً أن الكلمة فى المعجم لا تفهم إلا منهزلة عن السياق ، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات فى المعجم بأنها (مفردات) ، على حين لا توصف بهذا الوصف وهى فى النص ، وإن تعدد معنى الكلمة فى المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول فى أكثر من سياق ، وثبوت ذلك لها يسبق استعمالها فى نصوص عربية قديمة وحديثة ، ومن صلاحيتها للدخول فى أكثر من سياق يأتى تعدد معناها واحتماله فى حالة الإفراد ، وإذا أردنا أن نضرب مثالاً لتعدد معانى الكلمة المفردة واحتمالها فلدينا مثالان نوردهما هنا ، ونرصد تعدد المعنى فيهما وهما كلمتا (صاحب) و (ضرب) فأما كلمة صاحب فيتعدد معناها على النحو التالى :

١ . لقب (أى ذو) نحو صاحب الجلالة

٢ . مالك نحو صاحب البيت

٣ . صديق نحو صاحبى

٤ . رفيق نحو صاحب رسول الله ﷺ

٥ . منتفع نحو صاحب المصلحة

٦ . مستحق نحو صاحب الحق

٧ . مقتسم نحو صاحب نصيب الأسد

«فكلمة صاحب بمفردها تحتمل هذه المعانى السبعة ، ولا تختص بواحد

منها إلا عند التضام مع المضاف إليه ، وهذا التضام أضعف صورة من صور الدخول فى سياق ولذلك يعتبر كل مثال من الأمثلة السبعة الواردة مما يحدد معنى واحداً»[1] .

كما أن الكلمات فى المعجم ذات أبعاد دلالية متعددة تجعلها صالحة للدخول فى أكثر من سياق ، ومن ثبوت ذلك لها يأتى بالضرورة تعدد معناها ، واحتماله فى حالة الإفراد ، والأمثلة على صدق ذلك أكثر من أن تحصى فمثلاً الفعل (ضرب) الذى أحصى له المستشرق دوزى Dozy فى معجمه استعمالات كثيرة نتبين منها إلى أى مدى يدل هذا الفعل فى التراكيب التى أحصاها على أكثر من معنى : ١) ضرب مدفعاً : بمعنى أطلقه . ٢) ضرب النار : بمعنى أشعل . ٣) ضرب البرق بمعنى : زمر . ٤) بينما أنا فى السوق ضرب على شرطى بمعنى : قبض . ٥) ضرب على يديه بمعنى : منعه . ٦) ضرب فيه عند الخليفة بمعنى : وشى . ٧) ضربوا بينهم المشورة بمعنى : تشاوروا . ٨) ضربوا القرعة بمعنى : اقترعوا . ٩) ضرب كلمة بمعنى آذاه . ١٠) ضرب كفاً : بمعنى لطمه . ١١) ضرب بعينه بمعنى : نظر . ١٢) ضرب بعقله بمعنى : فكر . ١٣) ضرب الإسلام الجاهلية بمعنى : أبطل . ١٤) ضرب الرمل بمعنى : كشف عن الطالع ، وقد تأتى فى تعبير فتفيد بالتضام غير ذلك كإفادة معنى الارتباك فى عبارة «ضرب أخماساً فى أسداس» والمعنى معجمى فى الكلمة المفردة فقط أما حين تدخل فى السياق ؛ فإن معناها لا يسمى معجمياً نظراً إلى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التى قد تعطى الكلمة من المعانى ما لا يرد على بال صاحب المعجم[2] .

---

(١) انظر اللغة العربية مبناها ومعناها للدكتور تمّام حسان ص ٣٢٤ والكلمة دراسة لغوية للدكتور حلمى خليل ص ١٥٦ .

(٢) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٥٥-١٥٦ واللغة العربية مبناها ومعناها ص ٣٢٤ ، وانظر النحو والدلالة ص ٥٦ .

ويقول عبد القاهر الجرجانى : «إن الألفاظ المفردة هى التى أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها فى أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينها فوائد»[1] .

ولعل هذا قريب مما يتداوله الباحثون فى علم اللغة الحديث من أن للكلمة الواحدة دلالتين دلالة معجمية وأخرى سياقية تبرز من خلال وقوع الكلمة فى سياق أو نص معين[2] .

ونظرية (فتجنشتين) رائد الفلسفة اللغوية فى طبيعة قائمة على أن (اللغة لعبة) وقصد بذلك أن اللغة ليست حساباً منطقيًّا دقيقاً لكل كلمة معنى محدد ، ولكل جملة معنى محدد ولكل الجمل وظيفة واحدة ، وإنما تتعدد معانى الكلمة بتعدد استخداماتها لها فى اللغة العادية وتتعدد معانى الجملة الواحدة حسب السياق الذى تذكر فيه ، وأن بين تعدد الاستخدامات للكلمة والجملة (تشابهاً أسريًّا) ، وأن الكلمة مطاطة تتسع استخداماتها حسب الظروف والحاجات[3] .

ومن المقرر أن مجال الكلمة قابل للتغيير فى كثير من الأحيان فالكلمة (إنجليزى) Englich حين تؤخذ على أنها مصطلح لغوى عام يكون مجال استعمالها أوسع بكثير مما يكون لها حين ننظر إليها على أنها مصطلح (قومى) أى حين توضع فى مقابلة أيرلندى وويلزى ، وسكوتلاندى والسياق وحده هو الذى يعين حدود هذه الكلمة فى أى موقف معين وكلمة (man) حين تقابل بكلمة animal (حيوان) تشمل النوع الإنسانى كله ، ولكنها تعنى نصف هذا النوع فقط حين تقابل بكلمة woman (امرأة) ، وليس هذا فقط ، بل إن

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣٥٣ .

(٢) انظر علاقة الارتباط والربط ص ٨٢ .

(٣) انظر فى فلسفة اللغة ص ١٠٦-١٠٧ .

الكلمات ذات المعانى المركزية الثابتة إلى حد ما لها هى الأخرى صور مختلفة فى التطبيق والاستعمال فالسياق وحده هو الذى يستطيع أن يبين لنا ما إذا كانت الكلمة (قريب) مثلاً تعنى قرابة الرحم أو أقرب فى المسافة[1] .

كما يرى (فيرث) أن الكلمة ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته ، وأن وجودها ومعناها شيئاً نسبيًا ، يمكن ملاحظة كل منهما فى سياق غيرهما من الكلمات والمعانى ، أو عن طريق التقابل بينهما ، وعلى ذلك فإن ما تدل عليه الكلمة ينحصر فى وظيفتها التى لا تعرف إلا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات، وتأثيرها فى إطار الظروف والملابسات التى تستعمل فيها ، كالإشارات والحركات الجسمية ، أو الضحك أو الغمز أو غير ذلك ، وهذه الظروف والملابسات هى التى تساعدنا على الوصول إلى تحديد تلك العلاقة بين الكلمات وما تدل إليه ، بل هى التى تحدد وظيفة الكلمة ودلالتها[2] .

وقد تظهر القيمة الحقيقية للكلمة من خلال التركيب الذى يكسبها روحاً لن تتوافر لها إذا أفردت ، وهذه الروح إنما تكتسب من السياق الذى يرد فيه هذا التركيب ، فكما أن اللفظة فى إفرادها تكتسب معنى فى نفسها من وضعها اللغوى ، نجدها تكتسب فى التركيب وفى السياق معنى إضافيًا حتى إذا عزلناها وميزناها من تركيبها ضعفت ونقصت وهذا المعنى الإضافى هو ما يطلق عليه الرافعى روح التركيب[3] .

ويذكر الدكتور كريم حسام الدين مثالاً على كلام فيرث عن تحديد السياق لدلالة الكلمة ، وهو استخدام الفعل (أكل) ومعانيه المتعددة من خلال السياقات المختلفة ومن خلال مجتمعين أو بيئتين لغويتين مختلفتين . فنعرض

---

(١) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٦٤ .

(٢) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ٩٥ .

(٣) انظر البلاغة والأسلوبية ص ٨١-٨٢ وإعجاز القرآن للرافعى ص ٣٢٥ .

أولاً للفعل في المستوى الأول الذى يتمثل فـى السياقات القرآنية التالية ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الـرَّسُولِ يَأْكُلُ الـطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ (سورة الفرقان ٧) بمعـنى : التغذية للإنسان ، وقوله : ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (سورة يوسف ١٣) بمعنى الافتراس لـلحيوان ، وقوله : ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ الـلَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ الـلَّهِ﴾ (سورة هود ٦٤) بمعنى : الرعى لـلحيوان ، وقوله : ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ (سورة سبأ ١٤) بمعنى : القرض للحشرات ، وقوله : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (سورة الحجرات ١٢) بمعنى : الغيبـة للإنسان ، وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ (سورة النساء ١٠) بمعـنى : الاخـتلاس للإنـسان ، وقـوله : ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ (سورة آل عمران ١٨٣) بمعنى : الاحتراق للجماد . لقد استطعنا من خلال السـياق اللغوى تحديـد المعانى المختلـفة للفعل (أكـل) الذى ورد فى سياقات قرآنية متعددة[1] .

فتاريخ الكلمة ومـا لحقها من معان تفصل أو تخصص مضـمارها تستحضر فى أثناء قراءة الأثر الأدبى ، ولكن الاختيار من ذلك التراكم يتخذ لنفسه أساساً ينطلق مـنه ، وهو السياق الواردة فيـه الكلمات وإلا وقعنا فـى الاضطراب فما الذى نأخـذه ، وماهو البـعيد المتروك ؟ وإن صـاحبى (نظـرية الأدب) يوردان المصطلحات بوضوح «فـإن معنى الشعر يعتمد على السيـاق ، فالكلمة لا تحمل معها فقط معناها المعجمى ، بل هالة من المترادفات والمتجانسات ، والكلمات لا تكفى بأن يكون لها معنى فقط ، بل تثيـر معانى كلمات تتصل فيها بالصوت أو بالمعنى أو بالاشتقاق[2] .

وتتطـور فكرج السيـاق وتأخذ شكلاً أكـثر تحديداً عـندما أبرز علـماء هذه

(١) انظر التحليل الدلالى للدكتور كريم حسام الدين ص ٩٥-٩٦ .

(٢) انظر علم الدلالة للدكتور فايز الداية ص ١٩٠-١٩١ .

المدرسة ، وهو اللساني الإنجليزي فيرث Firth الذى رأى دراسة المعنى من خلال إطار منهجى يقوم على تحليل المعنى الذى يتركب من مجموعة من الوظائف اللغوية ، ولكى نصل إلى معنى أى كلمة أو نص لغوى يجب أن نلتزم بما يلى :

أولاً : تحليل السياق اللغوى صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ومعجميًا .

ثانياً : بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام .

ثالثاً : بيان نوع الوظيفة الكلامية مدح ، هجاء ، طلب .

رابعاً : بيان الأثر الذى يتركه الكلام كالاقتناع والتصديق أو التكذيب .

وبناء على ذلك فإننا لا يمكن أن نحدد دلالة كلمة ما ووصفها وصفاً كاملاً إلا من خلال سياق أعلى أو أوسع[1] .

كما يقوم السياق فى أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة فى جملتها ، ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه ، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة التى يصفها الدكتور تمام حسان بأنها قفزة من قفزات الفكر وهى : (لكل مقام مقال) ولا تكون العلامة النحوية ميزة فى ذاتها ، ولاللكلمات المختارة ميزة فى ذاتها ولا لوضع الكلمات المختارة فى موضعها الصحيح ميزة فى ذاتها ما لم يكن ذلك كله فى سياق ملائم[2] .

ثانيا : علاقة السياق بموقع الجمل :

هناك مبدأ عام لعبد القاهر الجرجانى يرى بأن الجملة ذات معنى دلالى

---

(١) انظر التحليل الدلالى ص ٩٨ .

(٢) انظر النحو والدلالة ص ٩٨ .

واحد ، ويقتضى هذا المبدأ النظر إلى الجملة على أنها كيان مستقل بنفسه ، يمثل وحدة تامة نحويًا ودلاليًا ، ويبدو أن استقلال الجملة أمر نسبى يحكمه موقعه فى السياق ؛ فقد تكون الجملة مستقلة فى سياق معين ، وتكون هى نفسها غير مستقلة فى سياق آخر ، فحين يقال : لا أحب شرب القهوة التى يُعدُّها زيد . يمكن القول أنّ هذا المثال جملة مستقلة ، تمثل وحدة تامة نحويًا ودلالياً ، وتؤدى معنى دلالياً واحداً ، ذلك على الرغم من تكونها من جملتين بسيطتين مربوطتين بالاسم الموصول (التى) والضمير (ها) وهاتان الجملتان هما ١٥- لا أحب شرب القهوة ١٦- يعد زيد القهوة . ومن الملاحظ أن المتكلم لا يخبر فى الجملة عن عدم حُبه لشرب القهوة على كل حال ، وإنما يخبر عن عدم حبّه لشرب القهوة المقترنة بإعداد زيد إياها ، وهذا هو المعنى الدلالى الواحد الذى تفيده الجملة[1] .

فنجرب وضع الجملة (١٥) فى سياق آخر ، وليكن جزءاً من حوار بين شخصين (١٧) هل أطلب لك فنجاناً من القهوة ؟ (١٧ ب) لا أحب شرب القهوة . يمكن القول بأن الجملة (١٧ ب) جملة مستقلة تمثل وحدة تامة نحويًا ودلالياً ، وتؤدى معنى دلالياً واحداً ، هو الإخبار عن عدم حب المتكلم لشرب القهوة على كل حال ، ويعنى هذا أنّ السياق هو الذى يحكم استقلال الجملة ووسيلته إلى ذلك لا تخرج عن الظواهر الثلاث : الارتباط والربط والانفصال، وإذا كنا قد رأينا أثر الربط فى الجملة (١٤) ، وأثر الانفصال فى الجملة (١٧ ب) فأثر الارتباط (أى نشوء علاقة دون استعمال أداة) يبدو واضحاً فى الجمل الآتية : (١٨ أ) - لا أحب شرب القهوة التركية ، (١٨ ب) - لا أحب شرب القهوة باردة ، (١٨ ح) - لا أحب شرب القهوة حبًّا شديداً، ومن هنا نفترض تعريفاً مبدئيًا للجملة هو «الجملة وحدة تركيبية تؤدى معنى

(١) انظر نظام الارتباط والربط ص ١٤٧-١٤٨ .

دلاليًا واحداً ، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال فى السياق[1].

ويرى الدكتور محمد حماسة أن هناك محاور ترتكز عليها الجملة التى تعد صحيحة نحويًا ودلاليًا فى اللغة هى :

١ - وظائف نحوية بينها علاقات أساسية تمد المنطوق بالمعنى الأساسى .

٢ - مفردات يتم الاختيار من بينها لشغل الوظائف النحوية السابقة .

٣ - علاقات دلالية متفاعلة بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة .

٤ - السياق الخاص الذى ترد فيه الجملة سواء أكان سياقاً لغوياً أم غير لغوى[2].

وهكذا تستطيع أن تقتنص الجملة نفسها من سياق ما ، وكل سياق لابد أن يختلف عن الآخر فى زمانه ومكانه وملابساته المتعددة . والنحو التعليمى بطبيعة الحال لا يعنى بكل هذه الملابسات وما يكتنف السياق ، بل يغنيه توضيح جانب واحد من جوانب المعنى ، وهو المعنى النحوى المجرد ، أى علاقة الفاعلية والمفعولية وغيرهما ، وإن كان يجد نفسه فى بعض الأحيان مضطراً للرجوع إلى السياق وملابسات الكلام من أجل توضيح المعنى نفسه وهذا هو ما نعنيه هنا . هذا الضرب من السياق كما هو واضح سياق غير لغوى ، أى ليست له عناصر لغوية صوتية فى الجملة وهو ما يعرف بقرينة المقام أو الحال أو القرينة المعنوية أحياناً[3] .

ويفهم من الحديث السابق أن السياق له دور فعال فى تحديد دلالات الجمل

---

(١) انظر نظام الارتباط والربط ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢) انظر النحو والدلالة للدكتور محمد حماسة ص ٥٢ .

(٣) انظر النحو والدلالة ص ١١٤ .

ويرتبط أيضاً بسياق المقام .

وقد أولى اللغويون اهتماماً متزايداً منذ بداية السبعينات لدور المقام فى فهم الجمل . ونجد لدى سيدوك (١٩٧٨ ص ٢٨١) تعبيراً عما يترتب عن أخذ المقام بعين الاعتبار حيث يقول : «هكذا يواجه دعاة علم المقاصد اللسانى مشكلاً منهجياً حاداً ، فلو سلمنا بوجود بعض أوجه لمدلول جملة ما فى مقام ما فهل هذه الأوجه جزء من مدلول الجملة بحكم معناها . . . أم هل يجب أن نصل إليها بعد بحث يمكننا من استشفافها من بقية معنى الجملة والحقائق المتعلقة به ذات الصلة بالمقام ، وذلك بناء على قواعد جرايس ؟ لو بدأنا بتناول الجزء الثانى من هذا السؤال بجدية ، فلابد أن نكون قادرين على تحديد الحقائق المرتبطة بالموضوع والتى يقدمها المقام[١] .

ثالثاً: تحديد دلالة الزمن واسم الفاعل من خلال السياق :

لقد أيد الزجاجى الكوفيين بوجود فعل للحال سماه الفعل الدائم ، وهو صيغة (فاعل) إذا استعملت مع ضمائمها فى الكلام ، ولعلهم قالوا بذلك لما لمحوا فى هذه الصيغة من دور وظيفى يشبه دور الفعل ، وفى اعتقادى أن هذه الصيغة تختلف عن الفعل شكلاً ووظيفة ، فالفعل معناه الحدث والزمن ، وهذه الصيغة معناها الموصوف بالحدث والزمن فى الفعل هو وظيفته الصرفية ، وهو زمن صيغى بينما الزمن فى صيغة (فاعل) زمن نحوى يستفاد من السياق وتحدده القرائن القولية والسياقية ، هذا على مستوى الوظيفة ، أما على مستوى الشكل فإن هذه الصيغة لا تقبل علامة شكلية واحدة من علامات الفعل ، وما ذكرناه عن صيغة (فاعل) ينطبق تماماً على ما يسمى عند النحاة باسم المفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة وأفعل التفضيل[٢] .

(١) انظر تحليل الخطاب ص ٤٤-٤٥ .

(٢) انظر أقسام الكلام العربى من حيث الشغل والوظيفة ص ٧٣ .

كما كان علـى النحاة أن يدركوا أنّ الأفـعال مجرد صيغ وألفـاظ تدل على زمن ما هو جزء من معنى الصيغـة لا على زمن معين ، وأن السياق أو الظروف القولية بقرائنها اللفظية والحالية هـى وحدها التى تعيّن الدلالة الزمنية وترشحها لزمن بـعينه ، كـان عليهـم أن يدركوا أن الدلالـة على الزمـن لا تنحصـر فى الأفعال، بل تتعداها إلى الصفات[1] .

حيث إن مـعنى الزمن فـى الفعل يأتـى على المستوى الصرفى مـن شكل الصيغـة ، وعلى المستوى الـنحوى يأتى من مـجرى السياق ، ومعـنى ذلك أن الزمن وظيفـة الصيغة الفعلية المـفردة فهو زمن صرفى من هذه الـناحية ، وهو وظيفة السـياق حين نستخدم فى التركـيب الكلامى وبهذا يكون الزمـن فيه زمناً نحوياً لا صرفياً ، فالفعل الماضى قد يـدل فى السياق على المستقبل ، والمضارع قد يدل فى السـياق على الماضى ، فالزمـن النحوى ظاهرة تتوقـف على الموقع والقرينة لا على الصيغة المجردة[2] .

أما من حيث المعنى ، فـإن الأفعال الثلاثة تختلف فى دلالتها بـصيغها علي الزمن، فصيغة (فعل) ونحوها مقصورة على الزمن الماضى ، وأن صيغتى يفعل وأفعل ونحوهما إما أن يكونا للحال ، أو لـلاستقبال فلا يتحدد لأى منهما أحد المعنيـين إلا بقرينة السياق ، لأن الـسياق يحمل من الـقرائن اللفظية والمـعنوية والحاليـة ما يعين على فـهم الزمن فى مجـال أوسع من مجرد المجال الـصرفى المحدود ولذلك أكد الأستاذ الدكتور تمام أن نظام الزمن جزء من النظام الصرفى فى الفعل وأما الزمن السياقى النحوى فإنه جزء من الظواهر الموقعية[3] .

---

(١) انظر أقسام الكلام ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) انظر أقسام الكلام ص ١٤٦ واللغة العربية مبناها ومعناها ص ١٠٤-١٠٥ .

(٣) انظر أقسام الكـلام ص ١٤٦-١٤٧ والكلمة دراسة لغوية معجمية ص ٥٧ واللغة العربية مبناها ومعناها ص ١٠٥ .

وقد تدخل صيغة (فَعَل) ونحوها على الماضى أو على الحال أو على الاستقبال ، وقد تدل صيغة (يَفعل) ونحوها على الماضى ، كما تدل على الحال والاستقبال ، وبالنسبة للصفات فقد تدل على الماضى كما تدل على الحال أو الاستقبال أما تعيين الزمن المستفاد من السياق فلا يكون إلا بالقرائن السياقية اللفظية والحالية[1] .

وإن مجال النظر فى الزمن النحوى هو السياق ، وليس الصيغة المفردة ، وبناء الجملة العربية أخصب مجال لهذا النظر بينما لا يكون مجال النظر فى الزمن الصرفى إلا فى صيغة منفردة خارج السياق[2] .

كما يرى الدكتور تمام حسان أن الزمن وظيفة فى السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً ، وإنما تختار الصيغة التى تتوافر لها الضمائم والقرائن التى تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد من السياق فلا يهم إن كان الزمن الماضى آتياً من صيغة (فعل) أو صيغة (يَفعل) مادام يمكن بالتفريق بالضمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة أن نختار من بين الصيغتين أصلحهما للدلالة على المعنى الزمنى المراد فى سياق بعينه[3] .

وإذا كان النحو هو نظام العلاقات فى السياق فمجال النظر فى الزمن النحوى هو السياق ، وليس الصيغة المنعزلة وحيث يكون الصرف هو نظام المبانى والصيغ يكون الزمن الصرفى قاصراً على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهى بها ، ولا يكون لها معنى عندما تدخل فى علاقات السياق فلا مفر إذاً من النظر إلى الزمن فى السياق نظرة تختلف عما يكون للزمن فى الصيغة ، لأن معنى الزمن النحوى يختلف عن معنى الزمن الصرفى من حيث إن الزمن الصرفى

(١) انظر اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٠ وأقسام الكلام ص ٢٣٦-٢٣٧ .

(٢) انظر أقسام الكلام ص ٢٣٧ .

(٣) انظر اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٨ .

وظيفة الصيغة ، وإن الزمن النحوى وظيفة السياق تحددها الضمائم والقرائن[1].

رابعاً : علاقة السياق بالنظم والتعليق والغموض ودور المتكلم فى اختيار المعنى المناسب للسياق :

يناقش الدكتور فاضل مصطفى الساقى حديث الجرجانى عن علاقة النظم بالسياق والتعليق بقوله : «أكد الجرجانى بأن النظم ليس إلا سوى تعلق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، وإذا عرفنا أن المقصود بالنظم هو نظم المعانى النحوية التى يقصدها المتكلم أدركنا أنّ التعليق : «هو الفكرة المركزية فى النحو العربى ، وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوى والعوامل النحوية ؛ لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معانى الأبواب فى السياق ، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً فى التحليل اللغوى لهذه المعانى الوظيفية النحوية» ، ومعنى هذا أنّ الأبواب النحوية ماهى إلا تعبير عن الوظائف النحوية التى تنتظمها اللغة، فالفاعلية والمفعولية والابتداء ، والاستثناء كلها وظائف تعبر عن بعض أبواب النحو ، وكل وظيفة من هذه الوظائف يعبر عنها شكلياً بطريقة تختلف من لغة إلى أخرى ، ففى العربية تلعب العلامة الإعرابية ، والرتبة والصيغة ، والتضام والإلصاق مثلاً دوراً بارزاً فى تحديد الباب النحوى أو الوظيفة النحوية، وبالتالى فى تحديد موقع الكلمة بين أقسام الكلم»[2] .

ومن هنا كان التعليق «الإطار الضرورى للتحليل النحوى أو كما يسميه النحاة الإعراب» ومن هنا أيضاً كانت فكرة التعليق التى تجسد العلاقات السياقية

---

(١) انظر اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٢ .

(٢) انظر أقسام الكلام ص ١٠٢ ودلائل الإعجاز ص ٢ واللغة العربية مبناها ومعناها ١٨٩ .

بين أجزاء التركيب الكلامى هى البديل المقبول لفكرة العامل النحوى[1] .

كما أنّ العلاقات السياقية أو النحوية التى هى الإسناد ، والتخصيص ، والنسبة ، والتبعية ، والمخالفة ، وفروع كل منها وهى قرائن التعليق النحوية ، والإعراب ، والرتبة ، والصيغة ، والتضام ، والربط ، والمطابقة ، وهى من قرائن التعليق اللفظية يمكن استخدامها فى تمييز كل قسم من أقسام الكلام عن غيره ، وقد ذكر الجرجانى أنّ بين الكلم طرقاً معلومة للتعليق ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل ،و وتعلق حرف بهما[2] .

ونستخلص من الحديث السابق بعض الأمور :

أولاً : أن نظرية التعليق التى أشار إليها الجرجانى عدها الدكتور تمام حسان بديلاً لنظرية العامل عند النحاة .

ثانياً : يفهم من الحديث السابق أيضاً إلغاء نظرية العامل التى أكد عليها النحاة ، وأرى أنّ نظرية العامل ، التى أشار إليها النحاة القدماء ، هى الأساس فى بيان تأثير الكلم فى بعضها البعض ، وهذا ما أثبتته الآن النظريات الحديثة فى النحو العربى ، وعلى رأسها نظرية تشومسكى وغيره .

وقد أشار الجرجانى إلى أنّ الكلمات العربية فى المعجم جثث هامدة لا حياة فيها إلا فى التركيب الكلامى ، وأنّ التفاضل بينها مبنى لا على أساس أنها ألفاظ مجردة أو كلمات مفردة ، بل على أساس دلالتها فى التركيب ومواءمتها لمعنى غيرها فى سياق الكلام[3] .

كما أنّ المعانى التى تؤديها الأدوات جميعاً هى نوع من التعبير عن علاقات

---

(١) انظر : أقسام الكلام ص ١٠٢ .

(٢) انظر : أقسام الكلام ص ١٠٣ ودلائل الإعجاز ص ٢-٦ .

(٣) انظر : أقسام الكلام ص ١٠٤ .

فى السياق ، وواضح أنّ التعبير عن العلاقة معنى وظيفى لا معجمى فلا بيئة للأدوات خارج السياق ؛ لأنّ الأدوات ذات افتقار متأصل إلى الضمائر أو بعبارة أخرى ذات افتقار متأصل إلى السياق[1] .

فإنّ الأدوات جميعاً - وهى إحدى مبانى التقسيم - لا تدخل فى علاقات اشتقاقية ، فليس لها صيغ معينة ووظيفتها الأساسية هى التعليق ، ولا يكون إلا فى السياق ، بمعنى أنّ الأداة تحمل وظيفة الأسلوب أو الجملة ، وهذا هو معناها الوظيفى ، وتشترك الأدوات جميعاً فى دلالتها على معانى وظيفية خاصة بجانب المعنى الوظيفى العام ، فالمعانى التى تؤديها أدوات الجر ، والعطف والمعية ، والقسم والاستثناء ، وأدوات معانى الجمل كالشرط والاستفهام والتمنى وغير ذلك ، واطّراد ورود هذه الأدوات فى معانى وظيفية هو المقصود بعبارة النحاة التى يريدونها عند تعليل البناء فى بعض المبنيات بأنّ هذا المبنى أدى معنى حقه أن يؤدى بالحرف ، وهذا هو المقصود بعبارة (الشبه المعنوى) ومعنى ذلك أنّ الأداة وما بنى للشبه المعنوى بها لا يؤديان معانى معجمية وإنما يوءيان معانى وظيفية فى السياق[2] .

والكلمة المفردة (وهى موضوع المعجم) يمكن أن تدل على أكثر من معنى وهى مفردة ، ولكنها إذا وضعت فى (مقال) يفهم فى ضوء (مقام) انتفى هذا التعدد عن معناها ، ولم يعد لها فى السياق إلا معنى واحد ؛ لأن الكلم وهى محلى السياق لابد أن يحمل من القرائن المقالية (اللفظية) والمقالية (الحالية) ما يعين معنى واحداً للكلمة ، فالمعنى بدون المقام (سواء أكان وظيفياً أم معجمياً) متعدد ومحتمل؛ لأن المقام هى كبرى القرائن ، ولا يتعين المعنى إلا بالقرينة[3] .

(١) انظر : اللغة العربية مبناها ومعناها ص ١٢٧ .

(٢) انظر : أقسام الكلام ص ٢٠٦ .

(٣) انظر : أقسام الكلام ص ١٠٥ واللغة العربية مبناها ومعناها ص ٣٩ .

وبهذا يتضح المقصود من قول الجرجاني : «إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ»[1] .

ومن قرائن التعليق اللفظية فى السياق التنغيم ، وهو الإطار الصوتى الذى تُقالُ به الجملة فى السياق ، وقد تأتى الكلمات القريبة على مثال صيغ محددة تعتبر قوالب لها ، ويوجد شبه بين هذه الصيغ الصرفية التى للكلمات ، وصيغ أخرى تنغيمية تتصل بالمعانى النحوية التى للجملة لا للباب المفرد . فالجمل العربية تقع فى صيغ وموازين تنغيمية هى هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة ، فالهيكل التنغيمى الذى تأتى به الجملة الاستفهامية ، وجملة العرض غير الهيكل التنغيمى لجملة الإثبات ، وهنّ يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة[2] .

وقد يزيل السياق قدراً كبيراً من الغموض الذى يعترى الكلمات والجمل يقول أولمان : «وهناك من جهة أخرى قدر كبير من الثروة اللفظية يمثل الجانب المعقد من المشكلة ، حيث تكون المدلولات غامضة وغير محددة فى أكثر الأحوال ، وإذا ما اشتمل المدلول على عنصر مرئى فإن هذا العنصر عادة لا يعدو أن يكون مجرد تخطيط إجمالى لهذا المدلول ؛ بل إننا حين نحاول أن (نستدعى) الصورة الذهنية لمنضدة مثلاً لن نحصل - على أحسن الفروض - إلا على هيكل عام استخلص استخلاصاً من المناضد المتنوعة التى قابلناها أو وقعت تحت خبرتنا - أما حجم هذه المنضدة ولونها والمادة التى صنعت منها - وكذلك شكلها - فالسياق وحده هو الكفيل بتحديد هذه الأشياء وتوضيحها»[3] .

---

(١) انظر : دلائل الإعجاز ص ٣٦ وأقسام الكلام العربى ص ١٠٥ .

(٢) انظر : اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٢٦ .

(٣) انظر : دور الكلمة فى اللغة ص ١٠٠ .

كما يقول أيضاً : «وعلى فرض أننا استطعنا أن نعين لب المعنى وجوهره بصورة لا يتطرق إليها شك ، فإن حدود هذا المعنى سوف تظل غامضة ومائعة، مع احتمال وجود حالات كثيرة من التداخل بين هذه الحدود ، ولنا أن نتساءل: هل هناك حدود فاصلة فصلاً تامًّا بين (الردى ، والهلاك) أو بين (الغنى ، والثراء) ؟ إن المدلول فى نظر الفكر الحديث عبارة عن مجموعة من الدوائر أو المناطق المتحدة المركز المختلفة الحدود ، أى أن المعنى الأساسى للكلمات محدود ومعين بصفة عامة ، ولكن الجوانب الخارجية لهذا المعنى غامضة وغير ثابتة ، وهى فى أساسها جوانب عامة وغير محددة ، وفى حاجة إلى مزيد من التوضيح المستمد من السياق والمقام»(١) .

يضاف إلى ما تقدم أيضاً أنّ المترادفات فى حالة الضرورة قد يكون لها ذور أكبر من هذا أهمية وخطورة فى نظام التعامل باللغة . فإذا ما تطرق الغموض مثلاً إلى كلمة من الكلمات بحيث تصبح غير وافية بالغرض فالغالب أن تلجأ إلى كلمة أخرى مرادفة لها ؛ كى تسد هذا النقص ؛ ولكى نستطيع أن نفهم مثل هذه الحالة فهماً تامًّا ، نرى لزاماً علينا أن نعرض أولاً للنوع الثانى من المعنى المتعدد(٢) .

أما عن دور المتكلم فى اختيار المعنى المناسب للسياق فإن المتكلم والسامع هما العامل المؤثر فى كل ما يتعلق بالمعنى ، وأن الجماعة اللغوية هى العامل المؤثر فى كل ما يتعلق بالمبنى ، ذلك أن للمتكلم أن يختار ما يشاء من المعانى التى لا نهاية لها ليعبر عنها فى جمل لا نهاية لعددها أيضاً ، فهو محدث المعانى ومنظمها ، وهو بحسب دوافعه وأغراضه الاجتماعية ، وبحسب السياق يختار المعنى الدلالى للجملة ، ووفقاً لهذا المعنى يختار المعانى المفردة المتمثلة فى

(١) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ١٠١ .

(٢) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ١١٦ .

الألفاظ ، ويؤلف بينها ويربط ، ويوظف كلّ لفظة ، فيختار ما يراه مناسباً لها من المعانى النحوية الخاصة كالفاعلية والمفعولية والإضافة ، كما يختار ما يراه مناسباً لصيغة الجملة بعامة من المعانى النحوية كالإثبات والنفى والخبر والإنشاء والشرط والتأكيد ، فالمتكلم هو العامل المؤثر فى كل هذا ، وفى هذا يتفاضل المتكلمون ، وتختلف أساليب الأداء فيما بينهم[١] .

وفى عملية الاتصال اللغوى يحوّل المتكلم المعنى إلى مبنى ، ويحول المتلقى المبنى إلى معنى ، فالمتكلم هو صاحب المعنى ومنشئه ، وموجهه ، وهو المسئول عن وضوحه أو التباسه وبقدر ما يُوفق المتكلم فى اختيار المعانى المناسبة للسياق ولغرضه من الكلام وبقدر ما يوفق فى التعليق بين تلك المعانى وصحة الائتلاف والاتحاد بينها ، وبقدر ما يلتزم بالنظام اللغوى الذى اتفقت عليه الجماة اللغوية يكون هذا عوناً للمتلقى على فهم المعنى المقصود واستنتاج غرض المتكلم دون ليس . والجملة معنى كامن فى وعاء من المبنى ، والغاية من عملية الاتصال اللغوى هى نقل هذا المعنى من الجهاز العصبى المركزى عند المتكلم إلى نظيره عند المتلقى[٢] .

فاللغة ظاهرة اجتماعية ، وليست الجملة قالباً جامداً منفصلاً عن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والظروف المحيطة بهم ، ولذلك يخضع المتكلم لعاملين مهمين عند تأليف الجملة : أحدهما خاص به ، وهو الغرض الذى يقصده بجملته ، وهو ما يسميه البلاغيون (الغرض البلاغى) والآخر يشترك فيه مع المتلقى ، وهو الأفكار السياقية المتبادلة التى تتضمن سياق المقام فيما تتضمنه . أما المتلقى فيقوم باستنتاج ذلك الغرض ، ومن بين ما يعتمدَ عليه فى ذلك الأفكار السياقية المتبادلة[٣] .

---

(١) انظر نظام الارتباط والربط ص ٥٢-٥٣ .

(٢) انظر نظام الارتباط والربط ص ٦٩ .

(٣) انظر نظام الارتباط والربط ص ٦٩ .

ولعل من الـواضح أن السياق هو الفيـصل الذى يفصل بين قبـولنا لإهدار العلاقـات المنطقيـة فى لغة الأدب ، ورفضنـا لذلك الإهدار فى أى لـغة أخرى تنطوى عـلى إبلاغ موضوعى صرف ولاشـك فى أن السياق - مقالـيًا أو مقاميًا هو مصدر الـقرائن ؛ إذ عليه يتكـل المتكلم فى أن يلتـمس منه المتلقى الـقرينة المعينة على فهم السياق[١] .

وأما رتبة المفعول به وحذفه فأمران خاضعان لسياق المقام وغرض المتكلم . والمعلوم أن الأصل أن يتأخـر المفعول به عن الفاعل لأن ارتباط الفـعل بالفاعل أقوى من ارتـباطه بالمـفعول به . ولكـن المعلوم أيـضاً أن سياق المـقام وغرض المتكلـم يتدخلان بالتـغيير فى بعض حـالات الرتبة . وقد أشار الـنحاة إلى أن المفعول به يحذف اختصاراً ، وهو أن تـريد المحذوف ، نحو قوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (سورة الضحى ٣) واقتصاراً وهو ألا تريده نحو قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المرسلات ٤٣)[٢] .

ومن هنـا لا يصح فى التفـسير أن يؤخذ اللـفظ وحده معزولاً عن سـياقه الخاص أو المقام والسياق الخاص هـو تعليقه فى جملته وعلاقته الـتبادلية مع ما يكون معه جملة ، والـسياق العام هو النص كله ، فالكلمـة فى نص يكون لها دلالة تختلـف عن دلالتها فى نص آخر ، وبهذا يـنبنى المعنى ويتأمـل كما يقرر تودورف[٣] .

(١) انظر نظام الارتباط والربط ص ٨٨ .

(٢) انظر نظام الارتباط والربط ص ١٦٨ .

(٣) انظر النحو والدلالة ص ١٦ .

المبحث الثالث

علاقة السياق بظواهر التضاد والمشترك والترادف

أولاً : علاقة السياق بظاهرة التضاد :

ظاهرة التضاد فى اللغة هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده : كلفظ (الجون) الذى يطلق على الأبيض والأسود ، و (الجلل) المستعمل فى الجليل والهين «هذا مصاب جلل ، كل مصيبة تخطأك جلل . فهو فى المثال الأول بمعنى العظيم ، وفى الثانى بمعنى الهين ؛ و (أسر) المستعمل فى الإخفاء وضده ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (سورة يوسف ٧٧) ، ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (سورة يونس ٥٤) . فهو فى المثال الأول بمعنى الإخفاء ، ويحتمل المعنيين فى المثال الثانى[1] .

وقد قال أبو بكر بن الأنبارى فى أول كتابه : هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين ، ويظنُّ أهلُ البدع والزّيغ والازدراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنُقصان حكمتهم ، وقلّة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم ، فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذى تحته ، ودال عليه ، وموضح تأويله ، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على هذا المسمَّى[2] .

---

(١) انظر فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ص ١٩٢ وفصول فى فقه العربية ٣٣٦ والمزهر للسيوطى ١/ ٣٩١ .

(٢) انظر المزدهر ١/ ٣٩٧-٣٩٨ والأضداد لابن الأنبارى ص ٢ .

وقد دحض العلماء تلك الشبهات وبينوا أن السياق هو الذى يحدد أحد المعنيين للكلمة المتضادة ، ولذلك يظل السياق هو الذى يعين الغرض من اللفظ، ويشعر بنوع العلاقة فيه سلبية كانت أم إيجابية ، فالاشتراك بالتضاد كالاشتراك فى التناظر لا يخفى مقصد المتكلم منه إذا وعى السامع نظم الجملة وأسلوب ترتيب الكلام ، فكلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب فيه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ؛ فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين ؛ لأنها تتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية حد المعنيين دون الآخر فلا يراد بها فى حال التكلم إلا معنى واحد[١] .

فمن الشواهد على ذلك قول الشاعر :

كُلّ شىء ما خلا الموت جلَل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدلّ ما تقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه : كل شىء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه عظيم ، وبمعونة السياق فسّر بعض العلماء المنكرين للتضاد طائفة من الألفاظ التى يأبى المبالغون فى هذا الباب إلا أن يكتشفوا فيها التقابل التام والتعاكس الحقيقى[٢] .

ومن الشواهد أيضاً قول الشاعر :

قَومى هُمُ قَتَلوا أُمَيمَ أَخى فإذا رميتُ يُصيبنى سهمى

فلئن عفوتُ لأعفوَن جللاً ولئن سطوتُ لأوهنَنْ عظمى

فدلّ الكلام على أنه أراد : فلئن عفوتُ لأعفون عفواً عظيماً ؛ لأن

---

(١) انظر فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ٣١٢-٣١٣ وفى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ٢٠٧ والكلمة دراسة لغوية معجمية ١٣٧ والأضداد لابن الأنبارى ص ٢ وعلم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ١٩٥ .

(٢) انظر فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ٣١٢-٣١٣ .

الإنسان لا يفخرُ بصفحه عن ذنب حقير يسير ، فلما كان اللبس فى هذين زائلاً عن جميع السامعين لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفى اللفظين[1] .

ويعلق الدكتور حلمى خليل على كلام ابن الأنبارى السابق بقوله : «ومعنى هذا أن ابن الأنبارى يرى أن دلالة كلمة (جلل) أو معناها المعجمى ، بعيداً عن السياق هو معنى متعدد ومحتمل ، فقد يعنى العظيم والحقير ، إنما وضع السياق الذى يحدد هذا التعدد والاحتمال فى ذلك يقول (ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة ، وإن لم تكن متضادة فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده ، مما يوضح تأويله) وهو لا يحاول فى هذا النص أن يفسر نشأة الأضداد فى العربية بقدر ما يحاول أن يرسى قواعد فى طريقة فهم وإدراك العلاقات الدلالية بين الكلمات، ويدل على ذلك أنه احتكم فى الفصل بين مثل هذه الدلالات إلى السياق ، واستعمال المتكلمين للغة ؛ لأن اللغة فى نهاية الأمر لا تفهم ولا تتكلم إلا من خلال السياق والقرائن التى يكون فيها الناس أثناء الكلام»[2] .

ومع ذلك فإن تحليل كلمة إلى عناصرها الدلالية الأولى قد يضع أيدينا على درجة الاتصال بين الكلمات فيما يتصل بالأضداد ؛ لأن الكلمة كما نعلم من وجهة نظر علماء اللغة المحدثين هو كل مركب من عناصر لغوية ودلالية ، فإذا حللنا العناصر الدلالية لكلمات الأضداد ، كما يحلل المعاصرون الآن دلالات الكلمة ، وهو ما فطن إلى جانب منه ابن الأنبارى مفسراً العلاقات الدلالية بين الكلمات عن طريق الاتساع ، ثم الفصل بين هذه الدلالات عن طريق السياق ؛ لأن الاتساع يحول اللفظ إلى رمز ويتعدد معناه المعجمى ، ولا سبيل إلى تحديد دلالته إلا عن طريق السياق[3] .

---

(١) انظر المزهر ١/٣٩٨ والأضداد لابن الأنبارى ص ٢-٣ وفى اللهجات العربية ص ٢٠٧ .

(٢) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٣٨ .

(٣) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٣٩ .

كما أشار السيوطى أيضاً إلى دور السياق فى تحديد دلالات الكلمات المتضادة ، يقول «ومجرى حروف الأضداد على المعانى المختلفة ، وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحروف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ؛ كقولك : حمل للواحد من الضأن وحملٌ اسم رجل لا يُعرف أحد المعنيين إلا بما وصفنا . وكذلك غَسَقَ يقع على معنيين مختلفين : أحدهما أظلم من غسق الليل ، والآخر سال من الغساق ، وهو ما يَغْسِقُ من صديد أهل النار ، فى ألفاظ كثيرة يطول إحصاؤها تصحبها العرب من الكلام ما يدل على المعنى المخصوص منها ؛ وهذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب»[1] .

وخلاصة حديث القدماء والمحدثين حول ظاهرة التضاد هو أن ما أثاره أعداء العربية حول الظاهرة من أن الأضداد فيها تعمية وتغطية مردود ؛ لأن السياق له دور بارز فى تحديد دلالات الكلمات المتضادة وكذلك قرائن الحال فى الكلام ، وما تتقدم الكلمة المتضادة وما يتأخر عنها ، وقد أشار إلى ذلك ابن الأنبارى قبل المحدثين .

ثانياً: علاقة ظاهرة السياق بالمشترك اللفظى :

المشترك اللفظى وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ، وذلك كلفظ الخال الذى يطلق على أخى الأم وعلى الشامة فى الوجه ، وعلى السحاب ، وعلى البعير الضخم ، وعلى الأكمة الصغيرة ، وكلفظ (إنسان) الذى يطلق على الواحد من بنى آدم ، وعلى ناظر العين ، وعلى الأنملة ، وعلى حد السيف ، وعلى السهم ، وعلى

(١) انظر المزهر للسيوطى ص ٣٩٩ .

الأرض التى تزرع ، وكلفظ (الأرض) الذى يطلق على ما يقابل السماء ، وعلى النفضة ، والرعدة ، وعلى الزكاة[1] .

والسياق هو الذى يعين أحد المعانى المشتركة للفظ الواحد ، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها فى الذهن ، وإنما يقوم تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة ، فينخلع على اللفظ المعنى المناسب ، وعلى هذا لا يجد الباحث كبير عناء فى فهم لفظ (الغروب) يتردد ثلاث مرات فى ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوى لفظها ويختلف معناها :

يا ويح قلبى من دواعى الهوى — إذ رحل الجيرانُ عند الغروب
أتبعتهم طرفى وقد أزمعوا — ودمع عينى كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة — تفتر عن مثل أقاحى الغروب

فليس متعذراً أن يفهم من وحى السياق أن الغروب الأول : غروب الشمس ، والثانى : جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة ، والثالث : جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة . إن فى المشترك لتنوعاً فى المعانى بسبب تنوع الاستعمال ، وإن فى اشتمال العربية على قدر لا يستهان به من الألفاظ التى تنوع استعمالها بتنوع السياق لدليلاً على سعتها فى التعبير عن طريق الاشتراك[2].

وعلى ذلك فنحن لا نستغرب موقف لغوى كبير مثل (لروا Leroy) من هذه الألفاظ المشتركة فى اللغة الفرنسية بوجه خاص ، واللغة الإنسانية بوجه عام ، فهو يرى «أننا حينما نقول إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد فى

---

(١) انظر فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ص ١٨٩ وفقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ٣٠٢ والمزهر ١/ ٣٦٩ وعلم الدلالة للدكتور فايز الداية ٧٨ .

(٢) انظر فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ٣٠٨ والمزهر ١/ ٣٧٦ .

وقت واحد إنما نكون ضحايا الانخداع إلى حد غير قليل ؛ إذ لا يطفو فى الشعور من المعانى التى تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذى يعنيه سياق النص»[1] .

والمشترك اللفظى لا وجود له فى واقع الأمر إلا فى معجم لغة من اللغات، أما فى نصوص هذه اللغة واستعمالاتها فلا وجود إلا لمعنى واحد من معانى هذا المشترك اللفظى وفى ذلك يقول أولمان : «كثير من كلماتنا له أكثر من معنى ، غير أن المألوف هو استعمال معنى واحد فقط ، من هذه المعانى فى السياق المعين ، فالفعل (أدرك) مثلاً إذا انتزع من مكانه فى النظم يصبح غامضاً غير محدد المعنى ، هل معناه : (لحق به) أو (عاصره) أو أنّه يعنى (رأى) أو (بلغ الحلم) إنه التركيب الحقيقى المنطوق بالفعل هو وحده الذى يمكنه أن يجيب على هذا السؤال ، فإذا تصادف أن أتفقت كلمتان أو أكثر فى أصواتها اتفاقاً تاماً ، فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذى تقع فيه»[2] .

وإلى مثل هذا أيضاً يذهب فندريس ؛ فيقول : «إننا حينما نقول بأنّ لإحدى الكلمات ، أكثر من معنى واحد فى وقت واحد ، نكون ضحايا الانخداع إلى حدّ ما ؛ إذ لا يطفو فى الشعور من المعانى المختلفة التى تدل عليها إحدى الكلمات ، إلا المعنى الذى يعينه سياق النص ، أما المعانى الأخرى، فتمحّى وتبدّد ولا توجد إطلاقاً ؛ فنحن فى الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول : (الخياط يقص الثوب) أو (الخبر الذى يقصه الغلام صحيح) أو (البدوى خير من يقص الأثر) ، فإننا نستعمل فى الواقع ثلاث

(١) انظر فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ٣٠٦ .

(٢) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٦٥ وفصول فى فقه العربية ص ٣٣٤ .

كلمات ، لا يربطها بعضها ببعض أى رباط ، لا فى ذهن المتكلم ، ولا فى ذهن السامع»[1] .

والمشترك اللفظى العادى لا يعوق التفاهم اللغوى إلى درجة ملموسة . والكلمات التى من هذا الباب قد تكون تابعة لأنواع مختلفة من الكلمات ، وذلك كأن يكون بعضها أسماء ، وبعضها أفعالاً ، وأحياناً أخرى يعمل الاختلاف فى طريقة كتابتها على تقليل احتمال الخلط بينهما . وأهم من هذا كله هناك صمام الأمان الذى يتمثل فى السياق ، فكثير من هذه الكلمات تنتمى إلى قطاعات مختلفة اختلافاً تامًا من الثروة اللفظية[2] .

وقد يحدث بعض اللبس فيظن أن بعض الكلمات من المشترك أو تعدد المعنى ، وهما ليست كذلك ، والحكم فى مثل هذه الحالات للسياق ، وهكذا نجد أن الفيصل فى الفرق بين تعدد المعنى والمشترك اللفظى يرجع إلى الصيغة والاشتقاق والسياق أيضاً قبل أن نقول بالمشترك أو تعدد المعنى[3] .

ومن الأمثلة التى يلعب فيها السياق دوراً بارزاً فى تحديد معانى المشترك كلمة (عين) حينما ترد فى سياقات متنوعة يتبين للدارس ما تحمله من معان مختلفة باختلاف كل سياق ترد فيه ، إن كل سياق آت ترد فيه كلمة (عين) يقدم معنى واحداً تتجه إليه الأفهام ، وتترك ما سواه ، فلا يقع أى اشتراك فى السياق ، فقولنا : عين الطفل تؤلمه : العين هذا الباصرة ، فى الجبل عين جارية : العين هنا عين الماء ، هذا عين لـلعدو : العين هنا الجاسوس ، وهكذا من خلال السياق يتضح المعنى[4] .

---

(١) انظر فصول فى فقه العربية ٣٣٤ واللغة لفندريس ٢٢٨ .

(٢) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ١٤١ .

(٣) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٢٨ وعلم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ١٥٠ والنحو والدلالة ص ٤٦ .

(٤) انظر مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد قدور ص ٢٩٦ والمزهر ص ٣٧٢ والصاحبى ص ١١٤ .

ومن الأمثلة أيضاً التى تظهر دلالتـها من خلال السياق كلمة (العمُّ) : أخو الأب ، والعمّ الجمع الكثير ، قال الراجز :

يا عامر بن مالك يا عمًّا

أفنيت عمًّا وجَبَرت عمًّا

فالـعم الأول أراد بـه : يا عمَّاه ، والـعمّ الـثانـى أراد به : أفنـيت قـوماً وجبرت آخرين[1] .

وقد أشار الدكتـور أحمد مختار عمر إلـى الاعتماد على السيـاق فى تحديد معانى المشترك ، يـقول : «بقاء اللفظين ، مع الاعتماد على الـسياق أو القرينة الخارجية لتحـديد المعنى المراد . وإنه نفوذ الـسياق الذى يجعلنا نعطـى كلمة ما بضعة معان مختلفة دون خشية الخلط ، ونـعتمد على السياق الذى يحدد المعنى المراد ويستبعد المعانى الأخرى من الذهن . . . ومن أمثلة ذلك فى العربية كلمة (عين) التى تستعـمل حتى الآن فى أكثر من معنى دون خوف الالـتباس اعتماداً على دلالة الـسياق . . ومن ذلك العبارة المـنقولة عن ابن عبـاس حين أصابت الناس زلـزلة : أزلزلت الأرض أم بـى أرض (أى رعدة) ، وقد أدى الاعتـماد على السياق أن تعيش كثير من كلمات المشترك اللفظى جنباً إلى جنب عدة قرون فى اللغة الواحدة[2] .

ومن الأمثلة على مـعانى المشترك التى تتضح من خـلال السياق ما جاء فى الفسـر لابن جنى عن صيـغة (الواجد) علـى الرغم من اختلاف المـصدر الذى استق منه ، فإن لم يـكن واضحاً وفارقاً بين الوجوه المختلفـة ؛ فإن التعدد هو الأسبق إلى الذهن ، ويثير المسألة بيت المتنبى :

---

(١) انظر المزهر ١/ ٣٧٠ .

(٢) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ١٨٦-١٨٧ .

وللواجد المكروب من رَفَراته　　　سكونُ عراء أو سكونُ لغوب

الواجد : الحزين ، يقال : وجدتُ في الحزن وجداً ، والواجد : واجد الضالة ، ومصدره : الوجدان و (الواجد) : المغنّى ، ومصدره : الوجْدُ ، و (الواجد) : الغضبان ، والواجد : العالم تقول : وجدتُ زيداً أخاك أى : علّمته(١) .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن المجاز يلعب دوراً بارزاً فى تحديد معانى المشترك ، يقول : «كذلك إذا ثبت لنا من نصوص أن اللفظ الواحد قد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين سمّينا هذا بالمشترك اللفظى ، أما إذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل ، وأن الآخر مجاز له ، فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللفظى فى حقيقة أمره ، وقد كان ابن درستويه محقاً حين أنكر معظم تلك الألفاظ التى عدت من المشترك اللفظى ، واعتبرها من المجاز . فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء ، وعن حديدة الصيد التى تشبه فى شكلها الهلال ، وعن هلال النعل الذى يشبه فى شكله الهلال ، وعن قلامة الظفر التى تشبه فى شكلها الهلال ، لا يصح إذاً أن تعد من المشترك اللفظى ؛ لأن المعنى واحد فى كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره فى كل هذه الاستعمالات»(٢) .

وخلاصة الموضوع أنّ هناك عاملين يلعبان دوراً بارزاً فى معانى المشترك وهما : السياق والمجاز .

(١) انظر علم الدلالة العربى للدكتور فايز الداية ص ٨٩ والفسر لابن جنى ١٥٥ .

(٢) انظر دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢١٣-٢١٤ وفى اللهجات العربية ص ١٩٣ .

ثالثاً: علاقة ظاهرة الترادف بالسياق :

المترادفات : هى ألفاظ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق[1] . ويسمى الشىء الواحد بالأسماء المختلفة نحو (السيف والمهند والحسام) والذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو (السيف) ، وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى ، وقد خالف فى ذلك قوم ، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد وذلك قولنا (سيف وعضب وحسام) ، وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير المعنى الآخر قالوا وكذلك الأفعال نحو : مضى ، وذهب ، وانطلق ، وقعد ، وجلس ، ورقد ، ونام ، وهجع[2] .

أمّا إذا أردنا بالترادف التطابق فى المعنى الأساسى دون سائر المعانى ، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين فى بعض السياقات ، لو نظرنا إلى اللفظين فى لغتين مختلفتين ، أو أكثر من فترة زمنية واحدة ، أو أكثر من بيئة لغوية ، فالترادف موجود لا محالة ، ويمكن التمثيل لذلك بكلمتى : وصل وجاء اللتين تنتظمان مع كلمات مثل : القطار - محمد - الخطاب ولكنهما تستقلان فى سياقات أخرى فنحن نقول : وصل من سفره (ولا نقول جاء) ونقول : جاء الربيع (ولا نقول وصل) . كما يمكن التمثيل بكلمتى strong ، powerful اللتين تردان مع كلمة argument ، ولكن الأولى تأتى مع كلمة tea مثلاً ، والثانية مع كلمة car مثلاً[3] .

ويتضح من الحديث السابق أن السياق له دور فى طريقة استخدام الكلمات المترادفة فهى تصلح فى سياق معين ولا تصلح فى سياق آخر ، ولذلك بعض

---

(١) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ٩٨ وفصول فى فقه العربية ص ٣٠٩ .

(٢) انظر الصاحبى ص ١١٤-١١٥ وكلام العرب للدكتور / حسن ظاظا ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٢٣٠ .

الكلمات مقيد من حيث التنظيم ، بمعنى أن الكلمة تظهر فقط وهى مقترنة بكلمات أخرى فمثلاً كلمة (زنج rencid) تظهر من كلمة (لحم خنزير مقدّد bacon) أو كلمة (زبد butter) ، وكلمة (فاسد addled) تظهر مع كلمة (بيض eggs) ولا يبدو هذا مسألة معنى ، بل هو مسألة (ملازمة) وربما يمكننا أن نزعم أن هذه مترادفات تختلف فقط فى أنها تظهر فى سياقات مختلفة ، ومع ذلك اعتقد بعض العلماء بالفعل أن اختبار المترادفات يكمن فيما إذا كانت تظهر فى سياقات مماثلة[1] .

كما يرى (أولمان) أنه من المستحيل أن يكون هناك ترادف تام بين الكلمات وأن السياق هو الذى يحدد ذلك .

يقول : «وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات ، وأنه لا يمكن استعمالها فى السياق الواحد ، أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها ، كما سيتضح لنا أن مدلولات هذه المترادفات متشابكة ومتداخلة بعضها فى بعض»[2] .

ويرى الدكتور محمود فهمى حجازى أن المحك فى موضوع الترادف هو السياق يقول : «وأخيراً فإن الفيصل فى تحديد كون الكلمتين مترادفتين كامن فى السياق ، فإذا أمكن انتزاع كلمة من جملة وإحلال كلمة أخرى محلها دون تغير المعنى ، فالكلمتان مترادفتان وهذا ممكن فى حالات بأعيانها ، ولكن ينبغى التحفظ فى ذلك فى محاولة التحديد الدقيق للمعنى وهنا تختلف أكثر المترادفات، ولذلك يعد الترادف عند أكثر اللغويين المعاصرين تقارباً دلالياً ، وليس مطابقة دلالية كاملة»[3] .

---

(١) انظر علم الدلالة لبالمر ص ٩٦-٩٧ .

(٢) انظر دور الكلمة فى اللغة ص ١١٠ .

(٣) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمى حجازى ص ١٤٨ .

وما قاله المحدثون عن الترادف ، هو تماماً ما قاله القدماء من أن الترادف التام بين الكلمات أمر صعب جداً ، ومن أن السياق هو الذى يحدد دلالة المترادفات، ويشرح وجهة نظر التطابق بين القدماء والمحدثين فى الرؤى الدكتور حلمى خليل . يقول : «على هذه الصورة الدقيقة أدرك القدماء قضية الترادف وعلى الرغم من اختلافهم حول وقوعه فى اللغة ، إلا أن ما ذهب إليه بعضهم مثل ابن فارس ، وابن درستويه ، وابن الأعرابى ، وأبى هلال العسكرى من عدم وجود تطابق دلالى كامل بين المترادفات هو عين ما أسفر عنه البحث الدلالى الحديث والمعاصر فيما قال به علماء اللغة وعلماء المعاجم من ندرة وجود الترادف الكامل بين اللغات»[1] .

وقد عرفوا الترادف كما عرفه القدماء فقالوا إنه كلمتان أو أكثر لهما دلالة متطابقة ، غير أنهم حكموا السياق فى القول بالترادف بين بضع الكلمات ، وبناء على ذلك عرفوا الترادف تعريفاً آخر فقالوا : إن الترادف الخالص أو المطلق يحدث عندما يمكن أن تحل كلمة محل أخرى فى جميع السياقات المختلفة، وهو أمر نادر ، وفكرة السياق فيما يتعلق بدراسة الدلالة أدركها علماء العربية القدماء كما أدركوها بالنسبة للترادف فيما أشار إليه ابن درستويه ، وابن الأعرابى ، وغيرهم من العلماء عندما ذكروا عدم معرفة السامع لكلام العرب والعلة فيه ، كما قال ابن درستويه أو كما قال ابن الأعرابى : ربما غمض علينا فلم يلزم العرب جهله ، وهو هنا بمعنى أننا قد نجهل الظروف أو السياق الاجتماعى الذى كانت الكلمات تستعمل فيه ، وبالتالى نظن أنها من المترادفات[2] .

(١) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٣٢ .

(٢) انظر الكلمة دراسة لغوية معجمية ص ١٣٢ .

كما نجد معنيين للترادف من الناحية المنطقية . نقول عن كلمتين أو عبارتين أنهما مترادفتان إذا كان يمكن استبدال إحداهما بالأخرى فى قضايا دون أن يتغير المعنى . كأن فكرة الترادف تعتمد على المعنى ، أو أن معيار الترادف هو هوية المعنى[١] .

والخلاصة أن السياق يؤدى دوراً فعالاً فى تحديد الكلمات المترادفة فى السياقات المختلفة .

علاقة السياق بالأسلوب :

أما مسألة السياق فى الدراسات الأسلوبية فقد وضحت إلى حد كبير بصياغة مفهومين جديدين : «السياق المباشر» أو «السياق الأصغر» والسياق الأوسع وهو «السياق الأكبر» وكلاهما يمكن أن يكون أساساً صالحاً للدرس الأسلوبى ، ولكل مزاياه ونقائصه ، فإذا اخترنا (السياق الأصغر) مقطوعة أو نبذة قصيرة مثلاً - فإننا نستطيع أن ندرس الكيفيات التى تتفاعل بها الكلمات ، فيبرز بعضها بعضاً ومن الأشكال الناجحة لهذه الطريقة ما قدمه (شبتسر) من تحليل للنصوص ذى صيغة أسلوبية[٢] .

وبهذا تصبح الكلمة فى ذاتها وموضعها من التركيب مجالاً طيباً لكثير من المعانى والصور التى يطوعها الإنسان لما لا يتناهى من الأفكار والمشاعر كما أن هذه الكلمة تتلون على توالى العصور بتغير وسائل الأداء اللغوى وتعميقها ، وهذه الكلمة أيضاً هى التى تأتى الدراسة الأسلوبية لتجعلها محور بحثها من حيث سياقها الذى وردت فيه ، ومن حيث إيحاءاتها الكثيرة المتكاثفة التى

(١) فى فلسفة اللغة للدكتور محمود فهمى زيدان ص ١٠٤ .

(٢) انظر اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١١٦ وعلم الأسلوب للدكتور المطعنى ص ٥١ .

أفرزتها ، ومن حيث علاقاتها الاستبدالية التى يتحدد مجالها فى التعبير الأدبى بوجه خاص[1] .

وقد قسم بعض اللسانيين السياقات التى ترد فيها الكلمة إلى ثلاثة أنواع : السياق المباشر : تستعمل الكلمة فى هذا النوع من السياق لتحديد هوية الشىء فى البيئة المباشرة والسياق غير المباشر : تستعمل فيه الكلمة للحديث عن مدلولات غير حاضرة ، والسياق المحول وهو السياق الذى تتحول فيه الكلمة من حالة إلى أخرى كأن تصف الأرض بأنه فقيرة أو غنية ، أى الاستعمال المجازى للكلمات الذى تعرفه جميع اللغات وإن كانت تختلف فى أساليب تعبيراتها المجازية[2] .

كما يفرق الدكتور صلاح فضل بين السياق الأصغر والأكبر بقوله : «أما بالنسبة لمشكلة السياق فقد اقترحت أيضاً تصنيفات أخرى له وبعضها يقرب من مفهوم (ريفاتير) للسياق وإن كانت أبسط منه ، وذلك بالتمييز بين (السياق الأصغر) و (السياق الأكبر) أو المباشر وغير المباشر وكلاهما يعطينا أساساً صالحاً للتحليلات الأسلوبية ولكل منهما مزاياه وصعوباته . فلو اخترنا سياقاً أصغر ؛ قصيدة قصيرة أو مشهد محدود فبوسعنا أن ندرس فيه كيفية ترابط الكلمات وتبادلاتها وتوافقاتها ، ومن هذا القبيل ما اشتهر فى الدراسات الأسلوبية التقليدية على أنه منهج شرح النصوص ومن الطبيعى أن تكون هذه السياقات الصغرى من الضيق بحيث لا تسمح بالكشف عن التفصيلات الدالة ، والمعدلات والتجديدات المهمة ، وعندئذ لا نستطيع أن نستخرج منها نتائج تتصل بوظيفة عنصر ما فى بنية عمل أكبر . ومن ناحية أخرى فإننا إذا اخترنا سياقات

---

(١) انظر البلاغة والأسلوبية للدكتور / محمد عبد المطلب ص ١٣١ .

(٢) انظر التحليل الدلالى ص ٩٨-٩٩ .

أكبر فإن فرصتنا فى أكتشاف الخواص المسيطرة عليه وقياس مدى تأثيرها على بقية العمل تصبح أعظم[1] .

وهناك فرق بين المفهوم الشائع لكلمة السياق والسياق الأسلوبى يقول الدكتور شكرى عياد : «بما أن التقوية الأسلوبية تنتج من إدخال عنصر غير متوقع فى نسق ، فهى تفترض إشعاراً بالانقطاع الذى يغير السياق . وهناك فارق جوهرى بين المفهوم الشائع لكلمة السياق وبين السياق الأسلوبى ، فليس السياق الأسلوبى ترابطياً ، أعنى أنه ليس السياق اللفظى الذى يقلل تأثير المشترك اللفظى ، أو يضيف إيحاءات إلى لفظة ما ، السياق الأسلوبى هو نسق لغوى يقطعه عنصر غير متوقع ، والتقابل الذى ينتج عن هذا الاقتحام هو المثير الأسلوبى ، ويجب ألا يفهم هذا الانقطاع على أنه من باب الفصل . فقيمة المقابلة الأسلوبية ترجع إلى نظام العلاقات الذى تقيمه بين العنصرين المتصادمين، وما كانت لتحدث أى تأثير بدون وصلهما فى متتابعة[2] .

فكل مسلك أسلوبى يعينه القارئ العمدة ابتداءً ، له سياق يتألف من خلفية محسوسة ومستمرة ، ولا يمكن أن يوجد واحد من هذين دون الآخر ، وافتراض أن السياق يقوم بدور المعيار ، وأن الأسلوب يتحقق بانحراف عن هذا السياق ، هو افتراض مثمر ، ففى نظام العلاقات المؤلف من أسلوب ومعيار يتعذر علينا باعتماد عمومية المعيار ، وهذا ما يكون فى المعيار اللغوى أن نفهم كيف يكون انحراف ما مسلكاً أسلوبياً فى بعض الحالات ولا يكون كذلك فى بعضها الآخر[3] .

كما يلجأ (ريفانير) إلى معيار إضافى ، يكمل به معيار القارئ العمدة ،

---

(١) انظر علم الأسلوب للدكتور صلاح فضل ص ٢٤٧ .
(٢) انظر اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٤٨ .
(٣) انظر اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٤٦ .

هذا المعيار يلتمس من داخل النص نفسه ، ويقوم على العلاقات المتبادلة بين السياق والمسلك الأسلوبى ، فالمسلك الأسلوبى إنما يكتسب هذه الصفة بالنسبة إلى سياق معين : مثال ذلك أن الجمل القصيرة فى سياق من الجمل الطويلة تعد مسلكاً أسلوبيًّا وكذلك العكس ، ومادام المسلك الأسلوبى قائماً على مخالفة التوقع لإثارة الانتباه ، فكل كسر متعمد للسياق هو مسلك أسلوبى[1] .

وعن السياق الداخلى المباشر للأسلوب يقول الدكتور صلاح فضل : «وعندما نعالج أى جزء من النص ؛ فإن هذه الموقعة قد تقتصر لأهدافها الوظيفية على عنصر محدد منه يطلق عليه أحياناً (السياق الداخلى المباشر) لكن كلما تقدم القارئ فى العمل الأدبى توافر لديه قدر أعظم من البيانات عن النص يستطيع فى ضوئها أن «يموقع» الحوار ، والنجوى والحدث الدرامى والوصف والكيفية والإشارات الداخلية ، مما ينتج لوناً من (السياق الداخلى المتراكم) يجعل من الممكن الوصول عند نهاية القراءة إلى تصور (السياق الداخلى الشامل) وعند الاختبار الأسلوبى لعمل أدبى يمكن أن تستخدم جميع هذه «الموقعات» سواء كانت داخلية فى النص أو خارجية عنه كى نقرأ فى اتجاه مستمر وتماسك نصى ، وبمنظور شمولى كما يقول (ويليك) فى نظرية الأدب»[2] .

ومن الاتجاهات المعاصرة فى الدراسة الأسلوبية الاتجاه الإحصائى الذى أصل له الدكتور سعد مصلوح ، لكن هناك مآخذ على هذا الاتجاه منها إهماله لدور السياق ، يقول الدكتور صلاح فضل أيضاً : «ومن نقط الضعف الخطيرة فى الدراسة الاحصائية للأسلوب أنها لا تقيم عادة حساباً لتأثير السياق مع أننا نعرف من الدراسات التطبيقية أن السياق له دور حاسم فى التحليل الأسلوبى

---

(١) انظر اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٧ .

(٢) انظر علم الأسلوب للدكتور صلاح فضل ص ٢٥١ .

الأمر الذى دعا بعض الباحثين إلى إدخال (التكنيك) السياقى المقارن كشرط أساسى فى الحساب الإحصائى للملامح الأسلوبية[1] .

ويرى (أولمان) أن التحليل الإحصائى للأسلوب لابد أن يدخل فى حسابه عاملاً جوهرياً هو السياق ، بحيث يصبح أسلوب نص ما إنما هو «وظيفة النسبة بين معدلات التكرار لعناصره الصوتية والنحوية والمعجمية ومعدلات تكرار مثل هذه العناصر طبقاً لقواعد السياق المشابه» وقيمة هذا المنظور تكمن فى أنه يبرز أهمية السياق فى دراسة الأسلوب ؛ إذ أن الإحصاءات المتصلة بالعناصر الفردية عندما تغفل السياق تفقد دلالتها الأسلوبية ، وتظل هناك صعوبة تحديد قواعد السياق المشابه ، مما يتطلب من الباحث أن يضع أمامه حشداً آخر من النصوص التى يمكن أن تقارن بنصه المدروس فى جنسه وسجله وموضوعه[2] .

وقد أشار الدكتور سعيد بحيرى إلى دور السياق فى تحديد السمات الأسلوبية فى النص بقوله : «كما أن عامل السياق عامل جوهرى ، إذ هو العنصر الفاعل المؤثر فى تحديد بروز سمة أسلوبية بعينها ، فالأسلوب يعتمد على العلاقة القائمة= بين معدلات التكرار للعناصر الصوتية والنحوية والمعجمية فى نص ما ومعدلات تكرار هذه العناصر نفسها فى قاعدة متصلة به من ناحية السياق . ويؤمن اللغوى إيماناً راسخاً بأن الكلمة فى نص ما إنما تكتسب دلالاتها الأسلوبية من تجاورها مع الكلمات الأخرى التى تقع معها فى خط أفقى ، حيث تتشابك الدلالات الحقيقية بظلال المعانى لتلك الكلمات ، فتكتسب إيماءات وتأثيرات خاصة . ولهذا فإن رصد قوائم غير سياقية لها ليس له قيمة أسلوبية»[3] .

---

(١) انظر علم الأسلوب للدكتور صلاح فضل ص ٢٧٠ .

(٢) انظر علم الأسلوب للدكتور صلاح فضل ص ٢٦٩ .

(٣) انظر فى العلاقة بين البنية والدلالة ص ٥٩ .

أما الذين يعرفون الأسلوب بأن مفارقة أو انحراف عن نموذج آخر من القول فيركزون أيضاً على السياق فى المقارنة بين النص النمط والنص المفارق[1]، ولذلك اعتمد القائلون بالمقارنة بين النص المعيار أو النمط والنص المفارق أو المضاد اعتماداً على اتجاه ريفاتير الذى يشترط أيضاً تماثل السياق ، فالسياق هو الذى يمثل خلفية محددة دائماً وهو الذى يقوم بدور القاعدة ويحده بأنه (نموذج منكسر بعنصر غير متوقع) ويعيد فى إطار عنصرى السياق والإجراء المضاد طرح مفهوم آخر للأسلوب ، إذ أنه لا يتمثل فى توالى الصور ولا المجازات ولا الإجراءات وليس بروزاً مستمراً بل إن البنية الأساسية لنص ما تتحدد بتوالى العناصر الموسومة فى مقابل غير الموسومة فى مجموعات ثنائية تمثل السياق والإجراء المضاد له الذى لا ينفصل عنه ، إذ لا يمكن أن يقوم أحدهما مستقلاً عن الآخر ، فكل واقعة أسلوبية تشمل بالضرورة سياقاً وتضاداً[2] .

وأداة التحليل الأسلوبى عند أصحاب الرأى السابق فى مفهوم الأسلوب هى المقارنة بين الخصائص والسمات اللغوية فى النص النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات فى النص المفارق وشبيه بذلك ما يزخر به التراث العربى من موازنات بين الشعراء تقتضى بالضرورة التمييز بين الأساليب ونقدها[3] .

أما عن وجهة النظر التى ترى الأسلوب اختياراً يقوم به المنشئ فيرى الدكتور سعد مصلوح أن الاختيار هذا ينقسم إلى نوعين مختلفين : اختيار محكوم بسياق المقام ، واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخاصة ، فأما النوع

---

(١) انظر علم الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص ٤٣ .

(٢) انظر فى العلاقة بين البنية والدلالة ص ٤٠-٤١ وعلم الأسلوب دراسة لغوية وإحصائية ص ٤٣ .

(٣) انظر علم الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص ٤٣ .

الأول فهو انتقاء نفعي مقامي : ربما يؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة على أخرى؛ لأنها أكثر مطابقة فـي رأيه للحقـيقة أو لأنه علـى عكس ذلك يريد أن يـضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسيته تجاه عبارة أو كلمة معينة[1] .

ويتضح مما تقدم أن السياق يلعب دوراً أساسياً فى تحديد السمات الأسلوبية فى النصوص الأدبية .

وعندمـا أهمل المنـهج الوصفـي التحلـيلي دور السـياق فى بنـاء الأسلوب وجهت إلـيه الدراسـات المعاصـرة نقداً كـبيراً ، ومن بينها ما أشار إليه (رينيه) و (يليل) فى نظرية الأدب من إهمال هذه النظـرية لعنصر السياق ، وهو عنصر هام فى الـدراسات النقدية فـقد يقتضى سـياق ما صورة بلاغيـة معينة فتـصبح مناسبة لهذا الموقف ، لكنها تكون أقـل مناسبة فى سياق آخر وهو يضرب مثالاً لذلك بحرف العطف الواو «فحرف الواو عندمـا يتكرر كثيراً فى سياق قصة من قصص الكتاب المقدس يعطى للتعبير معنى الأطراد والوقار ، لكن هذه الواو لو تكررت كثيراً فى قصة رومـانتيكية فإنها قد تعطى انطباعـاً بالتعويق والإبطاء فى وجه مشاعر ساخنة متدفقة[2] .

وانطـلاقاً مـن هذا التـصور الآخـر للأسلـوب طور (بـاييى) فـكرتـه عن (الأسلوبـية التعبيـرية) فرأيه أن القيـم الأسلوبية لا تكـمن فى قوائم (القـيمة الثابـتة) وحدها كمـا يقول البلاغـيون القدماء ، ولا تـكمن فى لغـة الأقدمين وحدهم كـما كانت تذهب الـنظريات السـابقة على دى سـوسير ولكن القـيمة الأسلوبية الحقـيقية تكمن فيما أسـماه : «المحتوى العاطفى للغـة» وهذه القيمة العاطـفية لا ينبـغى أن تكون محـصورة فى الصور المحـدودة التى اهتمـت بها البلاغة التقليدية ، فليس جمال التعبير مقصوراً على المجاز وحده ، فقد تكون

(١) انظر علم الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص ٣٨ .

(٢) انظر دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ص ٣٠ .

الصور الحقيقية والبسيطة فى بعض المواقف ذات قيمة جمالية ، أو لنقل (ذات محتوى عاطفى كبير على حد تعبير (بايبى))[1] .

من هذه الزاوية وسع من دائرة البحث الأسلوبى وربطه بالسياق فنحن مثلاً قد نجد أنفسنا أمام صيغة فعل الأمر فى عبارة مثل (أفعل هذا) ، لكننا سوف نجد السياقات الأسلوبية المختلفة التى ترد فيها هذه الصيغة ، تكسبها فى كل سياق معنى مختلفاً ، فأنت قد تقول : «أفعل هذا» أو «افعل من أجلى هذا» أو «افعل لى هذا» أو «بربك افعل هذا» أو «أرحنى وافعل هذا» ومع اتحاد الصيغة والقالب التعبيرى الأول ممثلاً فى فعل الأمر للمخاطب المذكر ، فإن تنوع المتعلقات والسياقات جعل لكل صيغة محتوى خاصاً[2] .

ولعل هذا البحث يعد نقطة فى موضوع السياق فالموضوع فى حاجة إلى بحوث أخرى مستفيضة على نفس الدرب بإذن الله .

والحمد لله رب العالمين ،،،

(١) انظر دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث ص ٣١-٣٢ .

(٢) انظر دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث ص ٣١-٣٢ .

الخاتمـــة

وبعد التطواف حول موضع السياق فى تراثنا العربى ودراسات المحدثين عنه نصل إلى بعض الحقائق الأساسية حوله وهى :

أولاً : أن القدمـاد أدركوا دلالة السيـاق فى التراكيب وتحـدثوا عنها بـإفاضة ، وكان أكبر تعبير لهم لخص كل شىء عن مظاهر السياق هو قولهم : (لكل مقام مقال) .

ثانياً : أن السياق اتـسعت مجالاته وتنوعت فى العصـر الحديث ، وأصبحت له مدارس ونظـريات تزعمـها علمـاء من الغرب عـلى رأسهم فـيرث وأولمان وبالمر وغيرهم .

ثالثاً : أن قضايا علاقة اللفظ بالمعنى من أمثال الترادف والمشترك والتضاد يؤدى السياق فـيها دوراً بارزاً فى تحديـد دلالتها وبخاصـة عندما تستـخدم ضمن التراكيب ، وقد أدرك القدماء ذلك مـن أمثال ابن الأنبارى وابن درستويه وغيرهم .

رابعاً : كـذلك هناك مجـالات أخرى يقف فيـها السياق مـوقفاً حازماً فـى بيان الدلالات المقصودة وذلك مثل السياق الثـقافى واللغوى والعاطفى وسياق الموقف ، وكـذلك اختيار المـتكلم للـمعنى المنـاسب للسيـاق ، والظروف الاجتماعيـة المحيطة بالسياق ، وتحـديد الزمن المقصود من خـلاله أيضاً ، وعلاقات السياق بمواضع الجمل والعبارات .

خامساً : كذلك هناك علاقة وطيدة بين الـسياق وعلم الأسلوب ، فهناك السياق العام والخـاص وهناك الاتجاه الإحـصائى فى الـدراسات الأسلوبـية الذى يضـع فى اعتـباره الـسياق عامـلاً أساسياً عـند بعـض العلـماء من أمـثال (أولمان).

المصادر والمراجع

١ - اتجاهات البحث الأسلوبى للدكتور شكرى محمد عياد - القاهرة ١٩٩٦م.

٢ - الأسلوب دراسة لغوية إحصائية للدكتور سعد مصلوح - ط ثالثة - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٣ - الأسلوبية لجورج مولينيه - ترجمة الدكتور بسام بركة - ط أولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٤ - الأضداد لابن الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت - ١٩٦٠ م .

٥ - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة للدكتور نايف خرما - الكويت - ١٩٧٨ م .

٦ - أقسام الكلام العربى من حيث الشكل والوظيفة للدكتور فاضل مصطفى الساقى - القاهرة ١٩٧٧ م.

٧ - بدائع الفوائد لابن القيم - بيروت - بدون تاريخ .

٨ - البلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبد المطلب - القاهرة ١٩٨٤ م .

٩ - البيان فى روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى تأليف د/ تمام حسان - القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

١٠- تحليل الخطاب تأليف ج. ب براون ، ج بول - ترجمة وتعليق د/ محمد لطفى الزليطين ، د/ منير التركى - نشر جامعة الملك سعود - الرياض ١٩٩٧ م .

١١- التحليل الدلالى إجراءاته ومناهجه للدكتور كريم حسام الدين - القاهرة ٢٠٠٠ م .

١٢- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث للدكتور أحمد درويش - القاهرة ١٩٩٨ م .

١٣- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني - ط ثانية - مطبعة المنار - ١٢٣١هـ.

١٤- دلالات الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس - ط خامسة - القاهرة ١٩٨٤ م .

١٥- دور الكلمة في اللغة لأولمان - ترجمة د. كمال بشر - القاهرة ١٩٩٠م.

١٦- الرسالة للإمام الشافعي - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ١٣٠٩ هـ .

١٧- الصاحبي في فقه اللغة - تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٩٧٧ م .

١٨- علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية للدكتور عبد العظيم المطعني - ط أولى - ٢٠٠١ م .

١٩- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته للدكتور صلاح فضل - القاهرة - ط أولى - ١٩٩٨ م .

٢٠- علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر - ط ثانية - القاهرة ١٩٨٨ م .

٢١- علم الدلالة لبالمر - ترجمة د. صبري إبراهيم السيد - القاهرة ١٩٨٦ م.

٢٢- علم الدلالة بين النظر والتطبيق للدكتور أحمد نعيم الكارعين - ط أولى ١٩٩٣ م .

٢٣- علم الدلالة العربي للدكتور فايز الداية - ط أولى - دمشق ١٩٨٥ م .

٢٤- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران - دار النهضة العربية بيروت .

٢٥- فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٦- فقة اللغه للدكتور صبحى الصالح - بيروت ١٣٨٨ هـ .

٢٧- فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى - القاهرة ١٩٨٨ م .

٢٨- فى فلسفة اللغة للدكتور محمود فهمى زيدان - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢٩- فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٩٥ م .

٣٠- كلام العرب للدكتور حسن ظاظا - بيروت ١٩٧٦ م .

٣١- الكلمة دراسة لغوية معجمية للدكتور حلمى خليل - الإسكندرية - ط ثانية ١٩٩٥ م .

٣٢- لسانيات النص للأستاذ محمد خطابى - المغرب - ط أولى ١٩٩١ م .

٣٣- اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان - القاهرة - ط ثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٣٤- اللغة لفندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص - القاهرة ١٩٥٠ م .

٣٥- مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد محمد قدور - دمشق - ط أولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٣٦- مدارس اللسانيات التسابق والتطور تأليف جفرى سامسون - ترجمة الدكتور محمد زياد كبة - الرياض ١٤١٧ هـ .

٣٧- المدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمى حجازى - القاهرة ١٩٩٨م.

٣٨- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى شرح وتعليق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى - بيروت ١٩٨٧ م .

٣٩- النحو والدلالة للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف - ط أولى - القاهرة ٢٠٠٠ م .

٤٠- نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية للدكتور مصطفى حميده - القاهرة ١٩٧٧ م .

٤١- نظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون - دراسة ونصوص فاطمة الطبال بركة - ط أولى - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

أثر المحدِّثين فى الفكر اللغوى عند السيوطى

دراسة فى «المزهر»(*)

د. رجب عبد الجواد إبراهيم
الأستاذ المساعد بجامعة حلوان

للمحدِّثين أيادٍ بيضاء على العلوم الإسلامية بما فيها علوم العربية ؛ فقد تتبعوا أحاديث رسول الله ﷺ فى البوادى والحواضر ، وكابدوا لأخذها أهوال السفر ، فحفظوا ووعوا ، ودفعوا عن الدين صنع الوضّاعين وانتحال المفترين ، وذبُّوا الكذب عن كلام الرسول الصادق بما وضعوه من قواعد محكمة ومنهج صارم ، فكان من نتيجة ذلك أنهم دربّوا الأمّة على التثبت فى توثيق عرى الارتباط ، فكان حريًّا باللغويين أن يقتفوا أثرهم ، ويسيروا على نهجهم ، ولذا لم يجد السيوطى منهجًا أتمَّ ولا أكمل من منهج هؤلاء المحدِّثين يطبقه على أهم مؤلفاته اللغوية ؛ وهو كتاب «المزهر فى علوم اللغة وأنواعها»، ويؤكد ذلك قوله فى المقدِّمة : «هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه، وذلك فى علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث فى التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع »[1] .

(*) ألقى هذا البحث فى المؤتمر الدولى الثانى الذى أقامته كلية الآداب – جامعة أسيوط عن : «التجديد فى فكر السيوطى» فى الفترة من ١١ إلى ١٣ مارس سنة ٢٠٠٣ م .

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، بتحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى ، دار التراث ، القاهرة ، ط الثالثة ، المقدمة ص ١ .

وقد جاء كتاب المزهر كلّه على منهج المحدِّثين وطريقتهم فى علوم الحديث، وفيه عقد السيوطى ثمانية أنواع راجعة إلى اللغة من حيث الإسناد ، وثلاثة عشر نوعًا راجعة إلى اللغة من حيث الألفاظ ، وثلاثة عشر نوعًا أخرى راجعة إلى اللغة من حيث المعنى ، وخمسة أنواع راجعة إلى اللغة من حيث لطائفها ومُلَحها ، ونوعًا واحدًا يرجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها ، وثمانية أنواع راجعة إلى رجال اللغة ورُواتها .

وقد استعمل السيوطى مصطلحات المحدِّثين فأبقى على دلالة بعضها عنده كما عند المحدِّثين ، وغيَّر دلالة بعضها الآخر ووجَّهه توجيهًا دلاليًا آخر يختلف عن دلالته عند المحدِّثين .

ويهدف هذا البحث إلى محاولة استجلاء أثر منهج هؤلاء المحدِّثين فى كتاب «المزهر» ، ويبيِّن أهمية هذا المنهج فى دراسة اللغة ، وإلى أى مدى نجح السيوطى فى تطبيقه على اللغة. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى ثلاثة أقسام : يتناول القسم الأول: ما يتصل بالإسناد اللغوى ، ويتناول القسم الثانى : ما يتصل بالمتن اللغوى ، ويتناول القسم الثالث : ما يتصل برجال اللغة ورواتها ، ثم ذيِّلت هذه الأقسام الثلاثة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التى توصَّل إليها البحث .

القسم الأول : الإسناد اللغوى:

السَّنَد فى اصطلاح المحدِّثين هو سلسلة الرواة الذين عنهم أُخذ نصُّ الحديث الشريف[1] ، وهذا المدلول هو نفسه أيضًا الموجود عند السُّيوطى مع

(١) مقدمة ابن الصلاح ١٩٠ ومحاسن الاصطلاح ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، النوع الرابع ، ص ١٩٠ . .

اختلاف فى محتوى المتن الذى يحمله هذا السند ؛ فعند المحدِّثين المتن يحتوى فقط على أقوال وأفعال وصفات وإقرار الرسول ﷺ ، أمَّا المتن الذى يعنيه السيوطى فهو النصّ اللغوى الذى تناقله الرواة من مصدره الأول ؛ والذى يُعدُّ المادة الأساسية فى التقعيد النحوىّ . وقد أوضح السيوطى فى المزهر مراتب الإسناد اللغوىّ ، وبيَّن أعلاها وأدناها ؛ وها هى مراتب الإسناد اللغوى عنده:

١ - الإسناد الصحيح :

وهو أعلى الأسانيد عند السيوطى ؛ ويُقال له الثابت والمحفوظ[١] وهو يساوى الحديث الصحيح عند المحدِّثين ، وشروطه عندهم هى شروطه عند السيوطى ؛ فإذا كان المحدِّثون قد اشترطوا فى الحديث الصحيح أن يتَّصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذًّا ولا معلَّلًا[٢] . فإن السيوطى اشترط لصحة النصّ اللغوى أن يكون قد ثبتت روايته واشتهرت حتى صار محفوظًا ، وهو يعرِّف الصحيح من اللغة بأنه : ما اتصل سنده بنقل العدْل الضابط عن مثله إلى منتهاه على حدِّ الصحيح من الحديث[٣]. وعلى النقيض منه ما رُوى من اللغة ولم يصح ولم يثبت ؛ لعدم اتصال سنده ؛ لسقوط راوٍ منه ، أو جهالته ، أو عدم الوثوق بروايته ؛ أو فقد شرط القبول فيه[٤] .

واستدلَّ السيوطى على ما لم يصح من اللغة بما جاء فى المعاجم العربية مصحوبًا بأقوالهم : «ليس بثبت» كما فى جمهرة ابن دريد ، أو «لا أدرى ما

---

(١) المزهر ١/ ٧ النوع الأول .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، ص ١٥١ . النوع الأول .

(٣) المزهر ١/ ٥٨ .

(٤) المزهر ١/ ١٠٣ النوع الثانى: ما رُوى من اللغة ولم يصحّ ولم يثبت .

صحته» كما عند الجوهرى فى الصحـاح ، أو «وهو غير ثقة» كما فى أفعال ابن القوطية ، أو «فيه نظر» كما فى مجمل ابن فارس؛ ففى الجمهرة : الشَّطْشاط: طائر ، وليس بثبت ، والجبجاب : الماء الـكثير ، وكذلك ماء جُباجب ، وليس بثبت ، والرَّفف : الـرِّقة فى الثوب وغيره ، وليس بثـبت ، وناقة رجَّاء ممدود زعموا ، إذا كانت مرتجة السَّنام ، ولا أدرى ما صحته ، واللَّغلغ : طائر ، ولا أحسبه صحيحًا ، وفى التهذيب للأزهرى : قال الليث : أسدٌ قَصْقاص نعت له فى صوته ، وحيَّة قـصقاص نعت لها فى خُبثهـا . قال الأزهرى : وهذا الذى فى نعـت الأسد والحيَّة لا أعرفـه ، وأنا برئ من عـهدته . وفى المحـكم لابن سيده : الـتَّنيخ : المقـام ، وليست من الحرف عـلى ثقة ، وفى المجـمل لابن فارس : الخَتْر : ذكر الـثعالب ، وفـيه نظر ، ويُقـال : المَعْفِس : المَفْصِل من المفاصل ، وفى هذه الكلمة نظـر . وقال ابن فارس : ولولا حسن الظن بأهل العلم لتُرك كثير مما حكاه ابن دُريد[(١)] .

٢ - الإسناد المتواتر :

إذا كان المتـواتر فى اصطـلاح المحدِّثين هو الحديـث الذى رواه جمع كـثير يؤْمن تواطؤهـم على الكذب عن مثـلهم من أول الإسناد إلى انـتهائه[(٢)] . فإن المتواتر فى اللغة عـند السيوطى هو ما نُقل من اللغة عن طريق جـماعة يستحيل عليهم الاتفاق على الكذب ؛ كالذين نقلوا لغة القرآن الكريم ، أو ما تواتر من السنَّة ، وكلام العرب ، فإنهم انتهوا إلى حدٍّ يسـتحيل على مثلهم الاتفاق على الكـذب ، ومن أمثلـة المتواتر مـن كلام العرب : أسـماء الأيام ، والشـهور ، والفصول ، وما يتعلـق بطعامهم وشرابهم ونباتهم وحيـواناتهم ، وملابسهم ،

---

(١) المزهر ١/١٠٣ - ١١٣ النوع الثانى .

(٢) معجم المصطلحات الحديثية ، نور الدين عتر ، مـجلة اللسان العربى ، الرباط ، المجلد الرابع عشر ، الجزء الأول ، ١٩٧٦ ، ص ٢٥٧ .

وأدوات معيشتهم ، وأدوات حربهم ، وسلمهم ، وما يتعلق بأمراضهم وعلاجهم ، فكل هذه الألفاظ عربية صحيحة متواترة على ألسنة الخلق من زمن العرب إلى وقتنا هذا ، وهناك ألفاظ مُعرَّبة شاعت على ألسنة العرب ، وقد ذكرها الثعالبى فى «فقه اللغة وسر العربية» تحت عنوان : «فصل فى سياقة أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة»، وهذا كله من متواتر اللغة[1].

وهذا الإسناد اللغوىّ المتواتر دليل قطعىّ من أدلة النحو يُفيد العلم ، ويضع القواعد على أسس راسخة مطمئنة ؛ لأن شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة إلى حدٍّ لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب ، وذهب قوم إلى أن شرطه أن يبلغوا سبعين ، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا أربعين ، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا اثنى عشر ، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا خمسة، والصحيح فى رأى السيوطى هو أن يبلغوا سبعين[2].

وقد عرض السيوطى للإشكالات القائمة على الإسناد المتواتر ، وأولها : أنا نجد الناس مختلفين فى معانى الألفاظ التى هى أكثر الألفاظ تداولاً ودورانًا على الألسنة ؛ كلفظة (الله) فإن بعضهم زعم أنها عبرية ، وقال قوم : هى سريانية ، وحتى أولئك الذين جعلوها عربية اختلفوا هل هى مشتقة أو لا ، فإذا كان هذا الحال فى هذه الألفاظ التى هى أشهر الألفاظ ، والحاجة إليها ماسّة جدًا ، فما ظنك بسائر الألفاظ ؟!. وثانى هذه الإشكالات أن من شرط التواتر استواء الطرفين والواسطة ، فهبْ أنا علمنا حصول شرط التواتر فى حفَّاظ اللغة والنحو والتصريف فى زماننا ، فكيف نعلم حصولها فى سائر الأزمنة ، وإذا جهلنا شرط التواتر جهلنا التواتر ؛ لأن الجهل بالشرط يوجب الجهل بالمشروط . والإشكال الثالث والأخير أن هذه اللغة أُخذت عن جمع

(١) المزهر ١/١١٣ - ١٢٤ النوع الثالث : المتواتر والآحاد .

(٢) المزهر ١/١١٤ .

مخصوص ؛ كالخليل وأبى عمرو بن العلاء ، والأصمعى ، وأقرانهم ، ولا شك أن هؤلاء ما كانوا معصومين ولا بالغين حدَّ التواتر ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يحصل القطع واليقين بقولهم[١] .

٣ - الإسناد الآحاد :

خبر الواحد أو الآحاد عند المحدِّثين هو الحديث الذى يُروى من طريق واحد أو عدة طرق لم تبلغ درجة المتواتر[٢] ، ودلالته عند السيوطى لا تختلف عن دلالته عند المحدِّثين ؛ فالسيوطى يعرِّفه بقوله : هو ما تفرَّد بنقله بعض أهل اللغة ، ولم يوجد فيه شرط التواتر ، وهو دليل مأخوذ به ، واختلف اللغويون فى إفادته ، فذهب الأكثرون إلى أنه يفيد الظن ، وزعم بعضهم أنه يفيد العلم ، وليس بصحيح لتطرُّق الاحتمال فيه ، وزعم بعضهم أنه إن اتصلت به القرائن أفاد العلم ضرورةً كخبر التواتر لوجود القرائن[٣] . وفى ثبوت اللغة بأخبار الآحاد مذهبان : أحدهما أنَّ اللغة تثبت به ؛ لأن الدليل إذا دلَّ على وجوب العمل به فى الشرع كان فى ثبوت اللغة واجبًا ؛ ولأن إثباتها إنما يُراد للعمل فى الشرع . والمذهب الثانى يرى أنه لا تثبت لغةٌ ما بأخبار الآحاد[٤] .

وكما أقام السيوطى إشكالات على الإسناد المتواتر فقد أقام أيضًا إشكالات على الإسناد الآحاد من جهة أن الرواة له مجروحون ، ليسوا سالمين عن القدح ؛ فكتاب سيبويه قدح فيه الكوفيون ، وأما كتاب «العين» فقد أطبق الجمهور من أهل اللغة على القدْح فيه ، وأيضًا فإن ابن جنى أورد بابًا فى كتاب «الخصائص» فى قدْح أكابر الأدباء بعضهم فى بعض وتكذيب بعضهم

---

(١) المزهر ١/ ١١٥ - ١١٧ .

(٢) معجم المصطلحات الحديثية ٢٣٧ .

(٣) المزهر ١/ ١١٤ .

(٤) المزهر ١/ ١١٤ ، ١٢٠ من النوع الثالث .

بعضًا ، وأورد بابًا آخر فى أن لغة أهل الوبر أصح من لغة أهل المدَر ؛ وغرضه من ذلك كله هو القدْح فى الكوفيين ، والعجب من الأصوليين أنهم أقاموا الدلائل على خبر الواحد أنه حجة فى الشرع ، ولم يقيموا الدلالة على ذلك فى اللغة ، وكان هذا أولى ، وكان من الواجب عليهم أن يبحثوا عن أحوال اللغات والنحو ، وأن يفحصوا عن جرحهم وتعديلهم كما فعلوا ذلك فى رُواة الأخبار، لكنهم تركوا ذلك بالكلية مع شدة الحاجة إليه ؛ فإن اللغة والنحو يجريان مجرى الأصل للاستدلال بالنصوص[(١)] .

٤ - الإسناد المرسل :

المُرْسَل فى اصطلاح المحدِّثين هو ما رفعه التابعىُّ إلى رسول الله ﷺ مباشرة ، وأسقط فيه ذكر الصحابى الذى سمعه من رسول الله ؛ وسُمِّى مُرْسلاً ؛ لأن التابعىّ أرسله مباشرة إلى النبى ﷺ فقال : قال رسول الله ﷺ دون ذكر الصحابى[(٢)] . أمَّا المرسل عند السيوطى فهو الذى انقطع سنده نحو أن يروى ابن دُريد عن أبى زيد وهو لم يره ولم يعاصره ، وهو فى اللغة غير مقبول ؛ لأن العدالة شرط فى قبول النقل ، وانقطاع سند النقل يوجب الجهل بالعدالة ، فإن من لم يُذكر لا تُعرف عدالته ، وبهذا التعريف يتضح لدينا أن المرسل عند السيوطى يتفق إلى حدٍّ كبير مع المنقطع عند المحدِّثين ، فإن المنقطع عندهم هو ما سقط من سنده راوٍ واحد فى موضع أو أكثر ، أو ذُكر فيه راوٍ مُبْهم[(٣)] ؛ وكلا المصطلحين : المرسل ، والمنقطع يتفقان عند المحدِّثين وعند السيوطى فى شىء واحد ، وهو عدم اكتمال سلسلة الإسناد . ومن أمثلة المُرْسل فى اللغة ما ذكره السيوطى نقلاً عن جمهرة اللغة لابن دريد : يُقال :

(١) المزهر ١/١١٧ - ١١٨ .

(٢) الكفاية فى علم الرواية ٥٥٠ - ٥٥١ ، مقدمة ابن الصلاح ٢٠٢ ، النوع التاسع .

(٣) الكفاية فى علم الرواية ٥٥١ ، مقدمة ابن الصلاح ص ٢١٣ ، النوع العاشر .

فَسَأْتُ الثوب أفسؤه فَسأً إذا مددته حتى يتفزّر . وأخبر الأصمعى عن يونس قال: رآنى أعرابىٌّ محتبيًا بطيلسان فقال : علام تفسؤه ؟ وابن دريد لم يُدرك الأصمعى ، وكذلك ما ذكره ابن دريد فى أماليه ؛ عن أبى عبيدة معمر بن المثنى عن يزيد بن معاوية ؛ وأبو عبيدة لم يدرك يزيد ؛ فالأول توفى سنة ٢٠٩ هـ، والثانى توفى سنة ٦٤ هـ[١] .

٥ - الإسناد المفرد:

المفرد عند المحدِّثين هو الذى تفرَّد به راويه بأى وجه من وجوه التفرُّد[٢] ، وقد قسَّمه الحاكم النيسابورى إلى ثلاثة أقسام : الأول تفرُّد أهل مدينة عن صحابى ، والثانى : تفرُّد رجل عن إمام ، والثالث : تفرُّد أهل مدينة عن مدينة أخرى[٣] . أمَّا الإسناد المفرد عند السيوطى فهو ما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة ، ولم ينقله أحد غيره ، وحكمه عند القبول بشرط أن يكون المتفرِّد به من أهل الضبط والإتقان ؛ كأبى زيد ، والخليل بن أحمد ، والأصمعى ، وأبى حاتم ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى وأضرابهم ، وشرطه ألاَّ يخالفه فيه من هو أكثر عددًا منه[٤] . ويحدِّثنا السيوطى عن أحوال النصّ اللغوى المفرد ومتى يُقبل ويُحتج به من جانبىّ المتن والسند ، فمن ناحية المتن : إذا كان النصّ اللغوىّ فردًا لا نظير له فى الألفاظ المسموعة ، مع إطباق العرب على النطق به، فهذا يُقبل ويُحتج به ويُقاس عليه إجماعًا ، كما قيس على قولهم فى «شنوءة: شَنَئى» مع أنه لم يُسمع غيره ؛ لأنه لم يُسمع ما يخالفه ، وقد أطبقوا على النطق به .

---

(١) المزهر ١/ ١٢٥ النوع الرابع .
(٢) تدريب الراوى ١/ ٢٤٨ .
(٣) معرفة علوم الحديث ٩٦ - ١١٢ . النوع الخامس والعشرون .
(٤) المزهر ١/ ١٢٩ - ١٣٧ النوع الخامس .

أما من ناحية السَّند : إذا كان المتكلم به من العرب واحدًا ويخالف ما عليه الجمهور فيُنظر فى حال هذا المتكلِّم المنفرد به ، فإن كان فصيحًا فى جميع ما روى ما عدا ذلك القدر الذى انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس فإن الأولى فى ذلك أن يُحسن الظنّ به ، ولا يُحمل على فساده[1] .

ومن الملاحظ أن السيوطى عقد للإسناد المفرد بابين : النوع الخامس : معرفة الأفراد ، والنوع الخامس عشر : معرفة المفاريد . وجعل الأول يتَّصل بالسَّند ، والثانى يتصل بالمتن ، كما أن هناك فرقًا آخر بينهما يتضح فى قوله : الفرق بين معرفة الأفراد ، ومعرفة المفاريد أن الأفراد فيما تفرَّد بنقله عن العرب واحد من أئمة اللغة ، ومعرفة المفاريد فيما تفرَّد بالنطق به واحد من العرب ؛ فذاك فى الناقل ، وهذا فى القائل[2] .

ومن أمثلة الإسناد اللغوىّ المفرد ما ساقه السيوطى نقلاً عن جمهرة اللغة : المَنْشَبَة : المال ، هكذا قال أبو زيد ، ولم يقله غيره ، والرَّتُّ والجمع رتوت ، وهى الخنازير الذكور ولم يجئ به غير الخليل . والصِّنتيت بمعنى الصِّنديد هكذا يقول يونس ولم يقله غيره ..... إلخ[3] .

٦ - الإسناد المقيس :

هذا النوع من الإسناد لا وجود له عند المحدِّثين ؛ لأنَّ المحدِّثين يروون نصًّا بعينه ينقلونه عن شخص رسول الله ﷺ ، فليس لهم أن يزيدوا أو ينقصوا ، أمَّا اللغة فإنها متنامية متَّسعة ، ولذا يجوز فيها استنباط العقل من النقل ، أو ما عُرف بعد ذلك عند البصريين بالقياس ، وكما يجوز للفقهاء أن

---

(١) المزهر ١/٢٤٨ النوع الخامس عشر.

(٢) المزهر ١/٢٥١ .

(٣) المزهر ١/١٢٩ - ١٣٧ النوع الخامس .

يستنبطـوا الأحكام من النصوص الفقهـية ويقيسوا عليها ، فـإن اللغة يجوز أن تصل إلينا عن طـريق قياس ما لم يُسمع عن العرب علـى ما سُمع عنهم ، ولذا قسَّم السيوطى الطريق إلى معرفة اللغة قسمين : إمَّا النقل المحض كأكثر اللغة ، وإمَّا استنـباط العقـل من النقل ، والـنقل المحض ينـقسم بدوره قـسمين : إمَّا تواترًا ، وهو ما لا يقبل التشكيك فيه كالسماء والأرض والحرّ والبرد ونحوها ، وأكثر ألـفاظ القرآن الكريم مـن النوع الأول ؛ أى المتواتر ، وإمَّا آحـادًا كالقُرْء ونحوه من الألـفاظ الغريبة مما تـفرَّد بنقله بعض أهـل اللغة ، ولم يتحـقق فيه شرط التواتر .

أمَّا استنبـاط العقل من النـقل فكما إذا نُقل إلـينا أن الجمع المعـرَّف يدخله الاستثنـاء ، ونُقل إلينا أن الاستثـناء إخراج ما يتناولـه اللفظ ، فحينـئذ يُستدلُّ بهذين النقلـين على أن صيغ الجمع للعموم . وأمَّا العـقل الصِّرف فلا مجال له فى ذلك[1] .

ويستدلّ السيوطى على ضرورة استنباط العقل من النقل فى اللغة بقول ابن جنى فى الخصائص : مَنْ قال إنَّ اللغة لا تُعـرف إلا نقلاً فقد أخطأ ، فإنها قد تُعلم بالقرائن أيضًا ، فإن الرجل إذا سمع قول الشاعر :

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيْه لهم ... طـاروا إليـه زَرَافـاتٍ وَوُحْـدَانا

يعلم أن الزرافات بمعنى الجماعات .

كما يستدلّ السيوطى بما قاله عبد اللطيف البغدادى فى شرح الخطب النباتية فى معـرض التفرقة بـين مهمة اللغـوىّ ومهمة النـحوىّ ، فقد قاس الـبغدادى عملهما بعمل المحدِّث والفقيه ، فاللغوىّ شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعدَّاه ، وأمَّا النـحوىّ فشأنه أن يتصرَّف فيمـا ينقله اللغوى ، ويقـيس عليه ،

(١) المزهر ١/ ٥٧ .

ومثالهما المحدِّث والفقيه ، فشأن المحدِّث نقل الحديث برمَّته ، ثم إن الفقيه يتلقاه ويتصرَّف فيه ويبسط فيه علله ويقيس عليه الأمثال والأشباه ، وقال أبو على الفارسى : يجوز لنا أن نقيس منثورنا على منثورهم وشعرنا على شعرهم، وعُزى إلى الإمام الشافعى أنه أجرى القياس فى اللغة[1] .

٧ - الإسناد المصنوع :

ليس فى مصطلحات المحدِّثين ما يُعرف بالمصنوع ، وإنما المعروف لديهم هو الموضوع ، ولمَّا كان الوضع عند اللغويين يخالف الوضع عند المحدِّثين ؛ فالوضع عند المحدِّثين يعنى الكذب والاختلاق ونسبة أحاديث إلى رسول الله ﷺ لم يقلها ، أمَّا الوضع عند اللغويين فهو عبارة عن تخصيص الشىء بالشىء ، بحيث إذا أُطلق الأول فُهم منه الثانى، فإنك إذا أطلقت قولك : «قام زيد» فُهم منه صدور القيام منه ، وكوضع لفظ «إنسان» للحيوان الناطق، وكوضع «لعلَّ» للترجى ونحوها[2] ، لذا جعل السيوطى الإسناد المصنوع مرادفًا للإسناد الموضوع عند المحدِّثين ؛ فالموضوع عند المحدِّثين هو الحديث المختلق الذى يُنسب إلى رسول الله ﷺ كذبًا ، والمصنوع عند السيوطى هو ما أُدخل على كلام العرب وليس منه ، فإن النحارير - كما يقول الخليل - ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت ، ويستدلّ السيوطى على أنَّ المصنوع فى اللغة يسهل كشفه عن المصنوع فى الحديث بقول أبى على القالى فى أماليه : رُواة الشعر أعقل من رُواة الحديث ؛ لأن رواة الحديث يروون مصنوعًا كثيرًا ، ورواة الشعر ساعة يُنشدون المصنوع ينتقدون ويقولون: هذا مصنوع .

ومن أمثلة المصنوع التى ساقها السيوطى فى المزهر : عن أبى عثمان المازنى

---

(١) المزهر ١/٥٩ .

(٢) المزهر ١/٣٨ ، ٤٢ .

قال : سمعت اللاحقى يقول : سألنى سيبويه : هل تحفظ للعرب شاهدًا على إعمال (فَعِل) ؟ قال : فوضعت له هذا البيت :

حَذِرٌ أموراً لا تضيرُ وآمِنٌ ... ما ليس مُنجيه من الأقدارِ

وفى جمهرة اللغة لابن دريد : قال الخليل : أمَّا ضهيد ، وهو الرجل الصلب فمصنوع لم يأت فى الكلام الفصيح . وفى الجمهرة أيضًا : البُدُّ : الصنم الذى يُعبد ، ولا أصل له فى اللغة .... إلخ[1] .

القسم الثانى : المتن اللغوى:

المتن عند المحدِّثين هو نصُّ الحديث الشريف الذى تناقله الرواة ، أمَّا المتن عند السيوطى فهو النصّ اللغوى الذى أُخذ من العرب الخُلَّص فى إطار زمن ومكان محدَّدين ؛ فالزمان هو نهاية القرن الثانى الهجرى بالنسبة للحواضر والأمصار ، ونهاية القرن الرابع الهجرى بالنسبة للبادية ، أمَّا المكان فهو قريش وما حولها من القبائل الموغلة فى البادية كقيس وتميم وأسد وهُذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، وقد اختلف اللغويون عن المحدِّثين فى نقد المتن ؛ فالمحدّثون صرفوا عنايتهم إلى نقد السَّند باعتباره هو طريق النقل ؛ وإذا صحَّ النقل صحَّ المنقول ، كما أنهم وجدوا حرجًا فى التعرُّض لنقد المتن ؛ لأنه كلام النبى المعصوم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا يعلو على كلامه إلا كلام الله - عزَّ وجلَّ - . وعلى الرغم من ذلك فإنهم وضعوا علامات يمكن من خلالها معرفة الوضع فى المتن ، وهذه العلامات هى :

١ - ركاكة اللفظ ؛ بحيث يُدرك اللغوىّ أنه ليس من كلام رسول الله ﷺ ، مثل الحديث الموضوع «إن لله ملكًا من حجارة يقال له عمارة ينزل على حمار من حماره كل يوم» .

---

(١) المزهر ١/ ١٧١ - ١٨٣ النوع الثامن .

٢ - فساد المعنى ؛ وذلك ظاهر فى الحديث الموضوع «اشربوا على الطعام تشبعوا» ، فإن الشرب على الطعام يمنع استقراره فى المعدة .

٣ - مناقضته لنصّ الكتاب أو السّنة أو الإجماع ؛ مثل الحديث الموضوع : «آليت على نفسى ألاّ أدخل النار من كان اسمه أحمد أو محمد» .

٤ - أن يكون الحديث باطلاً فى نفسه فيدل على أنه ليس من كلام رسول الله ﷺ مثل الحديث الموضوع : «الحجامة على القفا تورث النسيان» .

٥ - أن يكون كلامًا لا يشبه كلام الأنبياء ولا يشبه كلام الصحابة ، مثل الحديث الموضوع : «نبات الشعر فى الأنف أمان من الجذام»(١) .

وقال ابن الجوزى : ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع(٢) .

وقد جعل السيوطى المتن اللغوىّ درجات متأثرًا بمنهج المحدِّثين ، وهذه هى درجاته :

١ - المتن الفصيح :

هو أعلى المتون اللغوية ويرادف الحديث الصحيح عند المحدِّثين ، ويعرّفه السيوطى بأنه هو كل ما أكثرت العرب من استعماله وخلا من تنافر الحروف ، وخلا أيضًا من الغرابة ، ولم يخالف القياس اللغوى . ويقرِّر السيوطى أن أفصح العرب قريش ، وأفصح قريش هو رسول الله ﷺ .

---

(١) المنار لابن قيم الجوزية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، د. ت من ص ١٩ - ٣٢ ، مصطلح الحديث ، د. شرف الدين الراجحى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د. ت ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) تدريب الراوى ١/ ٢٧٧ .

والكلام الفصيح عند السيوطى رُتب متفاوتة ، ففيه الفصيح وفيه الأفصح، ونظير ذلك فى علوم الحديث ، ففيها الصحيح ، وفيها الأصحّ ؛ فما ورد فى القرآن الكريم من الفاظ هو أفصح مما فى غير القرآن ، ومن أمثلة الفصيح والأفصح عند السيوطى ما نقله عن جمهرة اللغة : البُرّ أفصح من قولهم القمح والحنطة ، واللُّغوب أفصح من اللَّغْب ، والحِبْر : العالِم بالكسر أفصح من الفتح ... إلخ[1] .

٢ - المتن الضعيف :

الضعيف عند المحدِّثين هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا صفات الحديث الحسن ؛ أى اختلَّ فيه شرط من شروط الصِّحة أو الحسن[2] . أمَّا الضعيف فى اللغة عند السيوطى فهو ما انحط عن درجة الفصيح ، وتأتى مرتبته بعد الفصيح ؛ فليس فى درجات المتن اللغوى درجة الحسن كما فى الحديث النبوى ، ومن أمثلة الضعيف فى اللغة ما أورده السيوطى نقلاً عن المعاجم العربية وكتب اللغة : اللَّهَجة - بالتحريك - لغة فى اللهْجة ، وهى ضعيفة ، وأنْبذ نبيذًا لغة ضعيفة فى نَبَذَ، وانتُقِعَ لونه لغة ضعيفة فى أُمْتُقِع ، وتمندل بالمنديل لغة ضعيفة فى تندَّل ، وواخاه لغة فى آخاه وهى ضعيفة ، والامتحاء لغة ضعيفة فى الإمحاء ، وشَغِب عليه لغة فى شَغَبَ ، وهى لغة ضعيفة ، ويُقال : رَعِف الرجلُ لغةٌ فى رَعَفَ ، وهى ضعيفة ، وفى الصِّحاح : لَغِبَ بالكسر يَلْغَبُ لغة ضعيفة فى لَغَب يَلْغُبُ ، وفى شرح الفصيح لابن درستويه : جمع الأمّ أمَّات لغة ضعيفة غير فصيحة ، والفصيحة أمَّهات[3] .

---

(١) المزهر ١/١٨٤ - ٢١٣ النوع التاسع .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ١٨٨ : النوع الثالث .

(٣) المزهر ١/٢١٤ : النوع العاشر .

وقد يعبِّر السيوطى عن اللفظ الضعيف بقوله : «وهذا لا يُعرف» ، أو قوله: «وأنكرها الأصمعى»، أو «هى لغة قليلة» ، أو «ليست بالفصيحة» ، أو «هى أقل اللغات» ، أو «وليس بالعالى» ، أو «فى بعض اللغات» ، وغيره من العبارات التى تنزل باللفظ من المستوى الفصيح إلى المستوى الضعيف[١] .

٣ - المتن المنكر:

المنكر عند المحدِّثين هو الذى ينفرد به الرجل ولا يُعرف متنه من غير روايته: لا من الوجه الذى رواه منه ، ولا من وجه آخر ، وهو ينقسم قسمين: الأول : هو المنفرد المخالف لما رواه الثقات . والثانى : هو الفرد الذى ليس فى راوية من الثقة والإتقان ما يحتمل معه تفرده ، ومرتبته أنه ضعيف جداً ، وحكمه مثل حكم الغريب[٢] . أمَّا المنكر عند السيوطى فهو ما أنكره بعض أئمة اللغة ولم يعرفه ، ودرجته تأتى بعد الضعيف ، وهو أقل استعمالاً منه ، ومن أمثلته قوله : كان الأصمعى ينكر : «هى زوجتى» ويقول : لا تكاد العرب تقول زوجته ، وفى الجمهرة: قال قوم : بَلَق الدابة ، وهذا لا يُعرف فى أصل اللغة والمعروف : أبلق - بالهمز - ، وفى الجمهرة أيضًا : قال قوم : نَبْلة واحدة النَّبْل ، وليس بالمعروف ، وفى الصِّحاح : جَرَعْتُ الماءَ بالفتح لغة أنكرها الأصمعى ، والمعروف جَرِعْتُ بالكسر ، وفى المقصور للقالى: يُقال سقط على حَلاَوى القفا ، وقال أبو عبيدة : يجوز أيضًا على حَلاَوةِ القفا ، وليست بالمعروفة[٣] .

---

(١) المزهر ١/ ٢١٤ - ٢١٨ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ٢٤٤ - ٢٤٦ : النوع الرابع عشر .

(٣) المزهر ١/ ٢١٤ - ٢١٨ : النوع العاشر .

٤ - المتن المتروك :

المتروك فى اصطلاح المحدِّثين هو الحديث الذى يرويه من يُتَّهم بالكذب ويتفرَّد به ، ويكون مخالفًا للقواعد المعلومة ، وهو أحد أنواع الحديث الشاذّ ، وشرط المتروك أن يرويه غير ثقة ، وحكمه أنه ضعيف جدًّا(١) .

والمتروك عند السيوطى هو ما كان قديمًا من اللغات ، ثم تُرك واستُعمل غيره ، والفرق بين المتروك وغير الصحيح أنَّ المتروك فيما هو ضعيف من جهة عدم الفصاحة مع ثبوته فى النقل ، وأن غير الصحيح فيما هو ضعيف من جهة النقل وعدم الثبوت ، فالمتروك راجع إلى اللفظ ، وغير الصحيح راجع إلى الإسناد ، ومن أمثلة المتروك أسماء الأيام والشهور فى الجاهلية ؛ فقد كان العرب يسمّون السبت : شيار ، والأحد : أوَّل ، والاثنين : أهْوَن ، وأوْهَد ، والثلاثاء : جُبار ، والأربعاء : دُبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عَروبة، أما شهر المُحرَّم فهو فى الجاهلية : المُؤْتَمِر ، وصَفَر هو ناجر ، وربيع الأول : خوَّان ، وربيع الآخر : وبْصان ، وجمادى الأولى : الحَنين ، وجُمادى الآخرة : ربَّى ، ورجب : الأصمّ ، وشعبان : عادل ، ورمضان : ناتق، وشوَّال: وَعِل ، وذو القعدة : وَرْنَة ، وذو الحجة : بُرَك ... إلخ(٢).

٥ - المتن الشاذ :

الشاذ عند المحدِّثين هو الحديث الذى رواه الراوى المقبول ، ولكنه جاء مخالفًا لمن هو أقوى منه ، وحكمه أنه ضعيف جدًّا(٣) ؛ فالشاذ ما ليس له إلا إسناد واحد يشذّ به ثقة أو غيره ، فما كان عن غير ثقة فمتروك ، وما كان عن

---

(١) تدريب الراوى ١/ ٢٣٢ - ٢٣٣ ، معجم المصطلحات الحديثية ٢٥٦ .

(٢) المزهر ١/ ٢١٤ - ٢٢٠ : النوع العاشر .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ٢٣٧ : النوع الثالث عشر .

ثقة تُوُقِّف فيه ولا يحتجُّ به[1] . أمَّا النصُّ اللغوى الشاذ عند السيوطى فهو ما كان على النقيض من المطَّرد ، ولذا قرنهما السيوطى تحت نوع واحد ؛ هو النوع الثانى عشر : معرفة المطرد والشاذ ، وقد جعل العرب ما استمرَّ من الكلام فى الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطَّردًا ، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا ، وقد قسَّم السيوطى المطَّرد والشاذّ فى اللغة أربعة أقسام :

١ - المطَّرد فى القياس والاستعمال جميعًا ، وهذا هو الغاية المطلوبة ، نحو : قام زيد ، وضربت عمرًا ، ومررت بسعيد .

٢ - المطَّرد فى القياس والشاذ فى الاستعمال ، وذلك نحو الفعل الماضى من : يذر ، ويدع ، وكذلك قولهم : مكان مُبْقِل ، هذا هو القياس، والأكثر فى السماع باقل . وكذلك استعمال خبر عسى اسمًا صريحًا ؛ نحو قولك : عسى زيد قائمًا ، هذا هو القياس ، غير أن السماع ورد بحظره ، واقتصر على استعماله فعلاً مقرونًا بأن ؛ نحو: عسى الله أن يأتى بالفتح .

٣ - المطَّرد فى الاستعمال الشاذّ فى القياس ؛ نحو : استصوبت الأمر ، واستنوق الجملُ ، واستتيست الشاة ، واستفيل الجمل .

٤ - الشاذّ فى القياس والاستعمال جميعًا ، نحو تتميم مفعول مما عينه واو، نحو : ثوب مصوون، ومِسْك مدووف ، وفرس مقوود ، ورجل معوود فى مرضه ، وكل ذلك شاذ فى القياس والاستعمال ؛ فلا يسوغ القياس عليه ، ولا ردٌّ غيره إليه .

---

(١) تدريب الراوى ١/ ٢٣٣ .

ومن أمثلة الشاذ فى القياس المطَّرد فى الاستعمال : يُقال أحزَنه يحزُنه ، وهذا شاذ ، وكان القياس : يُحْزِنه ، ولم يُسمع ، ويقال : أحمَّه الله فهو محموم ، وهو من الشواذ ، والقياس : مُحَمّ ، ويُقال : أجنَّه الله فهو مجنون على غير قياس ، وفى صحاح الجوهرى : تقول : جئت مجيئًا حسنًا ، وهو شاذ ؛ لأن المصدر من فَعَل يَفْعِل مَفْعَل بفتح العين ، وقد شذت منه حروف ؛ فجاءت على مَفْعِل كالمجيء والمحيض والمكيل والمصير .

وفى إطار الاحتجاج بالشاذ فى القياس المطَّرد فى الاستعمال ينقل السيوطى قول ابن السرَّاج فى «الأصول فى النحو» : وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى إسناد حجةً على الأصل المُجْمَع عليه فى كلام ، ولا نحو ، ولا فقه ، وإنما يركن إلى هذا ضَعَفَة أهل النحو ومَنْ لا حجة معه ، وتأويل هذا وما أشبهه فى الإعراب كتأويل ضَعَفَة أصحاب الحديث وأتباع القُصَّاص فى الفقه[1] .

٦ - المتن الغريب :

لمصطلح الغريب عند المحدِّثين دلالات عدّة ؛ فقولهم : غريب الحديث : ما وقع فى متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة التى تحتاج إلى توضيح وتفسير، أما قولهم : الحديث الغريب فهو الذى تفرَّد به راويه ، وهو على ثلاثة أنواع : الغريب متنًا وإسنادًا ؛ وهو الذى لا يُروى إلا من طريق واحد ، والغريب إسنادًا لا متنًا وهو الذى اشتهر بوروده من عدة طرق عن راوٍ أو عدة رواة ثم تفرَّد به راوٍ فرواه من وجه آخر غير ما اشتهر به الحديث ، والغريب متنًا لا إسنادًا وهو الذى تفرَّد به الراوى فى أول السند ثم رُوى عنه من عدة أوجه[2] .

(١) المزهر ١/٢٢٦ - ٢٣٣ : النوع الثانى عشر .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ٤٥٦ : النوع الحادى والثلاثون ، معجم المصطلحات الحديثية ص ٢٤٩ .

أمَّا السيوطى فقد قارب فى الدلالة بين أربعة ألفاظ ؛ هى : الحوشى أو الوحشى والغريب والشاذ والنادر ، قائلاً : هذه الألفاظ متقاربة ، وكلّها خلاف الفصيح ؛ فالحوشى منسوب إلى الحوش وهى بقايا إبل وآبار بأرض غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الإنس ، والوحشى من الكلام ما نفر عن السمع ، وإذا كانت اللفظة حسنة مستغربة لا يعلمها إلا العالم المبرَّز والأعرابى القحّ فتلك وحشية ، وفى الصحاح : حوشىّ الكلام وحشيّه وغريبه ، وقال ابن رشيق فى العمدة : الوحشى من الكلام ما نفر عن السمع ، والغرائب جمع غريبة، وهى بمعنى الحوشىّ، والشوارد جمع شاردة ، وهى أيضًا بمعناها، والنوادر جمع نادرة ، وهى بمعنى الشوارد ، وقد قابل صاحب القاموس بها الفصيح ، حيث قال : مشتملاً على الفُصُح والشوارد . ومن الغرائب : الخازباز: السِّنَّوْر ، عن ابن الأعرابى قال : وهو من أغرب الأشياء والمشهور أنه اسم للذباب ، ولداء يأخذ الإبل فى حلوقها ، ولنبت . والوطب : وعاء اللبن مشهور ، وكذا المِحْقن ، وهو غريب ، ومما يُستغرب قليلاً : المآبر وهى النمائم ، الواحدة : مئْبرة ، وفى مجمل ابن فارس : الجود : الجوع ، سمعت القطَّان يقول : سمعت عليًا يقول : هذا أغرب حرف فيه ؛ يريد فى باب الجوع[1] .

القسم الثالث : رجال اللغة ورُواتها :

جعل المحدِّثون دراسة الحديث النبوى فى ثلاثة اتجاهات : اتجاه يتصل بالسَّند؛ أو سلسلة الرواة ، واتجاه يتصل بالمتن ؛ أو النصّ ، واتجاه يتصل بعلم الرِّجال أو علم الجَرْح والتعديل أو تأريخ الرواة وتصنيفهم إلى طبقات ، كذلك عقد السيوطى فى المزهر أبوابًا تتصل اتصالاً وثيقًا برواة اللغة ؛ وأهمُّ هذه

---

(١) المزهر ١/ ٢٣٣ - ٢٣٩ : النوع الثالث عشر .

الأنواع أربعة هى : معرفة من تُقبل روايته ومن تُردّ ، ومعرفة طرق الأخذ والتحمُّل ، ومعرفة آداب اللغوى ، ومعرفة الطبقات والحُفَّاظ والثقات والضعفاء .

١ - معرفة من تقبل روايته ومن ترد:

وضع علماء الحديث منهجًا صارمًا لبيان من تُقبل روايته ومن تُردُّ ، فاشترطوا لقبول رواية الراوى شرطين أساسيين : العدالة ، والضبط ، والعدالة عندهم هى أن يكون الراوى مسلمًا بالغًا عاقلاً سليمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، أما الضبط عندهم فهو أن يكون الراوى متيقظًا حافظًا ، والضبط نوعان : ضبط صدر ؛ أى من الذاكرة ، وضبط كتابة ؛ أى من كتاب[١] . وقد نجح علماء الحديث فى تطبيق هذا المنهج الصارم تطبيقًا دقيقًا ، فأتى ثماره كاملة، ونتج عنه كتب الصحاح الستة وغيرها . وقد حاول اللغويون أن يطبقوا هذا المنهج على اللغة، لكنهم لم يحققوا ما حقَّقه المحدِّثون لأسباب خارجة عن إرادتهم ؛ فهناك فرق بين الحديث الشريف الذى هو المصدر الثانى من مصادر التشريع فى الإسلام ، وبين كلام العرب ، ويؤكد ذلك أن السيوطى نقل فى المزهر نصوصًا لأئمة اللغة السابقين ؛ وقد تفاوتت هذه النصوص بين الدقة فى قبول الرواية وبين التساهل ؛ فقد نقل عن ابن فارس قوله : تؤخذ اللغة سماعًا من الرواة الثقات ذوى الصدق والأمانة ، ويُتَّقى المظنون ، فليتحرَّ آخذ اللغة أهل الأمانة والصِّدق والثقة والعدالة ، وممن تشدَّد فى أخذ اللغة أيضًا - كابن فارس - أبو البركات بن الأنبارى ، الذى اشترط أن يكون ناقل اللغة عدلاً ، رجلاً كان أو امرأة ، حرًّا كان أو عبدًا ، كما يُشترط فى نقل الحديث ؛ لأن بها معرفة تفسيره وتأويله ، فاشترِط فى نقلها ما اشتُرط فى نقله ، وإن لم تكن

(١) مقدمة ابن الصلاح ٢٨٨ : النوع الثالث والعشرون .

فى الفضيلة من شكله ، فإن كان ناقل اللغة فاسقًا لم يُقبل نقله . وعلى الرغم من تشدُّد ابن فارس وابن الأنبارى فى قبول رواية اللغة فإن السيوطى ساق أمثلة من اللغة رُويت عن الصبيان ، والمجانين ، وأهل الأهواء ، والمجهولين، ومن أجابوا بالفعل لا بالقول[1] .

٢ - معرفة طرق الأخذ والتحمل :

وضع المحدِّثون ثمانية طرق لأخذ الحديث الشريف وتحمُّله ؛ وهى :

أ - السماع من لفظ الشيخ ، وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث من غير إملاء ، وسواء كان من حفظه أو من كتابه .

ب - القراءة على الشيخ أو العرض ؛ أى يعرض القارئ على الشيخ ما يقرؤه ، سواء قرأ القارئ أو غيره وهو يسمع .

جـ - الإجازة ، وأعلاها أن يُجيز الشيخ لمعيَّن فى مُعيَّن .

د - المناولة ، وأعلاها المناولة المقرونة بالإجازة .

هـ - المكاتبة ؛ وهى أن يكتب الشيخ إلى الطالب وهو غائب شيئًا من حديثه بخطه ، أو يكتب له ذلك وهو حاضر .

و - إعلام الراوى للطالب بأن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه من فلان أو روايته .

ز - الوصية بالكتب ، وهى أن يوصى الراوى بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص .

---

(١) المزهر ١/١٣٧ - ١٤٤ : النوع السادس .

ح - الوِجادة ؛ وهى كل ما أُخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة[1] .

وقد نقلها السيوطى فى المزهر ، وعدَّها من طرق الأخذ والتحمُّل فى اللغة؛ ولكنه أهمل منها ثلاثة طرق عند المحدِّثين وهى : المناولة ، وإعلام الراوى ، والوصية بالكتب[2] .

٣ - معرفة آداب اللغوىّ:

وضع المحدِّثون عدداً من الآداب التى ينبغى أن يتحلَّى بها المحدِّث[3] ، وأهمها : الإخلاص وتصحيح النية ، والدأب وملازمة الشيخ ، والرحلة ، والتقييد ، والإملاء ، والإفتاء . وقد جمع السيوطى كلّ هذه الآداب التى وضعها المحدِّثون ، وأضاف إليها آداب الفقهاء ، وجعلها من سمات اللغوىّ التى يُعرف بها ، وعقد لها النوع الحادى والأربعين فى «المزهر» ، وهى :

أ - الإخلاص وتصحيح النية ، وهى أول ما يلزم اللغوىّ ؛ لقوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات» .

ب - التحرى فى الأخذ عن الثقات ، لقوله ﷺ : «إن العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم» ، ولا شك أن علم اللغة من الدِّين ؛ لأنه من فروض الكفايات ، وبه تُعرف معانى ألفاظ القرآن والسُّنَّة .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ٣١٢ - ٣٦١ : النوع الرابع والعشرون .

(٢) المزهر ١/ ١٤٤ - ١٧٠ : النوع السابع .

(٣) انظر : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) ، وجامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض (ت ٥٤٤ هـ) ، وتذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلِّم لابن جماعة الكنانى (ت ٧٥٣ هـ) .

جـ - الدؤوب والملازمة ؛ فبهما يدرك بغيته .

د - الكتابة والقيد ؛ فعليه أن يكتب كل ما يراه ويسمعه ، فذاك أضبط له ، ففي الحديث : «قيِّدوا العلم بالكتابة» .

هـ - الرِّحلة ؛ فعليه أن يرحل في طلب الفوائد والغرائب كما رحل الأئمة ، وفكرة الرحلة عند اللغويين تختلف في معناها عند المحدِّثين؛ فرحلة المحدِّثين كانت تعني قصد شيوخ الحديث في الأمصار الإسلامية ، أمَّا الرحلة عند اللغويين فكانت تعني في المقام الأول الرحلة إلى البادية لملاقاة الأعراب الذين لم يتسرَّب اللحن إلى ألسنتهم وجمع اللغة من أفواههم ؛ ثم توسَّع اللغويون في مفهوم الرحلة ، وصارت تعني أيضًا ملاقاة شيوخ اللغة في الحواضر والأمصار.

و - حفظ الشعر ؛ فإن فيه حكمًا ومواعظ وآدابًا ، وبه يستعان على تفسير القرآن والحديث .

ز - التثبت في الرواية ، ولا يقتصر على رواية الأشعار من غير تفهُّم ما فيها من المعاني واللطائف ، وإذا سمع من أحد شيئًا فلا بأس أن يتثبت فيه .

ح - الرفق بمن يأخذ عنهم ولا يكثر عليهم ولا يطول بحيث يضجرون .

ط - عزو العلم إلى قائله ؛ فمن بركة العلم وشكره عزوه إلى قائله .

ى - الرجوع إلى الصواب ، فإذا اتفق له أنه أخطأ في شيء ، ثم بان له الصواب فليرجع ، ولا يصرّ على غلطه .

ك - الردّ على العلماء إذا أخطأوا ، فإذا تبين له الخطأ في جواب غيره من العلماء فلا بأس بالرد عليه ومناظرته ليظهر الصواب .

ل - التثبت في تفسير غريب القرآن والحديث .

م - تنبيه الراوى على ما يخالفه ، فإذا كان له مخالف فلا بأس بالتنبيه على خلافه .

ن - التَّحرِّى فى الفتوى ، ويكون تحرِّيه فى الفتوى أبلغ مما يذكر فى المذاكرة .

س - الرواية والتعليم ، ومن آدابهما الإخلاص ، وأن يقصد بذلك نشر العلم وإحياءه ، والصدق فى الرواية ، والتحرى والنصح فى التعليم والاقتصار على القدر الذى تحمله طاقة المتعلم .

ع - الإمساك فى الرواية عند الطعن فى السنّ ؛ خوفًا من النسيان والتخليط .

ف - امتحان القادم ؛ ليُعرف محله فى العلم ويُنزل منزلته ؛ لا لقصد تعجيزه وتبكيته فإن ذلك حرام[1] .

٤ - معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء :

اهتمَّ المحدِّثون بمعرفة الرواة الثقات والرواة الضعفاء اهتمامًا بالغًا ، واعتبروها من أجلِّ أنواع علوم الحديث وأفخمه ؛ لأنها المرقاة إلى معرفة صحة الحديث وسقمه ، ولهم فى ذلك تصانيف كثيرة ؛ فمنهم من أفرد للضعفاء كتبًا ؛ ككتاب الضعفاء للبخارى ، والضعفاء للنسائى ، والضعفاء للعقيلى ، وغيرها ، ومنهم من أفرد للثقات كتبًا ؛ ككتاب الثقات لأبى حاتم بن حِبَّان ، ومنهم من جمع بين الضعفاء والثقات فى كتاب واحد ؛ كتاريخ البخارى ، وتاريخ ابن أبى خيثمة ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى[2] .

وقد اقتدى السيوطى ومن سبقه من اللغويين بالمحدِّثين فى الكشف عن

(١) المزهر ٢/٣٠٢ - ٣٤١ : النوع الحادى والأربعون .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ٦٥٤ : النوع الحادى والستون ، فتح المغيث ٣/٣١٥ - ٣٢٢ .

حقيقة رواة اللغة ؛ وبيان الثقة منهم وغير الثقة ، فممن بيَّن مراتب النحويين أبو الطيب اللغوى ، من منطلق أن من عَمِى عن معرفة قوم حرىّ أن يكون عن علومهم أعمى وأضلّ سبيلا . كما عقد ابن جنى بابًا فى الخصائص سمَّاه: «باب فى صدق النَّقَلة وثقة الرواة والحَمَلة» ، أثنى فيه على أبى عمرو بن العلاء ، الذى هو أبو العلماء وكهفهم ، ويد الرواة وسيفهم ، كما أثنى على الأصمعى صنَّاجة الرواة والنقلة ، وإليه محطّ الأعياء والثقلة . كما أثنى على الخليل بن أحمد ، والكسائى ، وأبى زيد الأنصارى ، وسيبويه . كما أثنى على أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب وتقدمه فى نفوس أصحاب الحديث ثقةً وأمانةً ، وعصمة وحصانةً ، وهم عيار هذا الشأن ، وأساس هذا البنيان(1) .

كما اهتم المحدِّثون بطبقات الرواة ، ولم يتحرجوا فى بيان مراتب الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ؛ وجعلوا كلّ جماعة اتفقت فى صفة واحدة طبقة واحدة ، وقد استلزم الأمر معرفة المواليد والوفيات للرواة ، ومن أخذوا عنه، ومن أخذ عنهم ، وتفاصيل حياتهم كاملة ؛ وقد صدقوا عندما سمّوا بعض كتبهم : «لسان الميزان» ، و «ميزان الاعتدال» ، وكأنهم وضعوا الرواة فى موازين يتضح من خلالها مكانتهم ومنزلتهم فى رواية الحديث النبوى ، وأشهر الكتب التى أُلّفت فى بيان طبقات الرواة كتاب الطبقات الكبير لابن سعد(2) .

وقد اقتدى اللغويون بالمحدِّثين فى بيان طبقات علماء اللغة والنحو ، ووضعوا فى ذلك مؤلفات كثيرة ؛ منها : طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزُّبيدى (٣٧٩ هـ) ، وطبقات النحاة البصريين لأبى سعيد السيرافى ؛ بل إن السيوطى (ت ٩١١ هـ) شارك بأكبر مؤلَّف فى طبقات اللغويين والنحويين ؛ وهو «بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة» .

---

(1) المزهر ٢/ ٣٩٥ - ٤١٧ : النوع الرابع والأربعون .

(2) مقدمة ابن الصلاح ٦٦٥ : النوع الثالث والستون .

الخاتمـة

نستطيع أن نُجمل نتائج هذا البحث فيما يلى :

١ - لما كان علم الحديث النبوى من أجلّ العلوم الإسلامية وأكملها بعد علوم القرآن الكريم ، ومنهجه من أدق مناهج العلوم قاطبة ، فإن علماء اللغة راموا تطبيق هذا المنهج على اللغة ، لضمان دقة اللغة وسلامتها ، وأول من لفت الأنظار إلى ذلك أبو البركات بن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) فى كتابه: «لمع الأدلة فى أصول النحو» ، ثم جاء السيوطى بعده فرام تطبيق منهج المحدِّثين على علوم اللغة ؛ من حيث الإسناد ، والمتن ، ورجال اللغة ورواتها ، وقد نجح السيوطى فى ذلك إلى حدٍّ كبير ، ولكن واقع جمع اللغة اختلف عن واقع جمع الحديث النبوى؛ فإن الحديث النبوى صادر عن نبىٍّ معصوم ، يرويه عدل ضابط ، يتخذه الفقهاء مصدراً ثانيًا من مصادر التشريع الإسلامى ، أمَّا اللغة فهى كلام الأعراب الذى اعتادوا عليه ، وقاموسهم المتداول بينهم ؛ اتخذها اللغويون وسيلة أولى لتفسير القرآن والسنة وإقامة الألسنة على الجادَّة ، والبون شاسع بين مهمة التشريع ومهمة التفسير ، ولذا قبلوا اللغة من الصبيان، والمجانين، فلم يتحقق لهم - فى كل الأحوال - ما تحقق للمحدِّثين، وعلى كلٍّ فإن المنهج الصارم الذى طبقه المحدِّثون لم يسلم أيضًا من تسرُّب بعض الأحاديث الضعيفة فى كتب الحديث الصحيحة ، فما بالنا باللغويين !

٢ - إن محاولة السيوطى تطبيق منهج المحدِّثين على اللغة يؤكد لدينا أن العلوم الإسلامية كتاب واحد آخذ بعضها برقاب بعض ، الأمر الذى يجعلنا الآن نحاول تقريب مناهج العلوم الإسلامية ليستفيد بعضها من بعض ، ويكمل بعضها بعضًا.

٣ - هناك مصطلحات استعملها المحدِّثون ووردت عند السيوطى فى «المزهر» تحمل المدلول نفسه الذى ورد عند المحدِّثين ؛ مثل : السند ، المتن ، الصحيح ، المتواتر ، الآحاد ، المرسل ، المفرد ، الشاذ ، الضعيف ، المنكر ، المتروك ، الغريب . وهناك مصطلح واحد ورد عند المحدِّثين اختلف مدلوله عند السيوطى ؛ وهو مصطلح : الوضْع .

٤ - هناك مصطلحات عند المحدِّثين لم يستعملها السيوطى بذاتها ، وإنما استعمل مصطلحات مرادفة لها ؛ فمصطلح «الصحيح» استعمل بدلاً منه «الفصيح» ، ومصطلح «الموضوع» استعمل بدلاً منه «المصنوع» . وهناك مصطلح واحد لم يرد عند المحدِّثين وورد فقط عند السيوطى ؛ وهو مصطلح يتصل بالإسناد وهو : «الإسناد المقيس» .

٥ - وضع المحدِّثون شروطًا لمن تُقبل روايته ومن تُردّ ؛ وقد نقلها السيوطى فى «المزهر» ، وذكر خلاف اللغويين حول هذه الشروط ، بين متشدِّد فى تطبيقها من اللغويين كابن فارس وأبى البركات بن الأنبارى، وبين متساهل؛ كمن روى عن الصبيان والمجانين وأهل الأهواء والمجهولين .

٦ - وضع علماء الحديث ثمانية شروط لمعرفة طرق الأخذ والتحمل ، وقد نقلها السيوطى فى «المزهر» ، وعدَّها من شروط معرفة طرق الأخذ والتحمل اللغوىّ ، لكنه أهمل ثلاثة منها ؛ وهى : المناولة ، وإعلام الراوى ، والوصية بالكتب .

٧ - نقل السيوطى عددًا من الآداب التى ينبغى أن يتحلَّى بها اللغوى مما قرره المحدِّثون ، وأضاف إليها آدابًا أخرى وضعها الفقهاء .

أهم المصادر والمراجع

- ابن الأنبارى : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ)

١ - لمع الأدلة فى أصول النحو ، ومعه : الإغراب فى جدل الإعراب ، نشره سعيد الأفغانى ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، ١٩٥٧ م .

- البغدادى : الخطيب أحمد بن على (ت ٤٦٣ هـ)

٢ - كتاب الكفاية فى علم الرواية ، تقديم محمد الحافظ التيجانى ومراجعة عبد الحليم محمد وعبد الرحمن حسن ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ط الثانية ، ١٩٧٢ م .

٣ - الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨٣ م .

- ابن جنى : أبو الفتح عثمان

٤ - الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

- ابن حجر : العسقلانى

٥ - نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر ، تحقيق د. نور الدين عتر ، دار الخير ، دمشق ، ط الثانية ، ١٩٩٣ م .

٦ - لسان الميزان ، مطبعة حيدر آباد ، الهند ، ١٣٣١ هـ .

- ابن دريد : محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ)

٧ - جمهرة اللغة ، تحقيق سالم كرنكو ومحمد نجيب السورتى ، مطبعة حيدر آباد ، الهند ، ١٣٤٤ هـ .

● الراجحى : شرف الدين

٨ - مصطلح الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت .

● السيوطى : جلال الدين (ت ٩١١ هـ)

٩ - الاقتراح فى أصول النحو ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣١٠ هـ .

١٠ - المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، بتحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار التراث ، القاهرة ، ط الثالثة ، د. ت .

١١ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د. ت .

١٢ - تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

● الشلقانى : د. عبد الحميد

١٣ - رواية اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١٤ - الأعراب الرواة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، ليبيا ، ط الثانية ، ١٩٨٢ م .

١٥ - مصادر اللغة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، ليبيا ، ط الثانية ، ١٩٨٢ م .

● ابن الصلاح : تقى الدين أبو عمرو الشهرزورى (ت ٦٤٣ هـ)

١٦ - مقدمة ابن الصلاح ومعها محاسن الاصطلاح للبلقينى ، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، ١٩٩٠ م .

- الطحَّان : د. محمود

١٧ - تيسير مصطلح الحديث ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨٧ م .

- أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد (ت ٣٥١ هـ)

١٨ - مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الفجالة ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الرحمن (ت ٤٦٣ هـ)

١٩ - جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق أبو الأشبال الزهيرى ، دار ابن الجوزى ، الرياض ، ١٩٩٤ م .

- عتر : د. نور الدين

٢٠ - معجم المصطلحات الحديثية ، مجلة اللسان العربى ، المجلد الرابع عشر ، الجزء الأول ، ١٩٧٦ م .

- العراقى : زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ)

٢١ - فتح المغيث بشرح الفية الحديث ، تحقيق وتعليق محمود ربيع ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

- الفاسى : أبو عبد الله محمد بن الطيب (ت ١١٧٠ هـ)

٢٢ - فيض نشر الانشراح من روض طى الاقتراح ، وفى أعلاه الاقتراح فى أصول النحو وجدله ، تحقيق وشرح د. محمود يوسف فجَّال ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، دبى ، ط الأولى ، ٢٠٠٠ م.

- القاسمى : محمد جمال الدين

٢٣ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تحقيق وتعليق د.

محمد بهجة البيطار ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ م .

● ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر

٢٤ - المنار ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، د. ت .

● ابن كثير :

٢٥ - اختصار علوم الحديث ، شرحه الشيخ أحمد شاكر وسمّاه : الباعث الحثيث ، مطبعة محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

● الكرملى : الأب أنستاس مارى

٢٦ - نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، د. ت .

● النيسابورى : الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)

٢٧ - معرفة علوم الحديث ، اعتنى بنشره وتصحيحه السيد معظم حسين، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

● يوهان فك

٢٨ - العربية ، دراسة فى اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٥١ م ، وهناك ترجمة أخرى لـ د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

الإضافات التفسيرية فى كتاب الأغانى للأصفهانى

« دراسة دلالية »

د. فاطمة على إبراهيم الصعيدى
كلية الآداب - جامعة حلوان

مقدمة :

مجال هذا البحث هو دراسة الإضافات التفسيرية فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى دراسة دلالية . وترجع أهمية الدراسة أنها توضح أهمية الوظيفة التفسيرية للغة ، ودورها المهم فى مثلث الاتصال الذى يربط بين المبدع والمتلقى عن طريق الرسالة اللغوية الواضحة المفسرة . وبيان أن تفسير النصوص الأدبية وإزالة إبهام المفردات الغامضة الواردة فى هذه النصوص أمر مهم جداً ؛ لكى تصل الرسالة اللغوية إلى المتلقى . وتهدف هذه الدراسة إلى :

١- بيان اعتناء المؤلف التراثى بقيمة تفسير النصوص التى ترد فى الكتب الموسوعية وكذلك إزالة إبهام الكلمات الغامضة .

٢- إن هذه الدراسة تقتصر على تفسير المفردات ، لما لتفسيرها من إضافة إلى النصوص وأيضا توضح نسبة النصوص لأصحابها .

مادة هذا البحث تعتمد اعتماداً كلياً على كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى

(ت ٣٥٦ هـ) لكونه موسوعة جامعة لكل فنون الآداب العربية من التراجم والأخبار والأشعار . ولقد اعتمدت على طبعة الكتاب التى قام بتحقيقها الأستاذ / عبد الكريم إبراهيم الغرباوى وإشراف الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ، صدر عن الهيئة العامة للكتاب ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .

ويهدف هذا البحث إلى ما يأتى :

١- بيان أهمية الوظيفة التفسيرية للغة فى ضوء مخطط رومان ياكبسون .

٢- دراسة التفسير بين اللغة والإصطلاح .

٣- حصر المصادر اللغوية التى اعتمد عليها أبى الفرج الأصفهانى فى تأليفه للأغانى .

٤- دراسة أنماط الإضافات التفسيرية الموجودة فى كتاب الأغانى، وتتمثل فى :

أ - تفسير المفردات .

ب- تفسير أسماء الشعراء وألقابهم .

جـ- نسبة الشعر لصاحبه ، والغناء لمؤديه .

تقوم الدراسة على المنهج الوصفى التحليلى ، إذ تقوم بوصف المادة التى ورد فيها تفسير للمفردات ، ثم تحليل منهج أبى الفرج فى إضافاته التفسيرية . وكذا إظهار القيمة الدلالية لهذه الإضافات ودورها فى إتمام مثلث الاتصال الذى يربط بين المرسل والمتلقى من خلال الرسالة . وكذلك تحليل لسلسلة السند من اللغويين وما لذلك من أهمية فى إضافات لغوية مفيدة .

مدخل :

لا يستطيع أحد أن ينكر أن اللغة هى قناة الإتصال الأولى بين البشر فهى التى تقوم بالدور الحيوى فى إتمام معظم عمليات التواصل البشرى بدءاً من المعاملات اليومية البسيطة إلى أعقد عمليات التواصل من خلال النصوص المكتوبة ، فهى الشفرة التى يفك رموزها كل من المرسل والمرسل إليه . وهذه الشفرة هى الرسالة التى تجمع كلا الطرفين . فلا يستطيع أن يعيش أحد فى هذه الدنيا دون كلام . فاللغة هى إحدى سبل بقاء الإنسان ووجوده الحيوى .

حينما نمارس اللغة لابد أن تكون هذه الممارسة إيجابية وفعالة ، وإلا أصبحت عملية لا طائل من ورائها سوى صف أصوات وكلمات وجمل لا تؤدى دوراً ولا تقيم معنى . ومن هنا جاءت خطاطة رومان ياكبسون معبرة عن وظائف اللغة وعن كيفية أداء اللغة بطريقة فاعلة .

فلقد قسم وظائف اللغة إلى ست وظائف .. واحدة تخص المرسل وأخرى تخص المرسل إليه وأربع وظائف تخص الرسالة التى يدور فى فلكها الإنسان (المتكلم - المتلقى) .

وظائف اللغة تبعاً لمخطط رومان ياكبسون[1]

المرسل
الوظيفة الانفعالية

الرسالة
الوظيفة المرجعية
الوظيفة التفسيرية (الميتالسانية)
الوظيفة الشعرية

المرسل إليه
الوظيفة الإتصالية

---

(١) رومان ياكبسون : قضايا الشعرية : ص ٣٣ .

ويتضح من التقسيم السابق ما للرسالة (اللغة) من أهمية كبيرة فى عملية التواصل الإنسانى عامة وعملية التواصل عبر النصوص الإبداعية خاصة . لما تحمله النصوص من علامات لسانية دالة تحتاج إلى تأويل وتفسير وتوضيح وتأكيد . . . ولابد أن تأتى كل هذه العمليات الصعبة السابقة فى قالب لغوى شعرى جمالى ، وبهذا يكون الخطاب إبداعياً مؤثراً فى المتلقى فى أى زمان ومكان، لأن النصوص الإبداعية لغة عالمية يتقبلها المتلقى بشكل إنسانى بعيد عن الجنس واللون والدين . . فهى إذن تحتاج إلى ممارسة خاصة فى الأداء وفى التلقى .

وحينما مارس أبو الفرج الأصفهانى الكتابة فى موسوعته الجامعة الواعية كتاب «الأغانى» تناول اللغة بشكل إيجابى فعال، لقد أبدع أبو الفرج فى كتابه، فهو لم يكتف بأن يجمع للمتلقى الأشعار ، وأن يعرض التراجم لأعلام الشعراء ، وأن يذكر الأخبار والحكايات ، لكنه عرض هذه المواد السابقة فى عرض قصص شائق مثير يستطيع المتلقى من خلاله أن يرسم صورة للمجتمع العربى القديم سواء أكان هذا فى الحضر أم فى البادية .

يحرص أبو الفرج على التواصل مع المتلقى ليس من خلال تقديم وجبة متكاملة من المعارف المختلفة فى التراجم والأنساب وذكر أيام العرب والتعريف بالأغانى والمغنين والمغنيات والألحان فقط ولكنه يضيف إلى كل ما سبق الإضافات التفسيرية والمقصود بها أنه يفسر ألقاب الشعراء ، ويذكر المقصود ببعض التسميات الخاصة بالقبائل . وكذلك ينسب الشعر لقائله والغناء لمن يؤديه . وهو حينما يهتم بذلك ، إنما يهتم بمطلب إنسانى .

«إن قيمة التفسير بوجه عام هى قضية الاهتمام بمطالب إنسانية من هذا الوجه أو ذلك»[1] .

---

(١) د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل ، ص ١٢٦ .

إن اللغـة هى الطريق الـذى من خلاله يستـطيع المبدع أن يـقرر وجوده ، الحيوى المتفرد ، ولكن :

«مهما قيل عن كون الخطاب الأدبى تـعبيراً عن وعى فردى بالواقع ، وعن قدرته على تكيـيف الأداه اللغوية والتجادل معها .... فإنه لـن يحقق وظائفه إذا أهمل وظيفته الاتصالية بالمتلقى»(١) .

إن هذا الـبحث يـقوم علـى كشف دور - أبـو الفرج الأصـفهانـى - فى الاهتمام بالمرسـل إليه وتيسير سبل التـلقى من خلال الإضافات التفسـيرية التى سيعرض هذا البحث أنماطا لها .

التفسير بين اللغة والاصطلاح :

اولا : التفسير فى اللغة :

فسـر : الفَسْرُ : البـيانُ . فَسَرَ الشَّىْءَ يَفْسِرُه بالـكسر ، ويَفْسُرُه بـالضَّمِّ ، فَسْراً ، وفَسَّرَه : أبَانَه ، والتَّفْسيرُ مثْلُه .

ابن الأعـرابى : التَّفسِـيرُ : التَّأويل والمـعنى واحـد . وقوله عـز وجل : ﴿وأَحْسَنَ تَفْسيراً﴾ .

الْفَسْرُ : كَشْفُ الْمُغَطى ، والـتَّفْسِـيرُ كَشْفُ المراد عـن الـلَّفْظِ الْمُشْكِلِ ، والتأويلُ ، ردُّ أَحَدِ الْمُحْتملين إلى ما يُطـابق الظاهر واسْتَفْسَرْتُه كذا ، أى سألته أن يُفَسِّرَه لى .

وكل شىء يُعْرَف به تفسير الشىء ومعناه ، فهو تَفْسِرَتُه(٢) .

---

(١) د. محمد العبد : الإشارة والعبارة ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب مادة (فسر) .

تعليق على مادة «فسر»

١- معنى «فسر» أبان وأوضح ، أى أبان ما استعجم من الكلمات فى الرسالة الموجهة إلى المتلقى ، ووضح المقصود من بعض الكلمات الغامضة . ويلجأ المرسل إلى عطف مفردة وراءها ليزيل إبهام الأولى . وربما لا تكون الكلمة الثانية مساوية للكلمة الأولى فى المعنى ؛ لأن لكل كلمة خصوصيتها المغلقة عليها فتأتى الكلمة الثانية لتقرب المعنى لا لتساويه تماماً : «أقصى ما يطمع فيه اللغوى هو أن يجعل الدلالة المركزية واضحة فى أذهان الناس ، ولذا يعمد إلى ذلك القدر المشترك فيحدد ويشرحه[١] .

٢- ساوى ابن الأعرابى بن لفظتى التفسير والتأويل وأشار أن المعنى واحد لأن التأويل غرضه الكشف عن المعنى . وهو بذلك يقترب من التفسير . وفى اللسان يذكر ابن منظور «سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد» [٢] .

٣- يقوم التفسير بعملية كشف الغموض عن اللفظ المشكل ، فتكون الوظيفة التفسيرية هى الوظيفة الفاعلة فى إزاحة الغموض عن هذه المفردات . يأتى دور المفسير وهو يقوم بوظيفة حيوية ، ولا يستطيع أحد أن يقوم بهذا الدور وتلك الوظيفة إلا بعد أن يمتلك أدواته التى تساعده على عملية التفسير . فلابد أن يكون مالكا للغة عارفا بمكنوناتها العميقة ، مدركا لفروقها المتعددة ، وإذا كان الجاحظ يقول أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى والبدوى فإن المفسر هو الذى يستطيع أن يقتنص تلك الأفكار وهذه المعانى كى يوصلها إلى المتلقى الذى يسعى سعياً حثيثا وراء المبدع ؛ لأنه يعرف تماما من سيسأل ، لأن الإنسان عندما

---

(١) د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب مادة «أول» .

يستفسر عن شيء إنما يبحث عن الإجابة من أهل العلم وأهل الفكر ؛ لأن الشخصية التي تستطيع التفسير والتأويل هي الشخصية العالمة التي تستطيع أن تكشف اللثام عن كل ما استعجم على المتلقي .

٤ - الناتج من عملية التفسير هو في ذاته نص لأنه يضيف إلى النص المفسر إضافات جديدة تضفي على النص الأصلي نوعاً من الحيوية ، إن الكشف عن مكنونات اللفظ لا تزيل جلاله ولا تنقص من شأنه وإنما هي تفسرته . والإضافات التفسيرية تحتاجها النصوص لتقرب التواصل بين المبدع والمتلقي . ولاسيما إذا كان المبدع يقوم بها داخل نصه الذي يكتبه . لأنه أثناء عملية الإبداع لا يغفل دور المتلقي الذي سيقرأ النص ، وستكون قراءته هي تتمة مثلث الاتصال .

ثانياً: التفسير في الاصطلاح :

يعرف الجرجاني التفسير بقوله : «التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار وفي الشرع توضيح لمعنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل على دلالة ظاهرة»[(١)]

ويعرفه أبو البقاء الكفوي : «التفسير : الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل . وهو اصطلاحاً علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعاينها التركيبية . . . قال أهل البيان : التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره . . والتفسير بيان مراد المتكلم»[(٢)] .

ارتباط مصطلح التفسير بالحقل الديني ، إذ إنه العلم الذي يبحث في

(١) الجرجاني : التعريفات ص ٧٦ .

(٢) الكفوي : الكليات ص ٢٠٦ - ٢٦١ .

تفسير معانى الألفاظ القرآنية ، وتوضيح كل ما يحيط بآيات القرآن من حيث قصتها والسبب فى نزولها ، وكذلك كشف المراد عن المشكل من هذه الآيات . وارتبط مصطلح التفسير كذلك بكيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلاتها وأحكامها .

نستطيع أن نقول إن التفسير هو المفتاح الذى يمكن من خلاله الولوج داخل النصوص ، والإحاطة بكل ما فيها من أفكار ومعان ، التى لا تتضح إلا بممارسة الوظيفة التفسيرية للغة ، أو كما يقول عنها رومان ياكبسون الوظيفة «الميتالسانية» أى التى تبحث فيما وراء اللغة أى فيما وراء الوحدات اللغوية والمقصود بها المفردات . فالوظيفة التفسيرية هى (وظيفة شرح) .

كذلك ارتبط التفسير بالبلاغة والبيان ، يقول عبد القاهر الجرجانى : «ثم إن التوق أن تقر الأمور قرارها ، وتوضع الأشياء مواضعها ، والنزاع إلى بيان ما يشكل ، وحل ما ينعقد ، والكشف عما يخفى ، وتلخيص الصفة حى يزداد السامع ثقة بالحجة ، واستظهاراً على الشبهة ، واستبانة للدليل»[1] .

إن السعى الدءوب وراء بيان ما يشكل ، وحل ما ينعقد ، والكشف عما يخفى هو سعى وراء إجلاء الحقائق ، وإظهار المعانى حتى تفتح مغاليق الكلمات الغامضة ، ويزال ما بها من لبس وخفاء ، وهو سعى لا يقل أهمية عن النصوص ذاتها ؛ لأن الرسالة اللغوية لا تصل دون هذا السعى المشكور الذى يقوم به اللغويون من تفسير الغريب من الألفاظ وبيان معانيه :

«هذا القدر المشترك من الدلالة هو الذى يسجله اللغوى فى معجمه ويسميه بالدلالة المركزية»[2] .

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ، ص ٧٦ .

(٢) د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص ١٠٦ .

يعرف د. مصطفى ناصف (التفسير) فى كتابه اللغة والتفسير والتواصل بمجموعة من المعانى :

- التفسير ممارسة اجتماعية أكبر من الحرفة والثرثرة والكسل .
- التفسير عمل يعترف بإشكالية التعامل من نسق .
- التفسير يصحح بعض الميول أو يسعى إلى إيجاد توازن .
- التفسير يلطف الإحساس بصرامة النظام . ولكنه لا يتنكر بأية حال للمسئولية الاجتماعية بمعناها الواسع .
- التفسير وثيق الصلة بتقاليد إنسانية .
- التفسير أقرب إلى افتراض مبدأين واحد: أحدهما ارتباطى والثانى جوهرى[1] .

نستطيع أن نقول : إن التفسير ممارسة اجتماعية أى أننا عندما نمارس اللغة نمارس التفسير ، فالتفسير هو الوجه الآخر للغة ، فمثلا عندما نذهب إلى البائع لشراء أى سلعة ما ، فإذا أردت أن أشترى جبناً سوف يسألنى البائع عن نوع الجبن وسأخبره أنى أريد جبناً أبيض ، ثم يسألنى عن درجة ملوحة الجبن سأخبره أننى أعانى من الضغط وأريد جبناً قليل الملح ، ثم يقترح البائع نوعاً من الجبن يصنعه بنفسه عديم الملح فأختار منه أو أختار أى نوع . هذه المحادثة هى ممارسة اجتماعية اعتمدت على التفسير فالتفسير أكبر من والثرثرة والكسل ، فلقد خلق الله الإنسان ومن طبعه محبة الإخبار والاستخبار والتساؤل ، والمبدع الحق هو الذى يتمثل دور المتلقى ويجيب عن تساؤلاته المتعددة ، فالمبدع عندما يفسر فهو لا يمارس حرفة ولا يثرثر دور المتلقى ويجيب عن تساؤلاته المتعددة ، فالمبدع عندما يفسر فهو لا يمارس حرفة ولا يثرثر دون طائل ، ولا يساعد المتلقى على التواكل والكسل اعتماداً عليه بأنه يقوم بكل شىء ، إن التفسير يلطف من

(١) د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل ، ص ١٨٥ .

صرامة النظام اللغوى ويجعل المتلقى يستوعب الرسالة . إن المبدع الذى يقوم بمثل هذا العمل - التفسير - وإنما يسهم بمسولية اجتماعية تجاه المتلقى .

- ويشير د. محمد عنانى إلى التفسير فى الاصطلاح بأنه «الظاهر ، التفسير القريب»[1] .

- أما ميشيل فوكو فى كتابه «الكلمات والأشياء يذكر معنى التفسير :

«التفسير يعنى استنطاق الكلام للكشف عما يقال خلفه دونه ، والتفسير يعنى ظهور اللغة بفيض متعدد الأوجه»[2] .

يتفق المعنى الذى أشار إليه فوكو للتفسير مع المعنى اللغوى للتفسير ، لأن المفردة الواحدة لها نظائر كثيرة وهو المقصود بقوله . ظهور اللغة بفيض متعدد الأوجه . وأيضا معنى استنطاق الكلام للكشف عما يقال خلفه دونه هو معنى التفسير فى اللغة وهو كشف المغطى من المعانى .

إن الوظيفة التفسيرية هى الوظيفة الرابعة فى مخطط ياكبسون وهى تختص بالرسالة اللغوية ، التى لا تصل إلى المتلقى إلا إذا كانت واضحة مفسرة ، فالتفسير يفك طلاسم اللغة ويسهل عملية التواصل الإنسانى .

يقرر امبرتوإكو «أن التفسير يكون لا نهائياً : إن محاولة البحث عن معنى نهائى، ولا يمكن إحرازه ، تؤدى إلى قبول ركام أو انثيال لا ينتهى من المعانى»[3] .

إن التفسير يفتح المجال أمام المتلقى لتدفق المعانى الكافة لديه ، كما أنه يسهم فى بناء طبقات لا تنتهى من الألفاظ التى تثرى فكره ، وتكون رصيده المعرفى من المفردات التى تعد اللبنة الأساسية لبناء الفكر الإنسانى .

---

(١) محمد عنانى : المصطلحات الأدبية ، ص ١٥ .

(٢) ميشيل فوكو : الكلمات والأشياء ، ص ٢٤٩ .

(٣) امبرتو إكو : التأويل والتأويل المفرط ، ص ٥٥ .

مصادر أبى الفرج الأصفهانى[1] اللغوية

يقول عنه أبو القاسم التنوخى :

«من الرواة المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصفهانى . كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والأحاديث المسندة والنسب والآثار . ما لم أر قط أحفظ منه ، وكان يحفظ دون ذلك من الطب والنجوم واللغة والخرافات وآلة المنادمة ، مثل علم الخوارج والبيطرة والأشربة»[2] .

من النص السابق يتضح لنا تنوع ثقافة أبى الفرج ، فهى ثقافة موسوعية تشمل كل العلوم والآداب المعاصرة له . وهو لم يكتف بتحصيلها ، وإنما حفظها ووعى كل ما فيها ونرى ذلك فى قول التنوخى «ما لم أر قط أحفظ منه» .

لقد تمثل أبو الفرج كل هذه المعارف واستعرضها فى إطار علمى دقيقى ، أرخ بكل هذه المعارف للحضارة العربية ، فكتاب الأغانى يعتبر سجلا خالداً مصوراً حياً للحضارة العربية ، فلقد كتب أبو الفرج تاريخ العرب وحضارتهم من خلال أشعارهم وأغانيهم وشعرائهم وجواريهم ومناظراتهم ، وهو بلا شك تاريخ نابض بالحيوية . مفعم بالأحاديث والأخبار والتراجم والأشعار والأغانى .

نستطيع إذن أن نحصر مصادر أبى الفرج اللغوية التى اعتمد عليها ، واستعان بها فى الأغانى ، وهى عبارة عن الرسائل والكتب السابقة عليه والمعاصرة له وهى :

---

(١) هو على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى . ولد سنة أربع وثمانين ومائتين ، وتوفى فى ست وخمسين وثلثمائة ، كل عمره نحو اثنتين وسبعين سنة .

(٢) روى هذه العبارة ابن خلكان . (انظر ترجمة أبى الفرج عند ابن خلكان) ابن خلكان : وفيات الأعيان تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت. المجلد ٣ ، من ٣٠٧ : ٣٠٩ .

١ - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥هـ) .

٢ - الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ) .

٣ - رسالة لحن العامة للكسائى (ت ١٨٩هـ) .

٤ - كتاب الحروف للشيبانى (ت ٢٠٦هـ) .

٥ - الحدود للفراء (ت ٢٠٧هـ) .

٦ - كتاب المذكر والمؤنث للفراء .

٧ - مجاز القرآن لأبى عبيده معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) .

٨ - رسائل أبو زيد الأنصارى فى النبات واللبن والمطر (ت ٢١٥هـ) .

٩ - كتاب النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى .

١٠- رسائل الأصمعى فى خلق الإنسان والإبل والخيل (ت ٢١٦هـ) .

١١- الغريب المصنف لأبى القاسم بن سلام (ت ٢٤٤هـ) .

١٢- الألفاظ لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) .

١٣- اصلاح المنطق لابن السكيت .

١٤- التصريف للمازنى (ت ٢٤٨هـ) .

١٥- أدب الكاتب لابن قتيبه (ت ٢٧٦هـ) .

١٦- تفسير غريب القرآن لابن قتيبه .

١٧- المذكر والمؤنث للمبرد (ت ٢٨٥هـ) .

١٨- كتاب الفصيح لثعلب (ت ٢٩١هـ) .

١٩- كتاب مجالس ثعلب .

٢٠ - فعلت وأفعلت للزجاج (ت ٣١٠هـ) .

٢١ - سر النحو للزجاج .

٢٢ - أصول النحو لابن السراج (ت ٣١٦هـ) .

٢٣ - جمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ) .

٢٤ - الأضداد لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) .

٢٥ - الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمذانى (ت ٣٢٧هـ) .

٢٦ - الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى (ت ٣٣٧هـ) .

٢٧ - الجمل للزجاجى .

٢٨ - جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) .

٢٩ - ديوان الأدب للفارابى (ت ٣٥٠هـ) .

٣٠ - الابدال لأبى الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) .

٣١ - البارع لأبى على القالى (ت ٣٥٦هـ) .

يذكر أبو الفرج بعض أسماء الأعلام من اللغويين والنحاة فى مواطن متعددة فى كتابه فنجده يذكر عتبة النحوى ويعرفه قائلا : (أنه من أصحاب سيبويه) إن الإضافة التفسيرية لها أثر كبير فى أنه يحمل علم سيبويه ويحيط به . ونجده كذلك يذكر يونس بن حبيب النحوى ، وعلى بن سليمان الأخفش . وأبا عمرو الشيبانى وسوف نعرض بعضا من الأخبار التى كان سندها من اللغويين والنحويين ومنها :

فى أخبار جبهاء يروى على بن سليمان الأخفش عن أبى عمرو الشيبانى قال :

«قدم جبيهاء الأشجعى البصرة بجلوبه له يريد بيعها ، فلقيه الفرزدق بالمربد ، فقال له ممن الرجل ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعراً منكم يقال جبهاء أو جبيهاء ؟ قال : نعم أفتروى قوله :

أمِنَ الجَمِيع بذى البقاع رُبُوعُ ... هَاجَت فؤادَك والرُّبوعُ تَروعُ

قال : نعم ، قال : فانشدنيها ، فأنشده قوله منها :

من بعد ما نكرت وغيَّر آيهَا	قَطرٌ ومُسبِلَةُ الدّموع خَريعُ
يَا صاحِبَىَّ ألا ارفَعا لى آيَةً	تَشفى الصُّداع فيُذهَل المرفوعُ
ألواح نَاجِيَة كأنَّ تَلِيلَها	جِذعٌ تُطِبُف به الرُّقَاةُ مَنِيعُ

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدق : فأقسم بالله إنك لجبهاء ، أو إنك لشيطانة .

قال الأخفش فى خبره عن أصحابه : الخريع : الذاهبة العقل ، شبه السحابة بها لأنها لا تتمالك من المطر»[1] .

وكذلك يتردد اسم الخليل بن أحمد الذى جاء فى أخبار ابن مناذر[1] وينقل أبو الفرج الكلام الذى دار بين الخليل اللغوى وابن مناذر الشاعر ، وكيف أن الشاعر لا يستطيع أن يستغنى عن اللغوى صاحب علم العروض .

وكذا نجد علماً آخر من أعلام النحو وهو «محمد بن جعفر النحوى» ويذكر أبو الفرج أن محمداً كان صهر المبرد[1] . وكأنه يريد القول أن محمد بن جعفر النحوى يحفظ عن المبرد . طالما أنه ذكر علاقة النسب تلك ، إن هذه الإضافة التفسيرية (كان صهر المبرد) لها معناها الذى يسهم فى إلقاء الضوء على رصيد محمد بن جعفر النحوى . وكذلك صفة (النحوى) الذى يفرق بها بين محمد بن جعفر وغيره ممن يحملون هذا الاسم .

وكذا نجده يذكر «الكسائى» فى جملة سند أحد الأخبار فى أخبار مزاحم ونسبه يقول :

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ج ١٨ / ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) السابق : ج١٨ / ١٨٤ .

(٣) السابق : ج ١٨/ ٢٢٠ .

«أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو سعيد السكرى قال : أخبرنا محمد بن حبيب عن ابن أبى الدنيا العقيلى - قال ابن حبيب : وهو صاحب الكسائى وأصحابنا»[1] فالكسائى بالنسبة لأبى الفرج علم متفرد يسند إليه ، وهو مطمئن إلى علمه وأخباره فكأنه يؤكد كلام ابن حبيب ويؤيده بقوله هو صاحب الكسائى . فكأنما يوثق جملة السند بهذه الاضافات التفسيرية (إنه من أصحاب سيبويه - كان صهر المبرد وهو صاحب الكسائى) بهذه الإضافات يكتسب الخبر توثيقا وتأكيدا، وتزيد مصداقيته بسبب سلسلة السند المؤكدة بهؤلاء الأعلام .

وفى أخبار ابن مناذر ونسبه يذكر أبو الفرج خبراً عن عتبة النحوى : يقول :

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل ، عن ابن عائشة ، قال :

«كان عتبة النحوى من أصحاب سيبويه ، وكان صاحب نحو فهما بما يشرحه ويفسره على مذاهب أصحابه ، وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ، ويجلس إليه قوم يأخذونه عنه ، فجلس عتبة قريباً من حلقته فتقوض الناس إليه وتركوا ابن مناذر»[2] .

أخبرنى أبو الحسن الأسدى ، عن العباس بن ميمون بن طائع ، قال : حدثنا أبو عثمان المازنى عن الأصمعى ، عن عنبسة النحوى ، قال :

«قلت لذى الرمة وسمعته ينشد ويقول :

وعَيْنَان قال الله كُونَا فكانَتَا ... فَعُولَيْنِ بالألبَابِ ما تَفعَل الخَمْرُ

---

(١) السابق : ج ١٩/٩٩ .

(٢) السابق : ج ١٨/ ١٨٢ .

قال : فقلت له : فهلا قلت : فَعُولان ؟ فقال : لو قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، كان خيراً لك ؛ أى أنك أردت القدر ، وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب ، وأراد عنبسة : وعينان فعولان»[1] .

«أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنى أبو حاتم ، قال : سمعت محمد بن مناذر يقول : العذراء : البَتولُ ، والبَتُور والبَتِيل واحد وهى المنقطعة إلى ربها»[2] .

وفى إطار الأخبار التى يوردها أبو الفرج عن اللغويين :

«قال محمد بن خلف : أخبرنى محمد بن عبد الرحمن الأسدى ، عن محمد بن رزين ، قال الأخفش :

كان ربيعة بن مفرغ شعاباً بالمدينة وكان ينسب إلى حمير ، وإنما سمى مفرغاً لتفريغه العسى وكان شاعراً غزلا محسناً والسيد من ولد[3] .

«أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى ، عن عمه ، أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً ، والعباس بن الأحنف بن يديه ، فقال العباس للفضل : دعنى أعابث الأصمعى ، قال : لا تفعل ، فليس المزاج من شأنه ، قال : إن رأى الأمير أن يفعل ، قال : ذاك إليك»[4] .

«أخبرنا بذلك على بن سليمان عن المبرد ، حكاية عن أصحابه ، عن الأصمعى :

---

(١) السابق : ج ١٨/ ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) السابق : ج ١٨/ ٢٠٥ .
(٣) السابق : ج ١٨/ ٢٥٤ .
(٤) السابق : ج ١٧ / ٦٨ .

كلتاهُمـا حَلَبُ العصير فَعَاطنى ... بزُجَاجَـــةٍ أرْخَاهُمـا للـمِفصَلِ

بِزُجَاجَةٍ رقـصَتْ بما فـى قَعْرِهـا ... رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجلِ

غناه إبراهيم الموصـلى ، ويرى : «كلتاهما حلب العصيـر» ، بجعل الفعل العصير ، ويروى للمفصل ، بكسر الميم وفتح الصاد ، والمفصل ، بفتح الميم وكسر الصاد . وهو اللسان»[1] .

لقد قـمت بحصـر رجال السند مـن اللغويين فـى الأجزاء - السابـع عشر والثامن عشر والتـاسع عشر ، فوجدت أن كثيراً منهم ممن ذكرت لـهم كتباً تعد من أهم الكـتب اللغوية التى ألفت حتى عام (٣٥٦هـ) العام الذى توفى فيه أبو الفرج ، كمـا أن هناك أعلاماً مثـل أبو عمرو بن العـلاء الذى اعتمد علـيه أبو الفرج فى سند بعض أخباره ، والذى يصفه د. إبراهيم أنيس بقوله :

«شهد النصف الأول من القرن الثانى الـهجرى أستاذ الأساتذة أبا عمرو بن العلاء ، يعلـم الناس طرفاً من كل شىء ، فـلا يكاد يتوفر على أمـر معين فهو أحد القـراء السبعة ، وإمـام القراءة فى البصـرة ، وهو أحد المؤسسـين لمذهب البـصريين فـى النحـو ، وهو فوق هـذا لغوى ضـليع يـروى من آداب اللـغة وألفاظها الشىء الكثير»[2] .

نستطيـع أن نقول أن كل هؤلاء اللغويين قـد اعتمد عليهم الأصـفهانى فى تصنيف كتابه ، وبهم استطاع أن يضفى على كتابه كثيراً من الفوائد اللغوية التى تفيد المتلقى ، وتفتح له الطريـق إلى النصوص فهذه الإضافات لا تقل أبداً عن النصوص نفسها ، بل تتمم وظيفتها ، وتسهم فى إيصالها للمتلقى .

وبعد، فإن البحث يعتنى بالإضافات التفسيرية التى تنتظم فى الأقسام التالية :

(١) السابق : ج ١٧/ ١٧٤ .

(٢) د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص ٢٢٥ .

أولاً : تفسير المفردات اللغوية :

وفى أخبار بن مناذر يذكر أبو الفرج خبراً تتضح فيه أهمية الإضافات التفسيرية تخص تفسير المفردات ؛ لأن بدونها لا يفهم الخبر :

«أخبرنا عمى، قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد، قال : حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزارى ، قال : حدثنا سفيان قال :

سمعت أعرابية تقول : يشترى منى الحزاة ؟ فقلت لها : وما الحزاة ؟ قالت : تشتريها النساء للطشة والخافية والأقلات ، قال عبد الله بن مروان : فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك ، فقال : الطشة : وجع يصيب الصبيان فى رءوسهم كالزكام . والخافية : ما خفى من العلل المنسوبة إلى أذى الجن . والإقلات : قلة الولد . وأنشدنى ابن مناذر بعقب ذلك :

أى قليلة الفراخ(١) .

يعطى أبو الفرج الأصفهانى اهتماماً كبيراً لتفسير المفردات التى تأتى فى الأشعار التى يضمنها كتابه الأغانى . وهذا الاهتمام يبدأ بتفسير المفردات :

١- يذكر فى أخبار أبى قطيفة هذا البيت من شعره :

«إِلَى البَلاطِ فَمَا جَازَت قَرَائِنه ... دُورٌ نَزَحْن عن الفحشاءِ والهونِ

ويقول أبو الفرج والقرائن المذكورة فى شعر أبى قطيفة حيث يقول :

«إلى البلاط فما حازت قرائنه»

هى دور كانت لبنى سعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها»(٢) .

---

(١) الأصفهانى : الأغانى : ج ٢٠٥/١٨ .

(٢) السابق : ج ١١/١ .

يحرص أبو الفرج أن يذكر المراد من كلمة (قرائن) حتى يخلصها من أى معنى يرد إلى ذهن المتلقى إذ إن كلمة قرائن تعنى فى المعجم :

«القرائن : جبال معروفة مقترنة .

ودور قرائن إذا كانت تستقبل بعضها بعضا»[1] .

إن إضافة أبى الفرج أتت فى تعريف الدور القرائن بذكره لاسم صاحبها هو سعيد بن العاص ، وكذلك سبب تسميتها بهذا الاسم ونجد ذلك فى قوله «سميت بذلك لاقترانها» .

إن هذه الإضافة قد وفرت جهداً على متلقى الكتاب فى الذهاب إلى المعجم لمعرفة المقصود بكلمة (القرائن) :

٢- يورد أبو الفرج مقطوعات من شعر عنترة ويعقب عليها بشرح ما استعجم من كلماتها . ونجد ذلك حين ذكر عنترة ونسبه وشىء من أخباره :

يقول عنترة :

أَمِن سمية دَمْعُ العينِ مَذْروفُ ... لو أن ذا مِنْك قبل اليومِ مَعْروفُ

كأنها يومَ صَدّت ما تكلمنى ... ظبى بعسفان سَاجِى العين مَطْرُوفُ

تَجَلّلتنى إذْ أهوى العصا قبلى ... كأنها ضم يعتاد مَعْكُوفُ

العبدُ عبدكُم والمالُ مالكمَ ... فهل عَذابُك عنى اليومَ مَصْروفُ

تَنْسى بَلائِى إذا ما غارة لَحِقَت ... تخرجُ فيها الطوالات السَّرَاعِيفُ

---

(١) ابن منظور : لسان العرب مادة (قرن) .

يَخْرجـن مِنهـا وقـد بلَّت رَحَائِلـهَا   بـالمـاءِ تَرْكُضَهـا الـشُمُ الـغَطَارِيـفُ
قَدْ أطعن الطَّعْنَة النحلاءَ عن عرضٍ   تَصّفـر كـفُ أَخِيــهـا وهـو مَنْزُوفُ

يورد أبو الفرج تفسيراً لمعانى المفردات بشكل موسع فنجده يقول :

وقوله : «مذروف» من ذرفت عينه يـقال : ذرفت تذرف ذريفا وذرفاً وهو قطر يكـاد يتصل . وقوله «لو أن ذا مـنك قبل اليوم معـروف» رأى قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك ، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم ينكره .

«ساجى العين» ساكنها . والساجى : الساكن من كل شىء .

«مطروف» أصابت عينه طرفه وإذا كان كذلك فهو سكن لعينه .

«تجللتنى » ألفت نفسها علىّ .

«أهوى» اعتمد .

«ضم يعتاد» أى يؤتى مرة بعد مرة .

«معكوف» يعكف عليه .

«السراعيف» : السراع واحدتها سرعوفة .

«الطوالات» الخيل .

و«الرحائل» السروج والشمم : ارتفاع فى الأنف .

و«الغطاريف» الكرام والسادة أيضا .

و«الغطرفة» ضرب من السير والمشى يختال فيه .

و«النجلاء» الواسعة .

يقال : سنان منجل واسع الطعنة»[1] .

عن عرض : أى عن شق وحرف وقال غيره اعترضه اعتراضا حين قتله .

نموذج آخر يورده أبو الفرج من شعر عنترة معقباً عليه بشرح المفردات :

«بكرت تخوفنى الحتوفُ كأننى ... أصبحت عن عرضِ الحتوفِ
فأجبتُها أن المنيةَ منهَل ... لابد أن أُسقى بكأس المنهلِ
فاقنى حياءَك لا أبالك واعْلمى ... أنى امرؤٌ سأموتُ إن لم أمتلِ
إن المنيةَ لو تمثل مثلت ... مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل
إنى امرؤٌ من خيرِ عبس منصبًا ... شطرى واحمى سائر بالمنصلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت ... ألفيت خيراً من معم مُحول
والخيلُ تعلم والفوارس أننى ... فرقتُ جمعَهم بضربةِ فيصلِ
إذا لا أبادرُ فى المضيقِ فوارس ... أو لا أوكل بالرعيلِ الأول
إنْ يلحقوا أكرر وإن يستلحموا ... أشدد أن يلفوا بضنك أنزلِ
حين النزول يكونُ غايةَ مثلنا ... ويفرُّ كلُ مُضللّ مستوهل
والخيلُ ساهمةُ الوجوه كأنما ... تسقى فوارسَها نقيعَ الحنظلِ
ولقدْ أبيتُ على الطوى وأظله ... حتى أنالَ به كريمِ المأكلِ

«الحتوف» : ما عرض للإنسان من المكاره المتالف .

«عن عرض» : أى ما يعرض فيها .

---

(1) الأصفهانى : الأغانى : ج ٨/ ٢٣٧ - ٢٣٨ .

«بمعزل» : أى من ناحية معتزلة عن ذلك .

«منهل» : مورد .

«فاقنى حياءك» : أى احفظيه ولا تضيعيه .

«الضنك» : الضيق .

يقول إن المنية لو خلقت مثالا لكانت فى مثل صورتى . و«المنصب» الأصل و«المنصل» : السيف ، ويقال منصل أى بفتح الصاد .

«أحجمت» : كفت .

و«الكتيبة» : الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر .

و«تلاحظت» : نظرت من يقدم على العدو .

وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بضع بمؤخر العين .

«الفيصل» : الذى يفصل بين الناس .

وقوله : لا أبارد فى المضيق فوارس أى لا أكون أول منهزم ولكنى أكون حاميهم .

«الرعيل» : القطعة من كل شىء .

«يستلحموا» يدركوا .

«المستلحم» المدرك .

«ساهمة» ضامرة متغيرة وقد كلح فوارسها لشدة الحرب وهولها .

«لقد أبيت على الطوى وأظله» قال الأصمعى أبيت بالليل على الطوى وأظل بالنهار كذلك حتى أنا به كريم المأكل أى مالا عيب فيه على .

إنه ليأتى على اليومان لا أذوقهما طعاماً ولا شراباً أى لا أذوق فيهما .

و«الطوى» : خمص البطن ، يقال : رجلا طيان وطاوى البطن[1] .

٣- ومثال ثالث لتفسير المفردات في كتاب الأغاني :

يقول الأحوص :

«يَا للـرجالِ لـو جدكَ المتجـدد ... ولما تـؤمل مـن عقيـلـة فى غـد
ترجـو مواعـد بعـث آدم دونهـا ... كانـت خبـالا للـفؤاد المقصـد
هل تـذكريـن عقيـل أو أنسـاكه ... بعدى تـقلب ذا الزمان المـفسد
يومى ويومك بالعقيق إذ الهوى ... منـا جمـيع الـشمـل لم يـتبـدد
لـى ليـلـتان فـلـيـلة مـعـسولـة ... ألقى الحبيب بهـا ينجم الأسعد
مـريـحـة هـى عـلـى كـأنـنـى ... حتـى الصـباح معـلق بـالفـرقد

وفى الحديث أن عمر رضي الله عنه صاح لما طعن : ياالله للمسلـمين . وقوله «فى غد» يريد فيما بعد وفى باقى الدهر .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ .

والخبل والخبال : النقصان من الشىء .

«والمخبل ، أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل .

والمعسولة : الجلوة المشتهاة[2] .

(١) السابق : ج ٨/ ٢٤١ : ٢٤٢ .

(٢) السابق : ج ٤/ ٢٥٩ : ٢٦٠ .

٤- وفى اخبار العرجى يقول ابو الفرج :

«ثم يصبح يا غرير ، أجياد .

ويعنى بقوله . . يا غرير «الحصين بن غرير المجلود معه» .

وبقوله : «أجياد» بنى مخزوم لأن أجياد مسكنهم ، يعيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح» .

٥- وفي اخبار ذى الإصبح العدوانى :

«يقول ذو الإصبع» :

ومنهم حكم يقضى   ولا ينقض ما يقضى

والحكم الذى عناه أبو الإصبع فى شعره هو عغامر بين الظرب العدوانى ، وكان حكما للعرب تحتكم إليه»[1] .

٦- وفي أخبار أبى العتاهية :

ما الناس إلا الكثير المالل أو   لمسلط ما زال فى سلطانه

فإذا الزمان رماهما بملمة   كان الثقات هناك من أعوانه

يعنى : من أعوان الزمان ، وإنما تمثل الفضل بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته فى دار المأمون . وكان المأمون أمر بذلك لتحبيذه العدواة له مع أخيه محمد الأمين»[2] .

٧- وفى اخبار محجن نموذج للإضافات التفسيرية :

ألا يالقومى لا أرى النجم طالعاً   ولا الشمس إلا حاجبى بيمينى

---

(١) السابق : ج ٣/ ٨٦ .

(٢) السابق : ج ٤/ ٦٣ .

معـزيتى خـلف القفـا بعمـودها　　فجـل نكـيرى أن أقـول ذرينـى
أمين عـلى أسرارهـن وقد أرى　　أكون عـلى الأسـرار غيـر أمين
فللـموت خير من حـداج موطأ　　مع الظـعن لا يأتى المحـل لحين

عروضه مـن الطويل ، والمعـزية : امرأة تكون مـع الشيخ الخرف تـكلؤه وقوله : أمين على أسرارهن. أى أن النساء صرن يتحدثن بين يدى بأسرارهن، ويفعلن ماكـن قبل ذلك يرهبننى فيـه ؛ لأنى لا أضرهن . والحداج والحدج : مركب من مراكب النساء .

الشعر لزهـير بن حناب الكلبـى ، والغناء لأهل مكة ، ولحنـه من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامى وحبش، فيه لحنين ثانى ثقيل بالوسطى[1] .

٨- فى ذكر ذى الرمة وخبره : يذكر الأصفهانى نموذجا آخر :

«فلا يضغمن الليـث عكلا بفرة　　وعكل يـشمون الفـريس المنيـبا

الفريس : ها هنا ابن لجأ ، وكذلك يفعل السبع إذ اضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته ، أقـبلت الغنم تشم موضع الـضغم فيفترسها السـبع ، وهى تشم ، ولذلك قال جرير لبنى عدى :

وقُلْتُ نـصـاحـةٌ لـبَنى عَدِىٍّ　　ثـيـابـكـمُ ونَضْحَ دَمِ الـقَتِيـلِ

يحذر عدياً ما لقى ابن لجأ .

هى قصيدة الفرزدق التى فيها :

وكُنّا إذا الـقَيْسُ نَبّ عَتُـــوده　　ضرَبْنَاه فوْقَ الأُنثيين على الكَرْدِ

الانثيان : الأذنان . والكرد : العنق»[2] .

---

(١) السابق : ج ١٩/١٤ .

(٢) السابق : ج ١٨/١٦ .

٩- وفى اخبار ذى الرمة ايضا :

وقَفتُ علـى ربْعٍ لِميَّةَ ناقتـى		فمـازِلتُ أبْكِى عـنـده أُخَاطِبُه

«فقال الفرزدق : ألهـاك البكاء فى الديار ، والعبد يرتجـز بك فى المقابر ، يعنى هشامًا .

«وكان ذو الرمة مستعليًا هشامًا حتى لقى جرير هشامًا، فقال: العبد، يعنى ذا الرمة، قـال: فما أصنع يا أبـا حزرة، وأنا راجـز وهو يقصد، والرجز لايقوم للقصيد فى الهجاء؟ ولو رفدتنى، فقال - لتهمته ذا الرمة بالميل إلى الفرزدق»[١] .

١٠ - وفى اخبار ذى الرمة ايضا :

«نسخت من كتـاب محمد بن داود بين الجراح : حدثنى هـارون بن محمد الزيات قال : حدثنى حماد بن اسحاق بن عمارة بن عقيل قال : قيل لبلال بن جريرة أى شعر ذى الرمة أجود ؟

فقال :

هل حبـل خَرْقاء بَعْدَ اليَوْمِ مرْمُوم		أم هل لـها آخر الأيـام تكليم»[٢]

إنها مدينة الشعر .

١١ - وفى اخبار والبة بن الحباب :

«جـعـلـتُ الحجَّ فـى غُمَّى وبنَّا		وفـى قُطر بُلٍ أبـدًا ربـاطـى

فـقـل لـلـخَمْسِ آخرُ مُلـتَقـانَا		إذا مـا كـان ذاك عـلـى الصِّراطِ

يعنى الصلوات»[٣] .

(١) السابق : ج ١٨/١٨ .		(٢) السابق : ج ١٨/ ٣٣ .		(٣) السابق : ج ١٨/ ١٠٦ .

١٢ - «من أخبار الأضبط ونسبه :

فما عرفا منه ألا بيتا وعجز بيت ، فالبيت الذى عرفاه :

فأقبل من الدّهر ما أتاك به . . . .

والعجز : يا قوم مَنْ عاذِرى من الخُدَعَهْ .

والخدعة : قوم من بنى سعد بن زيد مناة بن تمتم»[١] .

١٣ - من أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

يقول عمرو معتذرًا إلى عمه :

صَبَرتُ علـى وَطْءِ المَوالى وخَطْبهـم   إذا ضَنَّ ذُو القُرْبى عليهـم وأخْمَدا

يعنى أخمد نارة بخلا وروى : أجمدا . المجمد : البخيل .

ويقول عمرو بن قميئة كذلك :

ولـم يَحْمِ فَرْجَ الحَىّ إلا مُحافظٌ   كـريم المُحيّا مَاجِدٌ غَيـرُ أجْرَدَا

الأجرد : الجعد اليد البخيل»[٢] .

١٤ - فى أخبار عروة بن الزبير يأتى التفسير الخامس عشر :

«يا بنـى الصَّيْداءِ رُدُّوا فَرَسى   إنما يُفْعَلُ هـذا بـالـذَّليـلْ

عَوِّدوا مُهْرِى الـذى عـوَّدْتُه   دَلَجَ الليـلِ وإيطـاءَ القتيـلْ

واستِباء الـزِّقِّ مـن حـانَاتِه   شائلَ الرِّجلين معصوبًا يَميلْ

عروضه من ثانى الرمل

بنو الصيداء : بطن من بنى أسد . والدلج : السير فى آخر الليل ، يقال دلج يدلج - مخففة - إذا سار من آخر الليل ، وادلج يدلج ، إذا سار الليل

---

(١) السابق : ج ١٨/ ١٣٠ .

(٢) السابق : ج ١٤١/١٨ - ١٤٢ .

كلـه . واستبـاء الزق ، أراد استبـاء الخمر مـنه ، أى ابتـاعها مـن حاناتـها . والحانات : جمع حانة ، وهى الموضع الذى تباع فيه الخمر . شائل الرجلين : رافعهما»[١] .

١٥ - فى خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين :

«يقول : الحارث بن خالد المخزومى :

لبشْرَةَ أسْرى الطَّيْفُ والخَبْتُ دونَها ... ومـا بَيْنَنا مـن حَزْنِ أَرْضٍ وبيدهـا
وقـرَّت بهـا عَيْنى وقـد كـنتُ قَبْلَهـا ... كـثيـرا بُكَائـى مُشْفِقًا مـن صُدُودهَا
وبِشْرَةُ خَوْدٌ مِثْلُ تمـثـالِ بـيعَةٍ ... تـظلُّ الـنصـارى حَوْلَهـا يوم عِيدهَا

وبشرة هذه - التى ذكرها الحارث بن خالد - أمة كانت لعائشة بنت طلحة، وكان الحارث يكـنى عن ذكر عائشة بـها ، وله فيها أشعـار كثيرة منها مما يغنى فيه»[٢] .

١٦ - تابع أخبار بن سريح مع سكينة :

«يَا رَبع بِشْرَةَ إن أضـربك الـبلـى ... فـلـقـد عـهـدتُك آهلاً مَعْمُوراً
عقَب الـرّذاذُ خـلافَه فـكـأنمَا ... بَسَط الـشّواطِبُ بيـنـهنّ حَصِيـراً

وقوله : «عـقب الرذاذ خلافـه يقول : جاء الـرذاذ بعده ، ومنـه يقال : عقب لفلان غنى بعد فقر . وعقب الرجل أباه ، إذا قام بعده مقامه . وعواقب الأمور مأخوذة منه ، واحدتها عاقبة ، والرذاذ : صغار المطر . وقوله خلافه : أى بعده .

---

(١) السابق : ج ١٧/٢٤٤ .
(٢) السابق : ج ١٧/٤٩ .

قال متمم بن نويرة :

وَفَقْدِي بَنِي أُمٍّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ خِلَافَهُمُ أَنْ أَسْتَكِينَ وَأَضْرَعَا

أي بعدهم . والشواطب : النساء اللواتي يشطبن لحاء السعف يعملن منه الحصر ، ومنه السيف المشطب . والشطيبة من الشيء ، ويقال : بعثنا إلى فلان شطيبة من خيلنا ، أي قطعة»[1] .

١٧ - وفي اخبار ابن سريج مع سكينة بنت الحسين ايضا :

«أعرفت أطلالَ الرُّسومِ تنكَّرَتْ بَعْدِي وغُيِّرَ آيُهُنَّ دُثُورا

وتبدَّلَتْ بَعْدَ الأنيس بأهلها عُفْرَ البَوَاقِرِ يَرْتَعِينَ وُعُوراَ

مِنْ كل مُصْبِيَةٍ تَرَى لها كَفَلاً كرابيةِ الكثيبِ وَثِيرا

الأطلال : ما شخص من آثار الديار .

الرسوم : البقايا من الديار ، وهي دون الأطلال وأخفى منها . وتنكرت : تغيرت . والداثر : الدارس . والعفر : الظباء ، واحدها أعفر . والوعور : المواضع التي لا أنيس فيها . والرابية : الأرض المشرفة وهي دون الجبل . والكثيب : القطعة العالية المرتفعة من الرمل ، جمعها كثب . والوثير : التام المرتفع ، يقال : فراش وثير ، إذا كان مرتفعًا عن الأرض»[1] .

١٨ - ونموذج آخر في (اخبار بن سريج) :

«يا دارُ حَسَّرَها البِلَى تَحْسِيراً وسَفَتْ عليها الريحُ بعدك مُوراَ

دَقَّ الترابُ بِخَيْلِها فمخيَّمٌ بعراصِها ومُسَيَّرٌ تَسْيِيرا

(١) السابق : ج ١٧/ ٥٠ .

(٢) السابق : ج ١٧/ ٥١ .

حسرها : أذهب معالمها ، ومنه حسر الرجل عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفهما . وحسر الصلع شعر الرأس ، إذا خصه . والمور : التراب ، والمخيم : المقيم»[1] .

«دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظعائنًا ... قَرَّيـن أجمالاً لَهُنَّ قُحُورا ؟!
قَرَّيْنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُحتمِّلٍ ... بُزْلا تشبِّه هَامَهُنَّ قبورا

القحور : واحدها قحر ، وهو المسن . والمخيس : المحبوس للرحله . والمحتمل : معتاد الحمل»[2] .

١٩ - وفى أخبار ابن سريج أيضا :

أَخْشَى على أربدَ الحتُوفَ ولا ... أرهبُ نَوْءَ السِّماك والأسَد
فجعَّلنى الرَّعْدُ والصَّواعقُ بالـ ... فارسِ يَوْمَ الكريهةَ النَّجد
يا عَيْنُ هلاَّ بكَيْت أرْبَدَ إذْ ... قُمنا وقام الخصُومُ فى كَبَدَ
إن يَشْغبُوا لا يُبال شَغْبَهُمُ ... أو يَقْصِدُوا فى الخِصام يَقْتَصِد

النجد : البطل ذو النجدة . وقال الأصمعى فى النجد مثل ذلك . وقال : النجد - بكسر الجيم - الذى قد عرق جدًا والكبد : الثبات والقيام»[3] .

٢٠ - وفى أخبار كعب بن زهير :

قال زهير :

تَحِنُّ إلى مِثْل الحَبابيرِ جُثَّمٍ ... لدَى منتجٍ مِنْ قَيْضِها المُتفَلِّقِ

(١) السابق : ج ٥٢/١٧ .
(٢) السابق : ج ٥٣/١٧ .
(٣) السابق : ج ٥٥/١٧ .

الحبابير : جمع حبارى ، وتجمع أيضًا حباريات .

فقال كعب :

تحطَّمَ عنهَا قَيْضُهـا عن خَراطِم وعَنْ حَدَقٍ كالـنَّبْخِ لـم يَتفـتَّقِ

الخراطم هـا هنا : المناقير ، والنبخ : الحدرى ، شبه أعين ولد النعامة به»[1] .

٢١ - وفي أخبار ذى الرمة :

«أخبرنى على بن سليمان الأخفش على بن سعيد السكرى ، عن يعقوب بن السكيت ، عن محمد بن سلام ، عن أبى الغراف ، قال :

قال ذو الرمة لرؤبة : ما عنى الراعى بقوله :

أَنَا خَابِأ سَوْاَ الظَّنِ ثـمّتَ عـرَّسَا قَلِيلاً وقـد أبقـى سُهَيْلٌ فَعَرَّدا

فجعل رؤبة : هى كذا هى كذا ، لأشياء لا يقبل ذو الرمة ، فقال رؤبة : فمه ؟ ويحك ! قال : هى الأرض بين المكلئة وبين المجدبة»[1] .

٢٢ - «وفى أخبار حاتم ونسبه :

ألاَ إنـنى قَدْ هَاجَنِى الـليلةَ الـذِّكَرْ وما ذَاكَ من حبّ النساء ولاَ الأَشَرْ

ولـكنـه مما أصاب عَشيـرتـى وقـومـى بِأقْرَانِ حَوَالَيْهِـم الـصِّيَرْ

الأقران : الخيال . والصير : الحظائر ، واحدها صيرة»[1] .

---

(١) السابق : ج ١٧/٥٨ .

(٢) السابق : ج ١٧ ص ٢٥ .

(٣) السابق : ج ١٧/٣٧٦ .

٢٣ - «وفى نسب الربيع زياد:

إنَّ الجيادَ يبِتْن حوْلَ خِبائنا ... منْ آلِ أعوجَ أو لذِى العُقَّالِ

وأعوج : فرس لبنى هلال»[1] .

٢٤ - وفى أخبار بن مفرغ ونسبه:

«إلى الكوْثَجِ الأعلى إلى رامَهُرْمُزِ ... إلى قَريات الشَّيخِ من فوق سَفْسَقَا»

رامهرمز : بلد من أعمال الأهواز معروف»[2] .

٢٥ - ومن أخبار حاتم نورد الاستشهاد الأخير فى تفسير المفردات:

«وهاجرة منْ دُونَ ميَّةَ لم تَقلْ ... قَلُوصى بها والجُندبُ الجَوْنُ يرْمَحُ
بِتَيْهاء مِقْفَارٍ يَكَادُ ارْتكاضُهَا ... بآل الضُّحَى والهَجْرُ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ

يمصح : يذهب بالطرف .

كأنَّ الفرنْدَ المَحْضَ معصوبةٌ به ... ذُرَا قُورها يَنْقَدُّ عنها ويُنْصَحُ
إذا ارفضَّ أطرافُ السِّيَاط وهَلَّلتْ ... جُرمُ المَهَارِى عُدَّ مِنهنَّ صَيِّحَ

عروضه من الطويل .

الهاجرة : يكون وقت الزوال . والجندب : الجرادة . والجون : الأسود . والجون : الأبيض أيضًا : وهو من الأضداد . وقوله يرمح أى ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض . والتيهاء من الأرض : التاى يتاه فيها .

(١) السابق : ج ١٧/ ١٨٨ .
(٢) السابق : ج ١٨/ ٢٩٠ .

والمقفار : التى لا أحد منها ولا ساكن بها . ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعى. وارتكاضها ؛ يعنى ارتكاض هذه التيهاء ، وهو نزولها بالآل ، والآل السراب والهجر والهاجرة واحد . وقوله : الهجر بالطرف يمصح ، رفع الهجر بفعله كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، وهو والهجر . يمصح : يذهب بالطرف .

والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض ، وقد عصبت به ذى قورها ، وهى الجبال الصغار والواحد : قارة ، فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف ، فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها ، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها ، أى يخاط . ويقال نصحت الثوب إذا خطته والناصح : الخياط ، والنصاح : الخيط . وقوله : ارفض أطراف السياط ، يعنى أنها انفتحت أطرافها من طول السفر ، وأصل الارفضاض التفرق . والجروم : الأبدان ، واحدها : جرم بالكسر. وقوله : هللت جروم المطايا ، يعنى أنها صارت كالأهلة فى الدقة . وصيح : اسم ناقته .

الشعر لذى الرمة ، والغناء لإبراهيم الموصلى ماخورى بالوسطى»[1] .

ثانيا : تفسير الألقاب الخاصة بالأعلام :

١ - يورد أبو الفرج فى كتابه الأغانى تفسير لبعض الألقاب المبهمة الغريبة:

منها فى أخبار أبى العتاهية : «يقول أبو الفرج على لسان أبى العتاهية :

«حضرت أبا نواس فى مجلس وأنشد شعراً : فقال له من حضر المجلس

(١) السابق : ج ١٧/٣٩٨ ، ٣٩٩ .

أنت أشعر الناس ، قال : أما والشيخ حى فلا : يعنى أبا العتاهية»[1] .

٢ - وأيضاً فى أخبار طويس يذكر أبو الفرج السبب فى تسمية بالذائب :

«وقيل : أول غناء غناه :

كَيْفَ يأتِى مــن بَعــيــد ... وهــو يــخفيه القــريــبُ
نَازِحٌ بــالــشــام عنّا ... وهــو مكْسَالٌ هــيــوبُ
قَدْ برَانِى الحــبَ حــتى ... كَدْتُ مــن وَجْدِى أَذُوبُ

فسمى «الذائب» لذلك »[2] .

٣ - والنموذج الثالث نجده فى أخبار العباس بن الأحنف :

«أخبرنى محمد بن يحيى قال حدثنا يموت بن المزرع قال : سمعت خالى (يعنى الجاحظ) يقول : أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأوسعهم كلامًا وخاطرًا ما قدر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه . لأنه لا يهجو ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرًا لزم فنا واحدًا لزومه فأحسن فيه وأكثر»[3] .

٤ - والنموذج الرابع نجده فى أخبار الغريض :

«وإنما لقب الغريض لأنه كان طرى الوجه غض الشباب حسن المنظر والغريض: الطرى من كل شيء ، قيل سمى بالإغريض ، وهو الجمار ، وثقل

---

(١) الأصفهانى : الأغانى : ج ٤/ ١٥ .
(٢) السابق : ج ٣/ ٢٥ .
(٣) السابق : ج ٨/ ٣٥٤ .

ذلك على الألسنه فحذفت الألف منه ، وقيل : الغريض»[1] .

٥ - *والنموذج الخامس* : جاء فى أخبار الأخطل :

«قال يعقوب وقال عيره : إن كعب بن جعيل كان شاعراً ، وكان لا يأتى منهم قومًا إلا أكرموه وضربوه له قبة حتى إنه كان تمد له حبال بين وتدين فتملأ له غنمًا ، فأتى فى مالك بن جشم فـفعلوا ذلك به ، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها ، فسبه عتبة وورد الـغنم إلى مواضعها ، فـعاد وأخرجها وكعب يـنظر إليه ، فـقال : إن غلامكم هذا الأخطل - والأخطل السفيه - فغلب عليه»[1] .

٦ - *والنموذج السادس* نجده فى أخبار الأخطل أيضا :

«قال هارون بـن الزيات حدثنى ابـن النطاح عن أبـى عمرو الشيبـانى عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه :

أن عمر بن الـوليد عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الـناس . قال الذى كان إذا مدح رفع وإذا هـجا وضع . قال من هو : قال الأعشى قال ثم من ؟ قال : ابن العشرين (يعنى طرفه)[1] .

**٧ - *والنموذج السابع* نجده فى أخبار حسان بن ثابت وهو *العنقاء* . وإنما سمى *العنقاء* كطول عنقه»[1] .

---

(١) السابق : ج ٢/ ٣٥٩ .

(٢) السابق : ج ٨/ ٢٨١ .

(٣) السابق : ج ٨/ ٢٩٣ .

(٤) السابق : ج ٨/ ١٣٤ .

٨ - والنموذج الثامن نجده فى اخبار ابى قطيفة . يقول ابو الفرج :

«كان لأمية بن عبد شمس أحد عشر ولداً وهم العاص ، وأبو العاص والعيص ، وأبو العيص ، والعويص - ويقال لهؤلاء الأعياص .

وحرب أبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمر ويقال لهم العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أميه بعكاظ وعقلهم أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشبهوا بالأسد والأسد يقال لها : العنابس ، واحدها عنبسة»[١] .

٩ - والنموذج التاسع نجده فى اخبار ابى قطيفة ايضا : يقول ابو الفرج :

«كان عبد الله بن الزبير يكنى أبا خبيب ، وأبا بكر ، وأبو بكر هو المعروف ولم يكن يكنيه أبا خبيب إلا من أراد ذمه فيجعله كاللقب له»[٢] .

١٠ - والنموذج العاشر نجده فى اخبار ابن مفرغ نسبه :

يقول أبو الفرج .. «هو يزيد بن ربيعة بن مفزع ، ولقب جده مفرغًا ، لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه حتى فرغه فلقب مفرغًا ، ويكنى أبا عثمان ، وهو من حمير»[٣] .

١١ - والنموذج الحادى عشر نجده فى اخبار عروة بن اذنية :

«هو عروة بن أذنية ، وأذنية لقبه ، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر ، وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر

---

(١) السابق : ج ١/ ١٤ .

(٢) السابق : ج ١/ ١٦ .

(٣) السابق : ج ١٨/ ٢٥٤ .

بن نزار . وسمى يعمر بالشداخ ؛ لأنه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة، وقال : قد شدخت هذه الدماء تحت قدمى ، فسمى الشداخ قال ابن الكلبى : الشداخ ، يضم الشين»[1] .

١٢ - والنموذج الثانى عشر نجده فى أخبار المقنع الكندى وأخباره :

«المقنع لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجهًا وكان إذا أسفر اللثام عين وجهه أصابته العين . «واسمه محمد بن ظفر بن عمر بن أبى شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة - سمى بذلك لكثرة ولده»[2] .

١٣ - والنموذج الثالث عشر نجده فى أخبار (عزة الميلاء) :

«كانت عزة مولاة للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهى أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جميلة ، وكانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسمًا ، وسميت الميلاء ؛ لتمايلها فى مشيها ، وقيل بل كانت تلبس الميلاء ، وتشبه بالرجال ، فسميت بذلك وقيل : بل كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خذ ملئًا واردد فارغًا .

والصحيح أنها سميت الميلاء لميلها فى مشيتها»[3] .

١٤ - والنموذج الرابع عشر نجده فى أخبار زيد الخيل ونسبه :

«هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا - ورضا : صنم كان لطيئ بن مجلس بن ثور بن عدى بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان ، وهو

---

(١) السابق : ج ٨/ ٣٢٢ .

(٢) السابق : ج ١٧/ ١٠٨ .

(٣) السابق : ج ١٧/ ١٦٢ .

أسود بن عمرو بن الغوث بن جلهمة - وهو طيىء ، سمى بذلك لأنه كان يطوى المناهل فى غزواته»[1] .

١٥ - وفى اخبار حاتم ونسبه :

«ذكر ابن الأعرابى عن المفضل ، الأثر وعن أبى عمرو الشيبانى ، وابن الطلبى ، عن أبيه والسكرى ، عن يعقوب بن السكيت :

إنه حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى بن أخزم بن أبى أخزم ، واسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ .

وقال يعقوب بن السكيت : إنما سمى هزومة ؛ لأنه شج أو شج ، وإنما سمى طيئًا - واسمه جلهمه ، لأنه أول من طوى المناهل»[2] .

١٦ - وفى نسب مسلم بن الوليد واخباره :

«وهو مسلم بن الوليد ، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم أبى أمامة أسعد بن زراره الخزرجى . يلقب صريع الغوانى ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو - فيما زعموا - أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، هو لقب هذا الجنس البديع اللطيف»[3] .

١٧ - وفى اخبار سلم الخاسر ونسبه :

«سلم بن عمرو مولى بن تميم بن مرة ، ثم مولى أبى بكر الصديق ،

---

(١) السابق : ج ١٧/ ٢٤٥ .
(٢) السابق : ج ١٧/ ٣٦٣ .
(٣) السابق : ج ١٩/ ٣١ .

رضوان الله عليه . بصرى ، شاعر مطبوع متصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية . وهو رواية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر .

ولقب سليم بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفًا فباعه واشترى بثمنه طنبوراً . وقيل : بل خلف له أبوه مالا ، فأنفقه على الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصفقة ، فلقب بذلك»[1] .

١٨ - ومن أخبار المؤمل بن جميل :

«كان جميل يلقب قتيل الهوى ، ولقب بذلك لقوله :

قُلن : من ذا ؟ فَقُلتُ : هذا اليمانىّ … قَتيلُ الهوى أبو الخطابِ
قُلن : بالله أنت ذاك يَقِينًا … لا تَقُل قولَ مازحٍ لَعابِ
إن تكن أنتَ فأنت مُنانا … خالِيًا كنتَ أو مع الأصحابِ»[1]

ثالثًا : نسبة الشعر لقائله والغناء لمؤديه :

يوثق أبو الفرج فى كتابه الأغانى الأشعار ، فيذكر اسم مبدعها وكذلك من غناها :

١ - منها فى أخبار مقتل الزبير :

إنى تُذكّرنى الزُّبيرَ حمامةٌ … تدعُو بمجمعِ نخلتين هَديلا
أفَتَى النَّدى وفَتَى الطِّعان قتلتمُ … وفتَى الرِّياح إذا تَهُبّ بَليلا

---

(١) السابق : ج ١٩/٢٦١ .

(٢) السابق : ج ١٨/١٤٦ .

الشعر لجرير ، يهجو الفرزدق ويعبره بقتل عشيرته الزبير بن العوام يوم الجمل والغناء للغريض»[1] .

٢ - فى ذكر دنانير :

«يَا دَنَانِيرُ قَدْ تَنَكَّرَ عَقْلِى ... وتَحيَّرت بين وَعْد وَمَطْلِ
شَغَفِى شَافِعِى إِلَيْكِ وإلاَّ ... فَاقْتُلِينى إن كنتِ تَهْوَيْنَ قَتْلِى

الشعر والغناء لعقيد مولى صالح بن الرشيد ، وهذا الشعر يقوله فى دنانير مولاة البرامكة ، وكان خطبها فلم تحبه»[2] .

٣ - وفى أخبار جبهاء :

ألا لا أُبَالى بعد ريَّا أوافقتْ ... نَوَانا نَوَى الجِيران أم لم تُوافِقِ

الشعر لجبهاء الأشجعى ، والغناء لإسحاق»[3] .

٤ - ومنها فى ذكر سلامة القس وخبرها :

سمعت نائحة مدنية تنوح بهذا الشعر :

قَدْ لَعَمْرِى بِتُّ لَيْلِى ... كأخى الداء الوجيعِ
ونَجِىّ الهَمِّ مِنِّى ... بَات أَدْنَى مِن ضُلُوعِى
كلّمَا أَبْصَرْتُ رَبْعًا ... دراسًا فَاضَتْ دمُوعِى
مَقْفِرًا مِن سيّدكا ... ن لنَا غَيْرَ مُضِيعِ

(١) السابق : ج ١٨/ ٥٣ .
(٢) السابق : ج ١٨/ ٦٤ .
(٣) السابق : ج ١٨/ ٩٣ .

الشعر للأحوص والنوح لمعبد وكان صنعه لسلامة ، وناحت به سلامة على يزيد»[1] .

٥ - وفى ذكر خبر العباس وفوز يذكر الأصفهانى:

«فإن كان حَقّاً ما زعمت أتيته إليك فقامَ النائحاتُ على قَبْرِ
وإن كان ما بُلِّغْته كان باطلا فلامتِّ حتى تَسْهَرِى الليلَ مِنْ ذكرى

عروضه من الطويل . والشعر للعباس بن الأحنف يقوله فى فوز وخبرهما يأتى ها هنا ، والغناء لبذل ، خفيف رمل بالبنصر»[2] .

٦ - وفى ذكر نسب المقنع الكندى وأخباره:

وإنَّ الذى بَيْنِى وبَيْنَ بَنِى أبى وبَيْنَ بنى عَمِّى لَمُخْتَلِفٌ جِداّ
فما أحْمِلِ الحقد القديم عليهمُ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا إلى نَصْرِى سِراعًا وإنْ همُ دعَوْنِى إلى نَصْرٍ أتيتهمُ شَدَّا

عروضه من الطويل ، الشعر للمقنع الكندى ، والغناء لابن سريج ، رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه من روايته أيضًا لمالك خفيف رمل بالوسطى ، وأظنه من خفيف الثقيل»[3] .

٧ - وفى ذكر أبى عطاء السندى يذكر الأصفهانى:

«إذا المرء لم يطلب مَعَاشًا لنَفْسه شكى الفَقْرَ أو لاَمَ الصَّدِيقَ فأكثروا

---

(١) السابق : ج ٣٤٨/٨ .

(٢) السابق : ج ٦٦/١٧ .

(٣) السابق : ج ١٠٧/١٧ .

عروضه من الطويل ، الشعر لأبى عطاء السندى . والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى»[1] .

٨ - وفى اخبار الاعشى ونسبه :

«ومَا أنا فى أمْرِى ولا فى خصومتى — بِمُهْتَضَمٍ حَقِّى ولا قـارع سِنـى
ولا مُسلمٍ مولاى عند جنايةٍ — ولا خَائفٍ مولاى من شَرِّ ما أجْنِى

الشعر لأعشى بنى ربيعة ، والغناء لإبراهيم ثانى ثقيل بالوسطى ، عن عمرو»[2] .

٩ - وفى اخبار الزبير بن حمان :

«أَسْعدْ بدَمْعك يا أبا العَوَّامِ — صَبًّا صريعَ هَوًى ونضْوَ سَقَامِ
ذَكَر الأَحبَّة فاستُجِنّ وهاجه — للشوق نوحُ حَمامةٍ وحَمَامِ

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقة مع الرشيد يتشوق إلى العراق»[3] .

١٠ - وفى ذكر مخارق واخباره :

«إذا متّ فادفنِّى إلى جنب كَرْمَة — تُروِّى مُشاشى بعد موتى عُرُوقُها
ولا تَدْفِننِّى بالفلاة فإنّنى — أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذوقَها

(١) السابق : ج ١٧/ ٣٢٦ .
(٢) السابق : ج ١٨/ ١٣١ .
(٣) السابق : ج ١٨/ ٣٠٤ .

عروضه من الطويل ، ويروى :

إذا رحت مدفونًا فلستُ أذوقها

الشعر لأبى محجن الثقفى ، والغناء لإبراهيم الموصلى ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وفيه لحنين لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسه»[1] .

● تتناثر بعض الإشارات النحوية فى كتاب الأغانى ، ولكنها لا تمثل ظاهرة: مثلما يمثل الاعتناء بدلالة المفردات وتفسيرها . وسوف أذكر نماذج قليلة وردت فى كتاب الأغانى خاصة ببعض المسائل النحوية .

● ففى أخبار أبى قطيفة : يورد أبو الفرج فى ثنايا خبر عبد الله بن فضالة قوله «إن وراكبها» .

ولفظة «إن» ها هنا بمعنى «نعم»[2] .

● وفى أخبار حاتم ونسبه :

«إِذَا مـا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بـينـنـا ... بِمَوْتٍ فـكُنْ يـا وَهْمُ ذو يـتـأَخَّرُ

«ذو» فى لغة طيئ : الذى[3] .

● «ومن أخبار حاتم ونسبه أيضًا :

«وهـاجـرةٍ مِنْ دُونَ مَيَّةَ لـم تَقِلْ ... قَلُوصى بـهـا والجُنْـدبُ الجَوْنُ يَرْمَحُ

بِتَيْهَاء مِقْفَارٍ يكـاد ارتـكـاضُهـا ... بآل الضُّحى والهَجْرُ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ»[4]

---

(١) السابق : ج ١٨/ ٣٧٤ .

(٢) السابق : ج ١/ ١٦ .

(٣) السابق : ج ١٧/ ٣١٢ .

(٤) السابق : ج ١٧/ ٣٩٨ .

الهجر ها هنا مرفوع بفعله ، كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، وهو الهجر .

إن هذه الإضافات التفسيرية الخاصة . ببعض البنى النحوية ما هى إلا توضيح لهذه البنى ؛ لأنها تأتى فى النصوص مغايرة لاستعمالاتها المعيارية ، ذكرها الأصفهانى لأمن اللبس . وكذلك عندما يكون هناك تقديم وتأخير فى الجملة فإنه يذكر ضبط بعض الكلمات أيضًا ، وكل هذا يسهم فى توصيل المعنى المراد إلى المتلقى .

لقد وعى أبو الفرج حينما صنف كتاب الأغانى أن العقل الجمعى فى حاجة ماسة إلى الإضافات التفسيرية التى عرضنا نماذج منها فى تفسير المفردات :

«المجتمع محتاج إلى نظامين اثنين من أنظمة اللغة : محتاج إلى لغة الإضافات كل عبارة تضيف شيئًا إلى ما سبقها»(١) .

إن هناك وظيفة ملحة يضعها المؤلف فى أولويات تفكيره ، وهى ضرورة الربط بينه وبين متقبل رسالته عن طريق تناسق ما يقول ووضوحه حتى تلتحم الرسالة بذهن المرسل إليه :

«إن الخطاب اللغوى لا يدرك غايته فى الإبلاغ وربط التواصل بين الباث والمتقبل إلا إذا ترتبت دلالته فى نفس السامع طبقًا لنفس ترتبها فى ذهن المتكلم قبل أن يبث خطابه»(٢) .

إن التفسير هو وظيفة شرح يقوم بها المرسل ليكون موضوعه واضحًا جليًا فى ذهن ممن يتلقون عنه ، فاللغة المفسرة تقوم بدورها إذ إنها ضرورة ليتأكد بها المرسل أنه يستخدم نفس الدلالات اللغوية التى يستعملها المرسل إليه .

---

(١) د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل ص ٤٥ .

(٢) د. عبد السلام المسدى : التفكير اللسانى فى الحضارة العربية ٢٩٣ .

إن المبدع الفطن والمنصف الواعى هو الذى يستطيع أن يجيب عن تساؤلات المتلقى قبل أن تصدر عنه ، إذ يقدم مادته كاملة غير منقوصة ، وهذا ما نراه عند أبى الفرج الأصفهانى فى النماذج السابقة التى عرضنا فيها بعض ما قام به من إضافات تسد الطريق أمام (ما ، من ، ولماذا) .

إن الأنماط التفسيرية السابقة التى قام بها الأصفهانى فى كتابه الأغانى ما هى إلا :

«محاولة لإدراك الشىء بتفكيك جزئياته والتعرف على مكوناته»[1]

ففى عرض الجزئيات تعرف على مكونات العمل ، فعندما يتعرف المتلقى على معانى المفردات ، إنما يتعرف على معطيات الرسالة اللغوية ، ولم يتزيد الأصفهانى فى تفسيراته ، فلم يأت فجاز ائداً ، لكنه قدم العمل بطريقة علمية مقننه ، لا تسمح بالتزيد والاستطراد الممل ، أو الإيجاز الناقص المخل ، وهنا يتوافق الأصفهانى مع المعنى الاصطلاحى للتفسير : «التفسير استعانة لإدراك الجديد»[1] .

إن الإنسان بحاجة دائمة لتفسير الأشياء والظواهر ، كى تصبح لديه من الخبرات ما يعينه على تكوين رؤية واضحة للعالم وقبلها رؤية واضحة للذوات المبدعة ، لأن فى التعرف على النصوص مجموعة من الحيوات التى تثرى الذات المستقبلة لهذه الأعمال الإبداعية ومن هنا فلابد من :

«نظام المعانى المتعددة - إذن - هو وسيلتنا إلى أن نرى بطريقة أكثر وضوحًا طبيعة جزء أساسى من عالمنا وعقولنا ، وطبيعة ما نؤديه لكى نعيش ، إن نشاط التفسير لا يمكن أن ينظر إليه باعتباره حرفة أو مهارة أو استعلاء . نشاط التفسير

(١) د. سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص ٦٢ .

(٢) السابق : ص ١٦٢ .

ذو طابع وظيفى . ونظام المعانى المتعددة وسيلة فهم أشياء يستحيل فهمها دون هذا السبيل . إننا ننظم حياتنا ورغباتنا أحيانًا من خلال تنظيم هذه المعانى»[1] .

تنوع أسلوب الأصفهانى فى معالجة المفردات الغامضة والألفاظ الغريبة فنجده يكتفى فى أحيان بتفسير مفردة واحدة فى النص الشعرى أو فى الخبر القصصى ، وتكون هذه المفردة هى السبيل لفهم النص كاملا . ونجد ذلك أيضًا فى التراجم ، عندما نجده يفسر أسماء الأعلام وألقابهم وفى مواطن غير قليلة يعطى أكثر من تفسير مثل تفسيره للقب عزة الميلاء . والغريض وابن مفرغ .

يلجأ الأصفهانى إلى شرح كل المفردات التى أتت خلال النصوص الشعرية، فنجده فى أخبار عنترة يشرح كل المفردات كلمة كلمة . وكذلك فى أخبار ابن سريج مع السيدة سكينة بنت الحسين وفى أخبار حاتم يشرح النصوص الشعرية التى وردت . وكأنه يدرى أن المتلقى يحرص كثيرًا على معرفة سيرة بعض الأعلام ، ملمح آخر نجده عند الأصفهانى أنه يأتى بالنصوص الشعرية دون تزيد فنجده يعلق على القصيدة التى وردت فى أخبار أبى العتاهية والتى تبدأ :

حسبك ففما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

وذكر منها ثلاثة وعشرين بيتا

«وهى طويلة جدًا ، وإنما ذكر هذا القدر منها حسب ما استطاق الكلام من صفتها»[2] .

---

(1) د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل ص ٤٥ .

(2) الأصفهانى : الأغانى ج ٤/ ٣٧ .

ملمح ثالث نلمسه بوضوح عند الأصفهانى وهو حرصه الشديد على نسبة الشعر لصاحبه والغناء لمؤديه ، وكذلك المقام الموسيقى الذى تغنى به هذه الأشعار ووضع الأصابع على الآلات الموسيقية ، وربما نعتبر أن عنوان الكتاب «الأغانى» ينبئ عن مدى حرص الأصفهانى على هذه الإضافات التى أعتقد أنها تناسب الهدف الذى ألف الكتاب من أجله ، وهو تأريخ الحضارة العربية من خلال فنونها الراقية الشعر والغناء . وفى مواطن قليلة من الكتاب يقرر الأصفهانى فى أنه لم يقع على قائل الشعر . فمثلاً فى «ذكر مخارق وأخباره» نجد :

«ألم تَقُولِى : نَعم ، قالت : أَرَى وَهْمًا ... مِنّى وهل يُؤْخَذ الإنسان بِالوَهْمِ

الغناء لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمزو ، ولم يقع إلىّ لمن الشعر»[1].

إن هذا يدلل على أمانة الأصفهانى وتحريه الدقة فيما يقول .

ويبقى أن نقول أن الوظيفة التفسيرية تجعل الكلام الذى يبدعه الفرد موافقا للسان الدال على الاستعمال الجماعى . وبذلك تقترب النصوص من المتلقى ، وقد أطلق دى سوسير على هذه العملية «علاقة محور الاستبدال ذى التداعى الترابطى»[2] .

ولكن هناك من يقلل من شأن التفسير ويجده :

«مجرد ترسيب طبقة من اللغة فوق طبقة أخرى لإنتاج تعمق وهمى يقدمه إلينا الظهور المؤقت للأشياء خلف الكلمات»[3] .

(١) السابق : ج ١٨/ ٣٦٤ .

(٢) دى سوسير : محاضرات فى علم اللسان ص ١٥٧ .

(٣) خوسيه ماريا بوتويلو : نظرية اللغة الأدبية ص ١٥٢ .

رغما من ذلك فإن هذه اللغة الكاشفة للنصوص هى هوية عميقة ، وليس مجرد تعمق وهمى للأشياء لأننا حينما نتأمل النصوص ، ونقوم بتفكيكها ، وتفسير مفرداتها ، والوقوف على كل تساؤل منها للإجابة عليه ، هو إنتاج لنص كبير متكامل ، وإنى لأرى أن العملية التى يقوم بها اللغوى هو تمهيد لعمل الناقد ، فحينما نربط بين الشعر والتفسير فكأنما نربط بين النصوص الأدبية وفقه اللغة . فنحن عندما نمارس التفسير فإنما ننشر النصوص ونحاول قراءتها وتقريبها للمتلقى . فبقراءة المتلقى تكتمل رحلة النص ويكتمل مثلث الاتصال، ويؤدى الإبداع وظيفته فى إثراء الفكر الإنسانى .

النتائج :

يمكن إيجاد النتائج المستخلصة من بحث «الإضافات التفسيرية» فى كتاب الأغانى للأصفهانى فيما يلى :

١ - إن المتلقى فى حاجة ماسة إلى التفسير وخصوصًا تفسير النصوص الصعبة. كى تكون مفيدة لأكبر عدد من المتلقين . ولذا تعد الوظيفة التفسيرية للغة هى وظيفة شرح .

٢ - ضرورة الربط بين المرسل (المصنف - المبدع) وبين مستقبل الرسالة (المتلقى) عن طريق تناسق ما يقول ووضوحه .

٣ - إن التعرف على مكونات العمل الأدبى ومعطياته تعد أولى الخطوات إلى عملية التلقى . وتليها عمليات التقييم والنقد ، فهى خطوة ضرورية جدًا للمتلقى المتخصص .

٤ - تركزت إضافات الأصفهانى التفسيرية فى كتابه الأغانى فى التفسيرات المعجمية التى تخص المفردات ، فالأصفهانى يعتنى بدلالة المفردة وذكر معناها المعجمى القريب من الاستعمال الجمعى .

٥ - إبراز أهمية تفسير أسماء الشعراء وألقابهم ، لما فى ذلك من إزالة إبهام بعض الألقاب وإضافة مفيدة للمتلقى .

٦ - إن فى ذكر أسماء الشعراء ونسبة الشعر إليهم ، وكذا ذكر أسماء المغنين الذين يقومون بالغناء ، وكذا ذكر المناسبة التى قيل فيها . كلها إضافات تسهم فى تكوين الخلفية المعرفية للمتلقى ، وتجعله مؤهلاً كى يكون مرسلا إذا كرم الأمر .

٧ - تعد إضافات الأصفهانى التفسيرية نصًا جديدًا يضاف إلى النص المفسر ، لأن فى البنية التفسيرية فائدة لا تقل أبدًا عن النصوص المفسرة .

٨ - اعتمد الأصفهانى فى إضافاته التفسيرية على أعلام كبار فى اللغة ، ولذا تعد إضافة فاعلة لكتاب ضخم أرخ للحضارة العربية بشكل مغاير .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

١ - أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى ، تحقيق الأستاذ عبد الكريم إبراهيم الغرباوى ، إشراف الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

ثانيا : المراجع :

١ - د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٤ م .

٢ - امبرتوإكو : التأويل والتأويل المفرط ، ترجمة ناصر الحلوانى ، سلسلة آفاق الترجمة ، العدد ١٦ ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، مصر أغسطس سنة ١٩٩٦ م .

٣ - الجرجانى (على بن محمد) : التعريفات ، ضبطه وفهرسه : محمد بن عبد الحليم القاضى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ م .

٤ - ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد) وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر . بيروت ، د. ت .

٥ - خوسيه ماريا بوثوريلو إيفانكوس : نظرية اللغة الأدبية ، ترجمة د. حامد أبو أحمد ، سلسلة الدرايات النقدية ، مكتبة غريب ، د. ت .

٦ - ابن دريد (محمد بن الحسن) : جمهرة اللغة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى د. ت .

٧ - رومان ياكبسون : قضايا الشعرية . ترجمة محمد الوالى - مبارك حنوز ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م .

٨ - د. سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ م .

٩ - د. عبد السلام المسدى : التفكير اللسانى فى الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب - طرابلس ، الجماهيرية الليبية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦م .

١٠ - عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة القاهرة ، سنة ١٩٧٧ م .

١١ - فردناند دى سوسير : محاضرات فى علم اللسان العام ، ترجمة عبد القادر قنينى ، مراجعة : أحمد حبيبى ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، سنة ١٩٨٧ م .

١٢ - الكفوى (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينى) : الكليات ، معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه : د. عدنان درويش ومحمد المصرى . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣ م .

١٣ - د. محمد العبد : العبارة والإشارة - دراسة فى نظرية الاتصال ، دار الفكر العربى - القاهرة ، سنة ١٩٩٥ م .

١٤ - د. محمد عنانى : المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزى - عربى ، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧ .

١٥ - د. مصطفى ناصف : اللغة والتفسير والتواصل - عالم المعرفة عدد ١٩٣ المجلس الوطنى الثقافى والفنون والآداب - الكويت ، يناير سنة ١٩٩٥ م .

١٦ - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، تحقيق نخبة من الأساتذة عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف - القاهرة ، د. ت .

البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث
القرن الثامن عشر وكتاب بحث المطالب

د. سامى سليمان أحمد

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة القاهرة

(١) مدخل :

مثَّل تجديد الدرس النحوى جانبا من جوانب تجديد الثقافة العربية الحديثة التى سعى كثير من منتجيها إلى تطويرها لتصبح أكثر قدرة على الاستجابة للحاجات الفكرية والجمالية والعملية التى ولدها تطور المجتمع العربى الحديث . وقد نال ما قدمه بعض رواد النهضة العربية فى مجال تجديد الدرس النحوى اهتمام عدد من دارسى مسائل التجديد اللغوى والنحوى من الدارسين المحدثين ، وقد استقرت لديهم وجهة نظر ثابتة تقرن تجديد الدرس النحوى العربى الحديث برفاعة الطهطاوى الذى أصدر عام ١٨٦٨ كتابه « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » ، وتجلت هذه الوجهة لدى كل من محمود فهمى حجازى وشوقى ضيف والبدراوى زهران ، فحجازى قرر ارتباط (حركة التجديد فى عرض النحو العربى فى شكل حديث بكتاب « التحفة المكتبة لتقريب اللغة العربية » ، وقد ألف رفاعة الطهطاوى هذا الكتاب على نمط مؤلفات الفرنسيين فى النحو . لقد أعجب الطهطاوى فى أثناء إقامته فى فرنسا بمنهج الفرنسيين فى عرض النحو ، فخرج على طريقة معاصريه فى

الشـروح والمتـون والتعليـقات ، وألف كتـابا سهل العرض ، ليس له متن أو شرح ، بل له نص واحد يقرأ فيـفهم ، وكان الطهطاوى أول من استخدم الجداول الإيضاحية فى كتب النحو العربى ، وبذلك بدأت الكتب التعليمية الحديثة فى النحو العربى) (١) .

وقد جعل شوقى ضيف من كتاب « التحفة المكتبية » بداية المحاولات الحديثة فى تيسير النحو التعليمى ، وربط بين هذا الكتاب وهدف الطهطاوى فى تعليم الناشئة النحو ، فبعد أن نظم الطهطاوى أرجوزة موجزة سماها « جمال الأجرومية » استضاء فيها (بمتون النحو خاصة بمتن الأجرومية (...) « أخذ » فى التحفة يقتصر على أبواب النحو الأساسية منحيا عنها الأبواب الفرعية ، ورأى أن يدخل على الكتاب فكرة الجداول المعروفة فى كتب النحو الخاصة باللغة الفرنسية . واتسع فيها حتى ليكاد يكون لكل باب من أبواب النحو جدول خاص به يعرض فيه صيغه المختلفة) (٢) .

وأما البدراوى زهران فقد انطلق فى سعيه إلى الكشف عن أهمية كتاب التحفة المكتبية من إبراز أثره فى الأجيال التالية للطهطاوى فوصفه بأنه

---

(١) محمود فهمى حجازى : علم اللغة العربية : مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، توزيع دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٩٤ ، ونشير إلى أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت عام ١٩٧٣ ، وانظر أيضا : محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى - مع النص الكامل لكتاب « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٤ .

(٢) شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا ، مع نهج تجديده ، دار المعارف . ١٩٨٦ ، ص ٢٦ .

(احتُذى منهجه وأمكن الاستفادة منه (...) ؛ فقد قدم رفاعة فيه للثقافة اللغوية لأول مرة عملا جمع إلى أصالته الاستفادة من مناهج الغربيين فى وضوح شخصية تبرز ملامحها فى تحديد الهدف وتيسير سبل الوصول إليه فى وثبة جريئة بعيدة المدى ، تعد بمثابة انطلاقة مكافئة للجمود الذى خلفته قرون ران فيها على العقول ما ران ، وقد كان عمل رفاعة هذا بداية أيقظت عقولا وطورت فكرا ، وأخذ مؤلفون من بعده يؤلفون على غراره فى النحو المدرسى) (٣) .

وإذا كانت آراء حجازى وضيف وزهران تجتمع فى قرنها تجديد الدرس النحوى العربى الحديث بكتاب « التحفة المكتبية » للطهطاوى فإنها تعلل ذلك ببروز عدد من الظواهر الدالة على طبيعة ذلك التجديد ، والتى تتحدد فى تقديم الطهطاوى طريقة جديدة فى التأليف النحوى فى إطار تلبية الاحتياجات التعليمية وتقديمه نصا متكاملا ليس له شرح أو حواش ، واستخدام الجداول الإيضاحية فى تقديم الموضوعات النحوية بطريقة منظمة ومبتكرة ، ويبدو واضحا أن تجديد الطهطاوى الدرس النحوى العربى الحديث يعود - فيما يرون - إلى تأثر الطهطاوى بالثقافة الأوروبية / الفرنسية .

(٣) البدراوى زهران : رفاعة الطهطاوى وتيسير نحو العربية فى كتابه التحفة المكتبية ، ورقفة مع الدراسات اللغوية الحديثة ، دار المعارف ١٩٨٨ ، ص ٣٨٦ ، ونشير إلى أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت عن دار المعارف ١٩٨٣ تحت عنوان « رفاعة الطهطاوى ورقفة مع الدراسات اللغوية الحديثة » مع النص الكامل للتحفة المكتبية ، ولا تختلف الثانية عنها سوى فى العنوان ؛ ويبدو أن تغيير العنوان مرتبط فى جانب من جوانبه بنشر شوقى ضيف كتابيه « تجديد النحو » عام ١٩٨٢ ، و « تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا » عام ١٩٨٦ .

وتنطلق هذه الدراسة من رأى مختلف تماما قوامه أن البداية الأولى والحقيقية لتجديد الدرس النحوى العربى فى إطاره التعليمى فى العصر الحديث قد بزغت قبل الطهطاوى بأكثر من قرن ونصف القرن ، أو بمائة وواحد وستين عاما على وجه التحديد ، فهذه البداية لا تعود إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٦٨) بل ترتد إلى العقد الأول من القرن الثامن عشر ، حين قدم المطران جبرائيل / جرمانوس فرحات المارونى الحلبى (١٦٧٠ - ١٧٣٢) كتابه « بحث المطالب » .

ويتطلب تعليل هذا الرأى وتفصيله قراءة كتاب « بحث المطالب » قراءة ذات مقارنة ثنائية بينه وبين كتب المختصرات النحوية والصرفية فى التراث العربى من ناحية ، وكتاب « التحفة المكتبية » للطهطاوى من ناحية ثانية .

وتؤسس هذه القراءة لنفسها عددا من المقدمات الأساسية التى تتصل ببيان مواقف عدد من الدارسين العرب المحدثين والمستشرقين من هذا الكتاب ، والتعريف البالغ الإيجاز بالمؤلف الذى توشك جهوده التجديدية فى الأدب واللغة العربية أن تكون مجهولة لدى الغالبية العظمى من مؤرخى الثقافة العربية الحديثة ، ووصف الكتاب وطبعاته ، وتحديد مفهوم تجديد الدرس النحوى .

وليست تلك المقدمات السابقة إلا أساسا لتحديد الفرضية الأساسية التى يمكن أن يقرأ هذا الكتاب فى ضوئها لاستكشاف ظواهر تجديد

الدرس النحوى فيه .

(١ / ٢) مواقف الدارسين من كتاب « بحث المطالب » .

لعل أول ما يلفت انتباه الدارس / القارئ أن عددا قليلا من دارسى الأدب العربى الحديث من العرب ومن المستشرقين قد توقفوا بإيجاز أمام جهود جرمانوس فرحات ، ولكنهم اكتفوا دائما بالإشارة إلى كتابه « بحث المطالب » ووصفوه دائما أوصافا موجزة لا تكشف على الإطلاق عن ماهيته ، ولا تدفع القارئ / الدارس إلى مجرد التفكير فيما يمكن أن ينطوى عليه هذا الكتاب من تجديد ؛ فقد اكتفى جورجى زيدان بالإشارة إلى أن هذا الكتاب طبع مرارا (٤) ، على حين أسند مارون عبود لجرمانوس فرحات (فضل التأليف فى النحو ، فهو أول نصرانى ألف فيه ، بعدما أخذ هذا العلم عن الشيخ سليمان النحوى المسلم فى حلب) (٥) . ورأى أمين ألبرت الريحانى ، فى بداية العقد الثامن من القرن العشرين ، أن فرحات بوصفه لغويا قد تفهم (الحاجة الماسة لوضع كتب فى قواعد اللغة العربية تسهل حفظ هذه اللغة وإتقانها ، فألف فى الصرف والنحو والبيان كتبا استمرت قيد الاستعمال والتداول بين المسيحيين حتى زمن قريب) (٦) .

---

(٤) انظر : جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، دار الهلال ، بدون تاريخ ، ص ١٠ .

(٥) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، نشر وتوزيع دار الثقافة : بيروت : ١٩٦٦ ، ص ٣٥

(٦) أمين ألبرت الريحانى : مدار الكلمة : دراسات نقدية ، دار الكتاب اللبنانى . بيروت . دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١١١ .

وقد توقف عدد من المستشرقين أمام كتابات جرمانوس فرحات ليشيروا أحيانا إلى أهمية بعضها فى إطار الأدب المسيحى العربى ، أو ليومئوا أحيانا إلى انتشار عدد من كتبه فى البيئات المسيحية العربية ، فالمستشرق الألمانى هارتمان "Martin Hartmann" أشار فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر إلى أن فرحات هو النموذج الأكثر سطوعا بين المؤلفين المسيحيين العرب فى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، وأقر أن أشهر كتاباته هو كتابه فى النحو « بحث المطالب » (٧) . على حين توقف المستشرق الألمانى جراف "Georg Graf" ، قرب نهاية النصف الأول من القرن العشرين ، فى كتابه « تاريخ الأدب المسيحى العربى Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur أمام كتابات جرمانوس الدينية والتاريخية والأدبية واللغوية ، ثم انتهى إلى القول إن (جرمانوس فرحات هو مؤلف أكثر كتب نحو اللغة العربية انتشارا فى مدارس المسيحيين ، ولكنه لم يشق طرقا جديدة لعلم اللغة فى مؤلفاته ، فقد التزم دائما بالمنهج التقليدى للمؤلفين المسلمين فى النحو ، وينحصر تجديده فى تقديمه أمثلة للقواعد النحوية من الترجمات العربية للإنجيل) (٨) .

أما المستشرق الإنجليزى ستاركى "Paul Starkey" فقد توقف فى نهاية العقد الأخير من القرن العشرين أمام فرحات ليصفه بأنه كان (بشيرا بنهضة القرن التاسع عشر ، وتبدو أهميته بوضوح فى مجال تعليم اللغة

(٧) Hartmann, Martin : Philologie , Deutsche Literatu r Zeitung, N.5 February 1896. P. 136 .

(٨) Graf,Georg : Geschichte der Chirstlichen Arabischen literatur, Band 3, Citta del vaticana, Biblioteca Apostollca vaticana, 1977, P. 416 .

العربية بتقديمه كتبا تعليمية فى مجالات المعاجم ، والنحو ، والبلاغة ، والتى لقيت انتشارا واسعا) [٩] .

ومن الواضح أن المستشرقين الذين توقفوا أمام كتابات جرمانوس فرحات قد لفتهم انتشار كتبه التعليمية فى أوساط التعليم المسيحى ، وإذا كان جراف قد اختلف عن الآخرين فى وقفته المطولة - مقارنة بهما - أمام كتاب « بحث المطالب » فإنه اكتفى بحصر التجديد فيه فى استمداد فرحات أمثلة القواعد النحوية من الترجمات العربية للإنجيل ، وسنتوقف أمام هذا الرأى فى موضع تال لمناقشته وتحديد هويته الحقيقية مكتفين هنا بالإشارة إلى أن ظاهرة استشهاد جرمانوس بأمثلة من الترجمات العربية للإنجيل ليست إلا ظاهرة واحدة فقط من ظواهر تجديد الدرس النحوى التى يمكن استنباطها من القراءة العميقة للكتاب .

(٣ / ١) التعريف بجرمانوس فرحات وجهوده التجديدية

يتصل المدخل الثانى بالتعريف الموجز بالمؤلف ، فهو جبرائيل بن فرحات مطر المارونى ، المولود فى حلب عام ١٦٧٠ على ما يتفق من ترجموا له فيما عدا سعيد الشرتونى الذى أشار فى مقدمته لديوان فرحات ، إلى أنه ولد عام ١٦٢٠ [١٠] ، ويبدو رأيه مجانبا الصواب ، لمخالفته الرأى السائد بين من

---

(٩) Starkey, Pual and Meisami, Julie Scott (ed.) Encyclopedia of Arabic literature, V. 1, Routledge, London and New York, 1998, P221 .

(١٠) انظر : ديوان جرمانوس فرحات : الطبعة الثانية ، تعليق وتصحيح سعيد الخورى الشرتونى ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٤ ، ص ٩ من ملخص ترجمة الناظم ، وقد يبدو أن هذا التاريخ خطأ مطبعى لأن سياق أحداث حياة جرمانوس فى هذه الترجمة تبين أنه ولد عام ١٦٧٠ .

ترجموا لفرحات ، لا سيما أن الشرتونى لم يعلل رأيه ذاك . وتعود الأصول الأولى لفرحات إلى حصرون بلبنان ، وقد تعلم بالمدرسة المارونية بحلب ، ودرس علم اللاهوت ، واتصل بالثقافة العربية الوسيطة اتصالا عميقا تكشف عنه مؤلفاته الأدبية واللغوية ، وأتقن عدة لغات هى العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية ، ودخل سلك الرهبنة سنة ١٦٩٣ ، وحمل اسم جرمانوس ، وتنقل فى أديرة كثيرة فى سوريا ولبنان ، إلى أن انتخب مطرانا على حلب سنة ١٧٢٥ ، وذهب فى رحلات متعددة إلى عدد من دول أوروبا ولا سيما إيطاليا وأسبانيا ، وتوفى بحلب عام ١٧٣٢ [١١] .

---

(١١) انظر المصادر التالية التى قدمت ترجمة جرمانوس فرحات :

- جرجس منش المارونى الحلبى : المستطرفات المستظرفات فى حياة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة الرابعة ، العدد الثانى ١٥ كانون الثانى ١٩٠٤ ، ص ٤٩ - ٥٦ .
- جرجس منش المارونى الحلبى : تركة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة السابعة ، العدد ٨٧ ، ١٥ أبريل ١٩٠٤ .
- ديوان جرمانوس فرحات ، مرجع سابق ، ترجمة الناظم ، ص - ص ٩ - ١٢ .
- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، مرجع سابق ، ص ٩ - ١٠ .
- مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، مرجع سابق ، ص - ص ٣٤ - ٣٩ .
- جرمانوس فرحات : إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب ، تصحيح رشيد الدحداح ، مطبعة باراس وسافورنين ، مرسيلية ١٨٤٩ ، ص ٢١ - ٢٤ حيث قدم الدحداح تعريفا بجرمانوس تحت عنوان « مطلب فى تلخيص حياة المؤلف » .
- بطرس البستانى : دائرة المعارف ، المجلد السادس ، دار المعرفة ، بيروت ١٨٧٦ ، ص - ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .
- إدورد فنديك : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربية فى المطابع الشرقية والغربية ، صححه وزاد عليه بعض الكلام السيد / محمد على الببلاوى ، طبع بمطبعة التأليف (الهلال) بالفجالة سنة ١٨٩٦ ، ص ٣٠٩ . ونشير إلى أن فنديك هو الوحيد فيما نعلم الذى انفرد بالقول أن جرمانوس فرحات قد توفى عام ١٨٢٦ .
- يوسف إلياس سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة : الناشر : مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص - ص ١٤٤١ - ١٤٤٢ .
- خير الدين الزركلى : الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٠ ، ص ١٠٩ - ١١٠
- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن : العصر العثمانى ، ترجمة محمود فهمى حجازى وعمر صابر عبد الجليل ، إشراف محمود فهمى حجازى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص - ص ٣٦ - ٣٧ .

وضع جرمانوس فرحات مؤلفات كثيرة فى علوم اللاهوت / العلوم الدينية ، وما تزال الغالبية العظمى منها مخطوطة [١٢] . وأما إسهاماته الأدبية واللغوية فتتمثل في ديوانه الذى طبع مرتين فى القرن التاسع عشر ، ويبرز فيه علاقته العميقة بالتراث الشعرى العربى الوسيط ، حيث لجأ إلي تسميط عدد من قصائد المعرى وابن سينا والسهروردى ومقطوعاتهم ، وألف بعض المقطوعات التى يعارض بها بعض مقطوعات المعرى ، كما كتب عددا من المثلثات والمخمسات [١٣] ، ويمكن أن يوضع شعره فى إطار المرحلة الأولى من مراحل الإحياء الأدبى فى العصر الحديث .

ويمثل معجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » نموذجا للدراسة المعجمية الحديثة المبكرة في القرن الثامن عشر ، أى فى مرحلة البداية المجهولة لثقافة العصر الحديث ، وهو اختصار وإضافة إلى القاموس المحيط ، وقد وصفه بعض الدارسين بأنه بداية الحركة المعجمية الحديثة فى لبنان [١٤] .

---

(١٢) انظر مقال جرجس منش المارونى الحلبى : تركة السيد جرمانوس فرحات ، سبق ذكره ، حيث يرصد كتابات فرحات الدينية ، وانظر أيضا : گورگيس عواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٨٩ ، صفحات ٨٤ - ٩٠ ، ١٠٥ - ٢٢٢ ، وانظر أيضا : بطرس حداد وجاك اسحاق : المخطوطات السريانية والعربية فى خزانة الرهبانية الكلدانية فى بغداد ، الجزء الثانى : المخطوطات العربية ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٨٨ ، ص - ص ٢٣ - ٤٢ .

(١٣) انظر ديوان جرمانوس فرحات ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٨ ، ٣١٠ - ٣١١ ، ٤٣٩ ، ٤٩٦ - ٤٩٧ وغيرها من الصفحات .

(١٤) انظر حسين نصار : المعجم العربى : نشأته وتطوره ، الطبعة الرابعة ، دار مصر للطباعة ١٩٨٨ ، الجزء الثانى ، ص ٥٠٧ حيث يقول المؤلف فى نهاية دراسته لهذا المعجم (أظن أن هذا الكتاب أثر فى المدرسة الحديثة التى أرادت أن تؤلف معجمات تلائم هذا العصر وخاصة مدرسة اليسوعيين فاتبعوه فى كثير من خطوات منهجه) .
وانظر أيضا : محمد على الزركان : الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق . الطبعة الأولى ، دار الفكر ، سوريا ١٩٨٨ ، ص ١١٢ .

ولجرمانوس فرحات كتب أخرى فى اللغة والنحو منها « الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية » ، الذى ظل مخطوطا إلى قرب نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، حيث صدرت منه عدة طبعات فى أعوام ١٨٣٢ ، ١٨٤١ ، ١٨٥٧ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٩ . ويمثل هذا الكتاب نمطا من أنماط التأليف الحديث فى مجال النحو التعليمى ، ويمكن تقسيمه إلى قسمين ، نظرى وتطبيقى ، ويبدأ القسم الأول بمقدمة عن معنى الكلام وأقسامه ، تليها سبعة أبواب يعالج أولها الإعراب ، ويتوقف ثانيها عند علامات الإعراب ، ولذا ينقسم إلى خمسة فصول ، على حين يختص الباب الثالث بالأفعال ، وليس فيه فصول ، أما الباب الرابع فيتناول مرفوعات الأسماء ، وينقسم إلى أربعة فصول تعالج الموضوعات التالية : الفاعل ، المفعول الذى لم يسم فاعله ، المبتدأ والخبر ، ثم العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر . ويتناول الباب الخامس التوابع ، وينقسم إلى ثلاثة فصول يتناول فيها جرمانوس العطف والتوكيد ثم البدل ، على حين أن الباب السادس هو أطول فصول هذا الكتاب الموجز ، ويتناول فيه جرمانوس فرحات الأسماء المنصوبة ، وقد قسمه إلى عشرة فصول تمضى على النحو التالى : المفعول المطلق ، المفعول به ، المفعول فيه ، المفعول له ، المفعول معه ، الاستثناء ، الحال ، التمييز ، لا النافية للجنس ثم المنادى . أما الباب السابع فيتناول فيه المخفوضات .

وقد جعل جرمانوس القسم الثانى من كتابه قسما تطبيقيا قدم فيه أمثلة معربة تحت عنوان « إعراب أمثلة الأجرومية » .

ويتبدى تجديد نمط التأليف فى « الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية » فى بناء قسمه الأول على تقنية السؤال والجواب ، حيث يطرح سؤال عن القاعدة الأساسية المراد شرحها ، وتقدم إجابة موجزة تعرض القاعدة النحوية فى جملة مركزة ، وتقرن بها أمثلة شارحة للقاعدة وحالاتها أو أنماطها المختلفة ، ويمكن التمثيل لهذه التقنية بمعالجة المؤلف للمفعول المطلق التى تمضى على النحو التالى :

(س : ما هو المفعول المطلق ؟

ج : المفعول المطلق هو المصدر المسلط عليه عامل إما من لفظه ومعناه أو من معناه فقط . مثال الأول : ضربته ضربا ، ومثال الثانى : جلست قعودا - فضربا مصدر منصوب مسلط عليه عامل موافق له فى لفظه ومعناه وهو « ضرب » ، وقعودا مصدر منصوب مسلط عليه عامل من معناه لا من لفظه وهو « جلس » .

س : إلى كم نوع ينقسم المفعول المطلق ؟

ج : إلى نوعين : مؤكد ومبين ، فالمؤكد ما ساوى معناه معنى فعله كقولك (ضربت ضربا ، والمبين ما زاد على فعله بإفادة عدد ، كضربته ضربتين ، أو نوع كضربته ضرب المؤدب) (١٥) .

وقد ألحق جرمانوس بمعجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » فصلا تناول فيه معانى علامات الإعراب حيث عرض فيه الأدوات التى

---

(١٥) جرمانوس فرحات : الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين ، أورشليم ١٨٨٦ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

تدخل على الجملة وتؤثر فى إعرابها ودلالتها ، وقد رتب هذه الأدوات ترتيبا هجائيا .

ويبدو أن هذا الفصل كان كتابا مستقلا بدليل أن بروكلمان يذكر أن له مخطوطتين : إحداهما فى ميونيخ والأخرى فى الفاتيكان ، وكل منهما تحمل عنوان « الفصل المعقود فى عوامل الإعراب » (١٦) ، ولعل ذلك يشير إلى أن جرمانوس قد ألف « عوامل الإعراب » كتابا مستقلا ثم ضمه إلى معجمه « إحكام باب الإعراب عند لغة الأعراب » الذى انتهى من تأليفه عام ١٧١٨ .

أما كتابه « بحث المطالب » فقد ألفه سنة ١٧٠٥ ، وكان يستخدم فى البداية فى تدريس النحو العربى فى أديرة الآباء اليسوعيين ومدارسهم ، فأدرك جرمانوس ما فيه من تطويل فى عرض موضوعات النحو والصرف فاختصره عام ١٧٠٧ ، بينما يرى جراف أن اختصاره كان فى يناير ١٧٠٨ (١٧) ، وهذا المختصر توجد منه نسخ خطية كثيرة منها تسع وعشرون نسخة فى مكتبات حلب ، وخمس نسخ فى دير الشرفة ونسخة فى دير المخلص ، وثلاث نسخ فى المكتبة الشرقية ببيروت ، ونسخة فى المكتبة الوطنية بباريس وتترواح تواريخ عدد من هذه النسخ بين عامى ١٧٠٧ و ١٨١٦ (١٨) .

---

(١٦) انظر : بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن : العصر العثمانى ، مرجع سابق ، ص٣٧

(١٧) انظر : مقال جرجس منش المارونى الحلبى : مطالب فى بحث المطالب ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد ٢٣ ، يناير ١٩٠٠ ، ص ١٠٧٨ ، ويقع المقال ص١٠٧٧ - ١٠٨٣ ، وانظر رأى « جراف » فى كتابه : Geschichte der Chrislichen Arabischen literature, P 417 .

(١٨) حول هذه النسخ الخطية ، انظر كوركيس عواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٧٨ .

وقد طبع هذا الكتاب للمرة الأولى فى المطبعة الأمريكية بمالطة عام ١٨٣٦ ، والمرجح أن أحمد فارس الشدياق (١٨٠١ - ١٨٨٧) هو الذى تولى الإشراف على طباعته ، وأضاف إليه نحو خمسين ملاحظة . وهناك من يرى أن الشدياق قد اختصر هذا الكتاب ونشره تحت عنوان « الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية » وطبعه بمالطة عام ١٨٤١ [١٩] .

وقد توالت طبعات الكتاب فى القرن التاسع عشر ، ويمكن رصد هذه الطبعات وما أدخل عليها الطابعون من تغييرات مختلفة .

وأولى هذه الطبعات هى طبعة بطرس البستانى عام ١٨٤٥ والتى أعطاها عنوان « مصباح الطالب فى بحث المطالب » . وقد حذف من الكتاب الأمثلة التطبيقية الموضوعة فى نهاية طبعة (١٨٣٦) ووضع بدلا منها رسالة « نقطة الدائرة فى العروض » لناصيف بن عبد الله اليازجى ، وأعادت المطبعة الكاثوليكية فى بيروت طبعه عام ١٨٦٥ دون إضافة تعليقات عليه ، كما طبع الكتاب بعد ذلك فى مطبعة الحكومة اللبنانية عام ١٨٧٦ .

---

(١٩) انظر : محمد على الزركان : الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٧٥ - ٢٧٧ حيث يحصر فيها آثار الشدياق المطبوعة : ويذكر من بينها (الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية ، مالطة ١٨٤١) ص ٣٧٥ ، وفى هامش (١) من الصفحة ذاتها يذكر أن هذا الكتاب (مختصر لكتاب بحث المطالب لجرمانوس فرحات) . أما محمد الهادى المطوى فيذكر أن هذا الكتاب للشدياق حيث يقول (الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية ، وهو مختصر كتاب « بحث المطالب » لجرمانوس فرحات (...) والظاهر أن دور الشدياق فيه تمثل فى إضافة تعليقات من عنده) ص ١٩٢ من دراسته : أحمد فارس الشدياق : حياته وآثاره وآراؤه فى النهضة العربية ، القسم الأول ، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٨٩ .

ويبدو أن سعيد الشرتوني قد اهتم اهتماما كبيرا بهذا الكتاب ؛ إذ أضاف إليه تعليقات وحواشي كثيرة وطبعه بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٨٨٢ ، ثم صدرت من نسخة الشرتوني هذه ست طبعات أخرى في الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩١٣ .

وقد طبع الكتاب أيضا في جزأين مستقلين ، اشتمل الأول على قواعد الصرف ، وصدر في بعبدا عام ١٩٠٠ تحت عنوان « كتاب الصرف » واشتمل جزؤه الثاني على قواعد النحو ، وطبعه المعلم بطرس البستاني تحت عنوان « كتاب النحو » وأصدره عام ١٩٠٠ أيضا [٢٠] .

إن تعدد طبعات هذا الكتاب ، والتي وصلت إلى ثلاث عشرة طبعة في أقل من ثمانية عقود ، يشير إلى سعة انتشاره بين فئات كثيرة من الطلاب والمتعلمين في فترة لا نعرف أن كتابا من كتب النحو التعليمية الحديثة قد تكرر طبعه فيها هذا العدد من الطبعات ، ولعل هذه الظاهرة الطباعية تعود إلى ما ينطوي عليه هذا الكتاب من تجديد حقيقي نسبي في الدرس النحوي جعله محققا لمتطلبات تجديد هذا الدرس طوال القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد قدم المؤلف لكتابه بمقدمة قصيرة تقع في صفحتين فقط أشار فيها ، بإيجاز شديد ، إلى أسباب تأليفه وإلى طبيعة كتابه ، وبعد مقدمة المؤلف ينقسم الكتاب إلى : مقدمة وثلاثة كتب وخاتمة (حسب مصطلحات

---

(٢٠) حول هذه الطبعات راجع مقال جرجس منش الحلبي وكتاب « جراف » المذكورين في هامش رقم « ١ » في الصفحة السابقة .

المؤلف) ، ويعرض المؤلف فى المقدمة أحوال الحروف الهجائية والحركات العربية ، بينما يخصص الكتاب الأول لتصريف الأفعال ، والثانى لتصريف الأسماء ، والثالث لقواعد النحو ، على حين تختص الخاتمة بتناول مسائل إعراب الكلام المركب . وقد أشار المؤلف فى تقديمه للكتاب إلى هذه الأقسام ، ويجد القارئ قسما فى نهاية الكتاب عنوانه « إعراب أمثلة بحث المطالب » ، ومن الراجح أن يكون هذا القسم إضافة من الشدياق الذى نشر الكتاب للمرة الأولى عام ١٨٣٦ بدليل أن المؤلف لم يشر فى تقديمه للكتاب إلى هذا القسم .

ومن الملاحظ أن المؤلف قد سمى كتابه فى المقدمة « بحث المطالب وحث الطالب » ، وهو الاسم الذى سجله بروكلمان للكتاب (٢١) ، ولكن الاسم المتداول هو « بحث المطالب » إذ هو الاسم الموجود على مخطوطات الكتاب التى أشار إليها كوركيس عواد وأشارت إليه مجلة المشرق فى بداية القرن العشرين (٢٢) ، وحمله الكتاب فى نشراته المختلفة طوال القرن التاسع عشر ، ولا يستثنى منها إلا نشرة الشدياق التى حملت عنوان « كتاب بحث المطالب فى علم العربية » ولهذه التسمية علاقة بمحتوى الكتاب وتحمل دلالة / دلالات تتصل مباشرة بنمط تجديد الدرس النحوى الذى يقدمه هذا الكتاب (وسنتوقف أمام هذه المسألة فى فقرة تالية) .

---

(٢١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢٢) انظر : كوركيس عواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، مرجع سابق ، ص ٧٨ . وانظر أيضا : جرجس منش المارونى الحلبى : مطالب فى بحث المطالب . مجلة المشرق . السنة الثالثة . عدد رقم ٢٣ ، الأول من يناير ١٩٠٠ ، ص - ص ١٠٧٧ - ١٠٨٣ .

(٤ / ١) مفهوم تجديد الدرس النحوى ومقوماته :

تتصل المقدمة الأخيرة من مقدمات قراءة كتاب «بحث المطالب» بتحديد مفهوم تجديد الدرس النحوى .

إن التجديد - فى دلالته الأساسية - ينصرف إلى نقد أسس المجال المعرفى الذى يتم تجديده ، أو إعادة تعديل تلك الأسس وتغييرها ، استجابة لحاجة اجتماعية يولدها تطور المجتمع ، ويمكن وصف التجديد بإيجاز بأنه ظاهرة نسبية ، تتحدد نسبيتها فى ضوء مجموعة من المحددات أهمها : طبيعة العلم أو المجال المعرفى أو النشاط الثقافى الذى يتم تجديده ، وطبيعة اللحظة التاريخية التى تفرز الحاجة إلى التجديد ، وطبيعة المتلقى أو الفئات التى يتوجه إليها المجدد بتجديده ، ثم المجدد نفسه ، ولا سيما قدرته على اكتشاف المتغيرات الجديدة التى تدفع إلى التجديد وتوجبه ، وقدرته على أن يبلور النموذج الجديد واعيا بجوانب القصور فى المادة أو المجال المعرفى « الموروث » الذى يسعى إلى تغييره أو تطويره .

يقود التحديد السالف للتجديد إلى تعيين المقصود بتجديد الدرس النحوى ، فالدرس النحوى - فى معناه الضيق في التراث - ينصرف إلى دراسة مسائل بناء الجملة ، ويتطلب ذلك الدرس تحديد دلالات المصطلحات المستخدمة وتعيين القواعد الأساسية لإنشاء الأنماط المختلفة من الجمل ، وتحديد القواعد الجزئية التى تتصل بالظواهر التركيبية الصغرى ، كظواهر التقديم والتأخير أو الحذف ، أو تتصل بالإمكانات الإعرابية المختلفة لبعض الأنماط النحوية أو التركيبية .

ولقد ورث دارس النحو العربى فى العصر الحديث تراثا نحويا ضخما خلفه النحاة العرب فى العصور الوسطى ، وهو تراث يتصف ، من ناحية ، بشموله في استقصاء مختلف الموضوعات والظواهر النحوية ، فى إطار الحد الزمنى الذى وضعه النحاة لعصور الاحتجاج ، كما يتسم من ناحية ثانية ، بعكوف منتجيه على الدرس المفصل لعدد هائل من الظواهر والمجالات الصغرى المتصلة بأنماط الجملة ووظائف الأدوات المسهمة فيها .

وقد فرضت طبيعة التراث النحوى العربى على المجدد الحديث للدرس النحوى العربى أن يسعى إلى تدقيق التعريفات والمصطلحات التى استخدمها النحاة العرب « القروسطيون » معتمدا فى هذا على إضافات يستمدها من التراث النحوى نفسه ، وتعديل بعض المفاهيم التى كان النحاة « القدماء » يستندون إليها تعديلا جزئيا ، والاختيار من اجتهادات النحاة « القدماء » ، وإعادة تنسيق أبواب النحو العربى ثم الدعوة أحيانا إلى إلغاء الإعرابين التقديرى والمحلى .

وتكاد تلك الملامح معظمها تبدو جلية فى محاولتى شوقى ضيف لتجديد النحو وتيسير النحو التعليمى .

وستكشف قراءتنا لكتاب « بحث المطالب » عن طبيعة ظواهر تجديد الدرس النحوى فيه ، ويكفى - قبل استنباط هذه الظواهر من قراءة الكتاب - أن نقدم دون تعليق النص الموجز الذى قدمه المؤلف فى تقديمه للكتاب يشير فيه إلى أهدافه ويوجز طبيعة كتابه ؛ فيقول فى المقدمة (أنشأت مؤلفا ينطوى

على مقدمة وثلاثة كتب وخاتمة ، وجمعت فيه ما تفرق من القواعد العربية تصريفا ونحوا في كتب متعددة وأثبتُّ منها ما يلزمنا ، ونبذت عنا ما هو غريب منا (....) وأهملت التعليلات المملة والاعتراضات المعلة لما رأيت ابن الحاجب قد حجب الأفهام برواياته ، وابن هشام قد هشم الأوهام بإيراداته ، وابن مالك قد ملك الأذهان بزياداته ، فما هي إلا زيادة تدقيق وتنميق تحقيق ، أو أن لهم في ذلك غرضا لا يشملنا (.....) . إن المقصود من تأليف ما ألّفناه وألفناه ثلاثة أمور : الأول إزالة تعقيد العبارات المبهمة ، الثاني : ضم جميع ما تلزمنا معرفته من هذه الصناعة في مؤلف واحد بوجه الاختصار ، الثالث : إيراد شهاداته من الكتب المقدسة حسب الإمكان . وسميته بحث المطالب وحث الطالب . والمقصود منه نفع أولاد المسيحيين لئلا يتغربوا فيتجربوا ولئلا يتعبوا فيُتعبوا) (٢٣) .

إن هذه القراءة تنطلق من فرضية ترى أن اقتناص ظواهر تجديد الدرس النحوى في كتاب « بحث المطالب » يتطلب استنباط مجموعة العلامات الدالة على ذلك التجديد ومقارنتها بالعلامات السائدة في كتاب « التحفة المكتبية » وفي كتب المختصرات النحوية والصرفية في التراث العربي .

(٢) ظواهر تجديد الدرس النحوى فى « بحث المطالب » :

يتأسس تجديد الدرس النحوى فى « بحث المطالب » على خمس ظواهر

(٢٣) جرمانوس فرحات الماروني الحلبي : كتاب بحث المطالب في علم العربية ، مع حواش لمصححه المعلم سعيد الخورى الشرتوني ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٥ ، ص ٥ من مقدمة المؤلف ، ونشير إلى أن هذه المقدمة ليست موجودة في طبعة الكتاب عام ١٨٣٦ ، وهي الطبعة التي نعتمد عليها في هذه الدراسة .

ذات دلالة وهي : نمط التأليف الذى يتكون من ثلاث علامات رئيسية هي : البنية الكبرى ، والبنية الصغرى ، وتنظيم بعض الأبواب النحوية وفق منطق مبتكر ، ويعد السعي إلي ضبط عدد من مصطلحات الدرس النحوى والتدقيق في صياغتها وإبراز دور الدلالة فى ضبطها الظاهرة الثانية منها ، على حين تتمثل الظاهرة الثالثة فى تحول الإيجاز فى اختيار المادة النحوية إلى علامة دالة . وتنتج الظاهرة الرابعة من تفاعل الظاهرتين السابقتين معا ، وتتمثل فيما يمكن أن يوصف بأنه « بنية تنظيم الموضوع النحوى تنظيما وافيا ودالا » في آن . وأما الظاهرة الخامسة فتتبدى فى التمثيل للظواهر النحوية والصرفية بأمثلة تراثية ؛ أى متواترة فى كتب النحاة العرب القروسطيين ، وأخرى مستمدة من الثقافة المسيحية .

وتختص كل فقرة من الفقرات التالية بتحليل ظاهرة من هذه الظواهر .

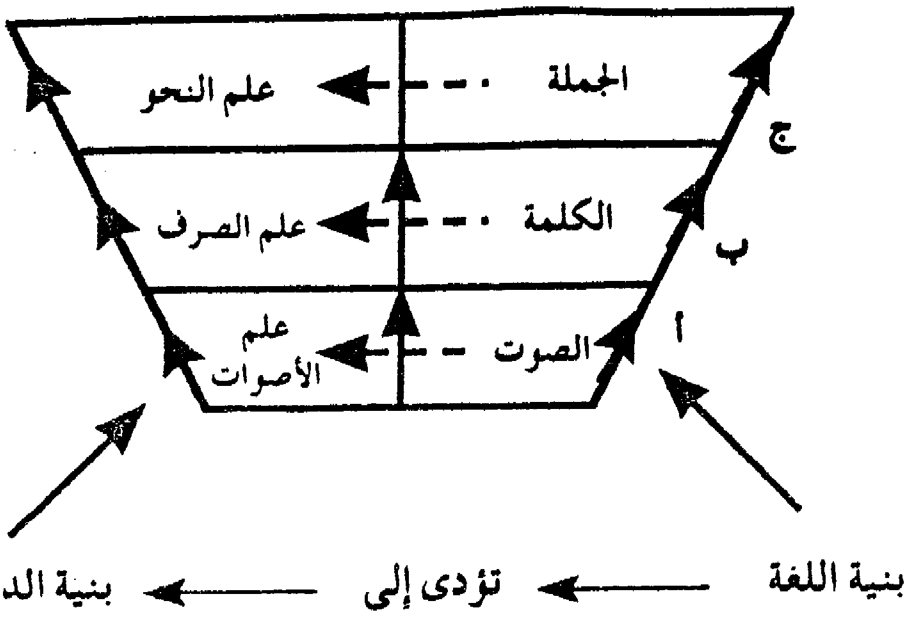
(١ / ٢) نمط التأليف وعلاماته : البنية الكبرى

يمثل نمط التأليف الظاهرة الأولى من ظواهر تجديد الدرس النحوى فى كتاب « بحث المطالب » ، ونقصد بهذا النمط الطريقة التى يتبعها المؤلف أو يسنها فى تنظيم المادة اللغوية أو النحوية بهدف تحقيق غايات صريحة أو مضمنة فى النمط نفسه . ويتشكل نمط التأليف من عدد من العلامات المتوالية والآليات التى تستخدم لتثبيت ذلك النمط فى مستوييه الأفقى والرأسى ، ومن تأمل كتاب « بحث المطالب » يتبدى أن هناك ثلاث علامات أساسية تشكل نمط التأليف فيه ، وهى : البنية الأساسية أو الكبرى ، وعلامة تنظيم

المادة أو بعض الأبواب وفق منطق جديد يختلف عن المنطق السائد في كتب النحاة السابقين ، ثم البنية الصغرى بوصفها علامة تتصل مباشرة بطريقة تنظيم المادة النحوية أو اللغوية داخل الوحدة الصغرى أو المطلب حسب اصطلاح جرمانوس فرحات .

وفي ضوء ما سلف يكتشف قارئ « بحث المطالب » أن البنية الأساسية لهذا الكتاب قد شكُلت وفق مبدأ قار في الكتاب دون أن يصرح المؤلف به ، وإن استكشف القارئ تجلياته العينية في « بحث المطالب » ، ويتمثل ذلك المبدأ في تنظيم المادة اللغوية والنحوية على نحو متطور أو متقدم ، يبدأ بمكوناتها الصغرى ، ثم ينتقل منها إلى مكوناتها الوسطى ، في حين يختتم عرضها بتحليل مكوناتها الكبرى ، ويتجلى هذا المبدأ في اختصاص مقدمة الكتاب بتناول عدد من الجوانب الأساسية الخاصة بأصوات اللغة العربية ، بعدها يتم الانتقال إلى الكتاب الأول الذى تدرس فيه مسائل تصريف الأفعال ، ثم يختص الكتاب الثاني بدراسة مسائل تصريف الأسماء ، مما يعنى أن هذين البابين مختصان بدراسة بنية الكلمة المفردة وقوانين صياغتها واشتقاقاتها وما يعتريها من تغيرات بنائية وصوتية مختلفة . في حين يقتصر الكتاب الثالث وخاتمته على دراسة النحو بالمعنى الضيق الذى يعنى بدراسة الجملة وقواعد تركيبها وأنماطها المختلفة .

ويمكن تمثيل بنية « بحث المطالب » على النحو التالي :



وتكشف بنية الدرس النحوى بهذه الكيفية ، التى يفصح عنها الشكل التوضيحى ، عن عدد كبير من العلامات التى تتعاضد معا على إبراز جانب أساسى من جوانب تجديد ذلك الدرس لدى جرمانوس ، اعتمادا على إعادته تنظيم المادة اللغوية والنحوية القديمة أو الموروثة . ففى المقدمة التى تحتل الصفحات الأربع الأولى من « بحث المطالب » وتحمل عنوان « فى أحوال الحروف الهجائية والحركات العربية » يبدأ جرمانوس بتعريف الحرف وكميته ، ويحدد الحرف من الناحية الاصطلاحية بأنه (صوت يعتمد على مقطع من مقاطع الحلق واللسان والشفتين) [٢٤] ، ثم يحدد الحروف الهجائية العربية ، ويتبع ذلك بتقديم تعريف لمخرج الحرف وكيفية التعرف عليه على النحو التالى : (إن شئت أن تعرف مخرج الحرف فسكنه ثم أدخل عليه الهمزة فى أوله وأصغ إليه فحيث ينقطع صوته فهناك يكون مخرجه) [٢٥] .

---

(٢٤) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، طبعة مالطة عام ١٨٣٦ ، ص ١ .

(٢٥) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، المرجع السابق ، ص ٢ .

فإذا كان جرمانوس قد ساوى بين الحرف والصوت دون أن يعنى بتصنيف الأصوات المختلفة تبعا لمخارجها ، فإنه قد استمد طريقة تحديد مخرج الصوت من التراث اللغوى العربى السابق عليه ، ولعل توجهه بكتابه إلى طلاب يكتبون عنه ويتعلمون منه يفسر تكرار اعتماده على مصطلح الحرف ، وهو حين يفرق بين الحروف الشمسية والحروف القمرية يجعل من هذا التفريق إيذانا بانتقاله إلى معالجة الحركات العربية بوصفها أصواتا إضافية تصاحب نطق الحروف أو الأصوات العربية الأساسية ، وقد عرف الحركة لغة واصطلاحا ، وهى عنده اصطلاحا (ما به يتقوم الحرف على النطق) [٢٦] ، وأتبع ذلك بتحديد ألقاب الحركات مميزا بين قسمين منها : قسم يستعمل فى البناء وهو التصريف ، وألقابه : الضم والفتح والكسر والسكون ، وقسم يستعمل فى الإعراب وهو النحو وألقاب الإعراب عنده هى : الرفع والنصب والخفض والجزم ، وبذلك ميز بين جانبين صوتيين مختلفين يتعلق أولهما ببنية الكلمة ، ويتصل ثانيهما بضبط الحرف الأخير فى بنية الكلمة ضبطا يكشف عن الموقع الإعرابى والوظيفة النحوية للكلمة فى الجملة .

وقد ختم المقدمة بتحديده التهجى الذى عنى به (تعديد الحروف بأسمائها مع حركاتها) [٢٧] ليجمع بذلك بين الحرف بوصفه تمثيلا كتابيا للصوت ، والحركة المصاحبة له بوصفها علامة على تغيير دلالات الحرف فى بنية الكلمة ، ومن ثم تغيير دلالات الكلمة .

---

(٢٦) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، المرجع السابق ، ص ٣ .

(٢٧) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، المرجع السابق ، ص ٤ .

إن بدء الدرس النحوى لدى جرمانوس بمجموعة من الأسس الصوتية التى تفيد فى تحديد النطق السليم والكتابة الصحيحة وبيان أساس تحديد مخارج الحروف ، يمثل مدخلا جديدا فى الدرس النحوى ، إذ لا نجد له نظيرا فى كتب المختصرات الصرفية والنحوية التراثية على اختلاف اتجاهاتها ، بل كانت هذه الكتب حين تعالج الجوانب الصوتية تعالجها فى ثنايا دراستها للمسائل الصرفية والنحوية .

ويمثل هذا جانبا أساسيا من الجوانب التى التفت إليها شوقى ضيف - بعد جرمانوس بما يصل إلى ثلاثة قرون إلا قليلا - سواء فى محاولته لتجديد النحو أو محاولته لتيسير النحو التعليمى ؛ ففى القسم الأول من « تجديد النحو » وضع ضيف فى فاتحته [بعض قواعد ضرورية لخدمة النطق السليم بكلم العربية وحروفها] (٢٨) ، وتناول فيه عددا من الظواهر الصوتية كبعض صفات الحروف والحركات وظواهر اللين والتشديد والتنوين ، والمد والإدغام ثم ألف الوصل وألف القطع (٢٩) ، فضيف إذن قد تناول الجوانب الصوتية التى تناولها جرمانوس فى مقدمة كتابه ، ثم زاد عليها عددا من الظواهر الصوتية التى رأى أهميتها فى تعليم النشء النطق الصحيح بوصفه مقدمة لدرس النحو العربى .

وإذا كان ضيف بمسعاه ذاك يتفق مع جرمانوس فرحات فى أن معرفة دارس النحو العربى عددا من الأسس الصوتية العامة وسيلة أساسية تمكن

---

(٢٨) شوقى ضيف : تجديد النحو ، دار المعارف ١٩٨٢ ، ص ٤١ .

(٢٩) انظر شوقى ضيف : تجديد النحو ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ، ص - ص ٤٩ - ٥٨ ، حيث يقدم ضيف هذه القواعد المشار إليها فى المتن ، وانظر : شوقى ضيف تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

الدارس من إتقان درسه العربية - فإن هناك أمرين يفرقان بين ضيف وجرمانوس فى هذا الجانب ، يتمثل أولهما فى أن تصور ضيف ضرورة بدء الدراسة النحوية بدرس بعض الأسس والجوانب الصوتية ليس هدفه مجرد مساعدة الدارس على النطق الصحيح فقط ، بل هناك - فيما يرى - ضرورة عملية تتمثل فى انفصال تعليم النحو العربى فى العصر الحديث عن تعلم تجويد القرآن [٣٠] .

وأما ثانى هذين الأمرين فيتمثل فى أن ثمة احتمالا كبيرا أن يكون ابتداء جرمانوس « نظامه » فى تعليم النحو العربى بدراسته بعض الجوانب الصوتية راجعا إلى تأثره بكتب تعليم اللغات فى إطار الحضارة الأوروبية ، وبطريقة تصنيف المستشرقين لمادة النحو العربى أو قواعد العربية فى إطار تعليمهم اللغة العربية [٣١] . (وسنتوقف بالتفصيل أمام ذلك الأمر فى موضع تال) .

---

(٣٠) انظر : شوقى ضيف : تجديد النحو، مرجع سابق ، ص - ص ٤١ - ٤٢ .

(٣١) يبدو من مراجعة عدد من كتب قواعد اللغة العربية التى ألفها المستشرقون أن هناك نمطا تأليفيا سائدا فيها ، يقوم على البدء بالدراسة الصوتية الموجزة ، تتبعها الدراسة الصرفية ثم النحوية ، ونمثل هنا بكتاب بلاشير :

- Blachere et Gaudefroy : Grammaire de L'Arab Classique, Paris 1952 .

فهو ينقسم إلى جزئين يعالج أولهما الصرف أو بنية الكلمة ، بينما يعالج الثانى النحو ، أو بنية الجملة ، ويبدأ القسم الأول بتناول الأصوات العربية ، ثم يدرس الضمائر الشخصية ، ويتبعها بدراسة صيغ الأفعال (أى الماضى والمضارع والأمر) ثم ينتقل إلى دراسة صيغ الأفعال المشتقة من الثلاثى ، ويتبع ذلك بدراسة الأسماء وصيغها ، ثم يتناول تصريف الأفعال مع الضمائر ، ثم يتناول صيغ الجمع ، ويكمل هذا الجزء بدراسة مختلف المسائل التى تدور فى إطار بنية الكلمة المفردة وصيغها (مثل مسائل التعريف والتنكير ، وأسماء الإشارة والظروف وأدوات النفى) .

وأما الجزء الثانى فيتناول مسائل النحو أو التركيب وقضاياه ، فيبدأ بتناول مسائل الفعل ، ثم ينتقل إلى تناول بنية العبارات البسيطة ويقصد دراسة تركيب الجملة الاسمية ، ثم الجملة الفعلية ، ودراسة النفى والاستثناء ويتبع ذلك بتناول تركيب وبنية العبارات المعقدة كالجمل القائمة على الروابط (مثل حتى - الفاء - الواو) والجمل الشرطية .

ويتجلى المبدأ الأساسى الحاكم لبنية هذا الكتاب فى ظاهرة أخرى هى تناول المؤلف للصرف أو التصريف ، فقد خصص جرمانوس فرحات الكتاب الأول من « بحث المطالب » لدراسة تصريف الأفعال ، وخصص الكتاب الثانى لتصريف الأسماء ، حيث درس فى هذين الكتابين كل ما يتعلق بمسائل تصريف الأسماء والأفعال ، سواء ما يتصل بالصيغ والمشتقات المختلفة أو ما يتصل بالتغيرات الصوتية والبنائية التى تتعرض لها تلك الصيغ [٣٢] .

وإذا كانت القضايا التى عالجها جرمانوس فى هذين الكتابين هى قضايا بنية الكلمة المفردة ، فإن وضع كتابى تصريف الأفعال والأسماء فى موضع يتوسط بين المقدمة المتصلة ببعض مسائل الدراسة الصوتية والكتاب الثالث الذى يقدم قواعد النحو ، إنما يؤكد أصالة المبدأ الأساسى الذى استند إليه جرمانوس فى تنظيم المجالات الأساسية للدرس النحوى عنده ، وهو مبدأ الانتقال من الوحدات البسيطة (= الأصوات) إلى الوحدات المركبة (= الكلمات) ثم الوحدات الأكثر تركيبا (= الجمل) .

وقد علل جرمانوس تقديمه الصرف / التصريف على النحو بقوله إن التصريف (له التقدم فى التعلم على النحو لأن الذى لا يعرف المفردات لا يعرف الإعراب الذى هو تغيير فى أواخرها) [٣٣] .

ويعد ذلك دالا من دوال التجديد فى بنية التأليف عند جرمانوس ، وهذا

---

(٣٢) انظر : بحث المطالب : ص - ص ٥ - ٧١ ، ٧٢ - ١٠٤ ، حيث يعرض جرمانوس تصريف الأفعال ثم تصريف الأسماء .

(٣٣) بحث المطالب فى علم العربية ، مع حواش عليه لمصححه المعلم سعيد الخورى الشرتونى ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٥ ، ص ١١ .

ما تكشف عنه مقارنة جرمانوس بالمؤلفات التراثية - لا سيما المختصرات النحوية والصرفية - ففي كتاب « الجمل في النحو » للزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) نجد أنه (بعد أن بدأ ببعض التقسيمات الصرفية تناول مجموعة من الأبواب النحوية ، يظهر في ترتيبها احتفاله بالعامل ، وشغلت هذه الأبواب الجزأين الأولين إضافة إلى بعض الجزء الثالث من الكتاب ، لكنها لم تخل من الإشارات الصوتية أو الصرفية ، ثم أتبعها طائفة من الأبواب الصرفية كالتصغير والنسب وألف الوصل والقطع ، والمؤنث والمذكر والأفعال المهموزة ، إضافة إلى أبواب في الهجاء وأحكام الهمزة في الخط ، واحتلت هذه أكثر الجزء الثالث وجانبا من الجزء الرابع ، وعاد في الجزء الأخير من الكتاب إلى عرض أبواب نحوية تدور في معظمها حول الأدوات واستخداماتها ، وأبواب الحكاية ثم عرض بقية الأبواب الصرفية كجمع التكسير وأبنية المصادر والأسماء والأفعال ، وختم كتابه بأبواب في الأصوات اللغوية كالإمالة والإدغام ، والإبدال ، والإعلال ، والحروف المجهورة والمهموسة) [٣٤]

وبينما كاد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) يقصر كتابه « اللمع في العربية » على تقديم معظم الأبواب النحوية فإنه قد عالج ثلاثة من أبواب الصرف وهي النسب والتصغير والإمالة ، ورغم أنه قدم هذه الأبواب الصرفية في آخر كتابه فإنه (ذكر خلالها بعض أبواب النحو) [٣٥] ، متابعا في هذا بعض أصحاب المطولات النحوية كسيبويه وغيره من النحاة العرب القدامى .

---

(٣٤) مقدمة على توفيق الحمد لكتاب الزجاجي : الجمل في النحو ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الأمل ، الأردن ، ١٩٨٤ ، ص - ص ١٠ - ٢١ .

(٣٥) حسين محمد محمد شرف : مقدمة تحقيقه لكتاب ابن جني : اللمع في العربية ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤٨ .

ولعل الأمر اللافت للانتباه - في سياق مسألة العلاقة بين التصريف والنحو - أن ابن جنى قد حد فى كتابه « المنصف » التصريف والنحو حدين دقيقين ، وبنى على ذلك تصوره لما يجب أن تبتدئ به الدراسة اللغوية ، ولكنه لما وجد أن نظام التأليف فى كتب النحاة يخالف تصوره « المنطقى » سعى إلى تبرير هذه المخالفة ، وهو يقول فى نص « ناصع » الدلالة إن (التصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة (. . . . .) وإذا كان كذلك ، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة ، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا بدئ قبله بمعرفة النحو ، ثم جئ به بعد ليكون الارتياض فى النحو موطئا للدخول فيه ، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه) (٣٦) .

وإذا كان ابن جنى لم يلتزم مبدأه ذلك فى كتابه « اللمع » فإن كتاب « ارتشاف الضرب من لسان العرب » لأبى حيان الأندلسى (ت ٧٤٥ هـ) يمثل النموذج الوحيد - فيما نعلم - فى التراث النحوى العربى الذى يؤسس للدرس النحوى بنية تقدم الدرس الصوتى ، وتتبعه بالدرس الصرفى ، وتتلوه بالدرس التركيبى ، فقد بدأ درسه بتحديد مخارج الحروف ، والصفات الصوتية للحروف ، ثم انتقل إلى دراسة « أحكام الكلم قبل التركيب »

(٣٦) ابن جنى : المنصف ، شرح كتاب التصريف للمازنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين : ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٤ : الجزء الأول : ص ٤ - ٥ .

ويقصد بها موضوعات التصريف وقضاياه ، على حين جعل من الدرس النحوى خطوة تالية تقوم على تحليل أحكام الكلم حالة التركيب (٣٧) .

ولكن « ارتشاف الضرب » واحد من كتب المطولات النحوية ، ولذا كان مؤلفه يكثر من عرض الآراء المختلفة فى مسائل التصريف والنحو ، كما كان يكثر من الشواهد والأمثلة والتفصيلات ، ولم يتح لهذا النموذج التأليفى أن يؤثر - فيما نعلم - فى النحاة التالين لأبى حيان الأندلسى .

ويمثل صنيع جرمانوس فى تقديمه درس الصرف على درس النحو تحقيقا لأصل المبدأ « التنظيمى » الذى شرحه ابن جنى ، كما كان صنيع فرحات جرمانوس استجابة لحاجات عملية لا تتصل بالنحو فقط ، بل تتصل أيضا بالبعد الأساسى فى عمليات الاتصال اللغوى ، شفاهيا كان أم كتابيا ، وهو تحقيق التواصل ونقل الأفكار والخبرات بين طرفى الاتصال ، مما يجعل من معرفة قواعد التصريف وأسسه أداة ضرورية للكشف عن معانى الكلمات فى المعاجم ، ومن ثم ييسر إمكانية التواصل اللغوى (وفهم النصوص العربية فى مستوياتها المختلفة) (٣٨) .

إن تقديم الدرس الصرفى على الدرس النحوى « بمعناه الضيق » يجعل من أولهما خطوة مؤسسة لثانيهما ، دون أن ينفى مع هذا أنهما يشكلان (كلا

---

(٣٧) انظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تأليف أبى حيان الأندلسى ، تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٩٨ .

(٣٨) محمد عيد : الصرف الواضح لبنية الكلمات العربية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٣ . الجزء الأول ، ص ٨ .

متكاملا وإن كان ذا جانبين أو مرحلتين) (٣٩) .

ومن اللافت للانتباه أن محاولات تجديد الدرس النحوى العربى في العصر الحديث لم يلتفت أصحابها إلى ضرورة تقديم الدراسة الصرفية على الدراسة النحوية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين (٤٠) ، وهذا ما يبدو بوضوح لدى أنيس فريحة في الخمسينيات ، ولدى شوقى ضيف في الثمانينيات ، فأنيس فريحة ينطلق من مبدأ مؤداه أن (قواعد أية لغة كانت وحدة تامة لا تتجزأ ، ويجب أن تدرس كوحدة ، وهذا ما يفرضه علينا منطق اللغة ذاتها) (٤١) ، ويؤسس على ذلك المبدأ مبدأ آخر يصفه بأنه التحليل العلمي للغة ، وهو المبدأ الكاشف عن تشكل اللغة من أربع مراتب - حسب مصطلحات فريحة - تتألف « منطقيا » من البسيط (= مرتبة الفونيمات) فالمركب (= مرتبة المقاطع) فالأكثر تركيبا (= مرتبة الكلام المفيد) ، فمرتبة الأساليب التعبيرية الفنية) ويؤكد أن (هذا أدق تحليل علمي لأية لغة ، وعلى هذه المراتب يجب أن يجرى تدريسها) (٤٢) ووضع (القواعد في ترتيب متناسق متصل يتمشى وروح اللغة) (٤٣) .

---

(٣٩) كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٧١ ، ص ٣١ .

(٤٠) يمكن أن نجد نموذجا لمتابعة جرمانوس فرحات فى تقديم الدرس الصرفى على الدرس النحوى فى كتاب التمرنة فى الأصول النحوية الذى أصدره يوسف داود الموصلى عام ١٨٦٩ ، وهو يقع فى جزأين يتناول المؤلف فى أولهما التصريف ، بينما يتناول النحو فى ثانيهما ، انظر الكتاب ، طبع دير الآباء الدومينكيين بالموصل ، الجزء الأول ١٨٧٥ ، الجزء الثانى ١٨٧٦ .

(٤١) أنيس فريحة : فى اللغة العربية وبعض مشكلاتها ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص٦٦ والاقتباس من فصل عنوانه : هذا الصرف وهذا النحو ، وقد نشره فريحة للمرة الأولى فى مجلة الأبحاث ، الجزء الأول ، آذار ١٩٥٥ .

(٤٢) أنيس فريحة : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٤٣) أنيس فريحة : نظريات فى اللغة ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٦٦ ، والاقتباس من فصل عنوانه « تيسير تعليم العربية » ، ونشير إلى أن فريحة قد طبق دعوته تلك فى مؤلفاته الخاصة بتعليم العربية منذ منتصف الخمسينيات ، ومنها : نحو عربية ميسرة ١٩٥٥ ، وتبسيط قواعد اللغة العربية على أسس جديدة ١٩٥٩ .

وحين تقدم شوقى ضيف بمحاولته لتجديد النحو وضع مسائل تصريف الأفعال فى القسم الأول من أقسام كتابه ، بينما وضع مسائل تصريف الأسماء فى القسم الثانى من أقسام كتابه ، حيث احتلت هذه المسائل نصف صفحات ذلك القسم (٤٤) ، وإن كان الأمر اللافت للانتباه هنا أن شوقى ضيف لم يطرح مبدأ نظريا يؤسس به لتقديم الدرس الصرفى على الدرس النحوى ، بينما قرر جرمانوس ذلك المبدأ بدقة منذ بداية القرن الثامن عشر ، الأمر الذى يمثل دالا من دوال تجديد الدرس النحوى لديه .

ومن اللافت للانتباه أن جمع جرمانوس بين الدرس الصوتى الموجز والدرسين الصرفى والنحوى يمثل علامة أخرى دالة على تجديده الدرس النحوى ؛ إذ يبدو ذلك الصنيع إحياء للمعنى الأصلى للنحو فى التراث العربى ، ذلك المعنى المطابق لعلم قواعد العربية بجوانبه الثلاثة : الأصوات والأبنية والتراكيب ، وهذا المعنى القار لدى سيبويه (ت ١٨٠ هـ) فى « الكتاب » والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) فى « المقتضب » والزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) فى « المفصل » ، ويختلف هذا المعنى عن المعنى الذى حدده متأخرو النحاة - ابتداء من الأشمونى (ت ٩٠٠ هـ) وغيره - للنحو ، فقد قصروه على قوانين الإعراب والبناء (٤٥) .

(٢ / ١ / ٢) تنظيم بعض أبواب النحو وفق منطق مبتكر

تتصل العلامة الثانية المشكلة للبنية الكبرى فى « بحث المطالب » بطريقة

---

(٤٤) انظر : شوقى ضيف : تجديد النحو : مرجع سابق ، ص - ص ٥٩ - ٨١ ، حيث يعرض ضيف أقسام الفعل وتصاريفه ، ص - ص ٨٥ - ١٠٨ ، يعرض أقسام الاسم وتصاريفه ، ص - ص ١٣٢ - ١٣٤ حيث يعرض مسألتى التصغير والنسب .

(٤٥) حول معانى النحو فى التراث النحوى العربى انظر : دراسة عبد الوارث مبروك سعيد : فى إصلاح النحو العربى ، دراسة نقدية ، الطبعة الأولى ، دار القلم : الكويت ١٩٨٥ ، ص - ص ١ - ٧ .

تنظيم بعض أبواب المادة النحوية من حيث تتابعها أو وضعها وفق منطق مختلف عن « المناطق » التى سادت كثيرا من كتب المختصرات النحوية . واللافت للانتباه أن عددا من كتب المختصرات النحوية التراثية كان منطق تنظيم الأبواب والموضوعات فيها يقوم على توالى الأبواب أو الموضوعات المتتابعة دون منطق رابط أو سببى يصل وصلا منطقياً ومتيناً بين الأبواب أو الموضوعات المتتابعة ، ويتجلى ذلك فى تداخل الموضوعات النحوية والصرفية والصوتية فى عدد من الأبواب المتتابعة من ناحية ، وتوالى الموضوعات النحوية (بالمعنى الضيق لمصطلح النحو) دون أن يكون ذلك التوالى قائما على صلة منطقية تربط بينها ، من ناحية ثانية . وهاتان علامتان دالتان على « اضطراب » هذا الجانب (أعنى جانب ترتيب موضوعات المادة النحوية أو تنظيمها) بوصفه جانبا من جوانب البنية الكبرى فى نمط التأليف ، وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح فى عدد من المختصرات النحوية ، منها : كتاب « الجمل » للزجاجى، وكتاب « التوطئة » للشلوبينى (ت ٦٤٥ هـ) وهى أكثر وضوحا فى الكتاب الثانى (٤٦) .

(٤٦) انظر : كتاب الجمل للزجاجى ، مرجع سابق ، وانظر أيضا : الشلوبينى (أبو على عمر بن محمد الأشبيلى) : التوطئة ، دراسة وتحقيق يوسف أحمد المطوع ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٨١ ، ففى « التوطئة » يجد القارئ بعد أبواب الكلام والمعرب والمبنى وعلامات الإعراب أن الباب التالى لها هو باب الأفعال بالنسبة للزمان ، يليه باب الجوازم الذى يتصل ببعض أنماط الأفعال ، ويليه باب المثنى الذى يعد دراسة نحوية وصرفية ، ويعقبه باب الفاعل ؛ ثم باب المفعول فباب الموصولات الاسمية (= الأسماء الموصولة) ؛ ويليه باب النعت (الذى يعد من التوابع) ويليه بابا المضمر والعلم ، ثم ينتقل المؤلف إلى تناول بابين من أنواع التوابع وهما بابا التوكيد والبدل ، ثم يعود لتناول بابين من أنواع التوابع وهما بابا التوكيد والبدل ؛ ثم يعود لتناول الفعل فيقدم بابين أحدهما للفعل المتعدى والفعل غير المتعدى ؛ وثانيهما لتعدى الفعل ، ثم يتناول الظرف فالحال فى بابين متواليين لينتقل بعد ذلك إلى تناول المبتدأ أو الخبر وبعض الأبواب التى تتصل بهما .

وإذا كان بروز الظاهرة السابقة في عدد من كتب المختصرات النحوية التراثية قد يرد إلى تصور مؤلفيها عدم حاجة قراء كتبهم إلى بنية تأليفية قائمة على منطق متماسك ، فإن اللافت أن لغويا وبلاغيا تراثيا كعبد القاهر الجرجاني قد أسس القسم الأكبر من كتابه « كتاب الجمل في النحو » على فكرة العامل الظاهر اللفظي مميزا بين عوامل الأفعال وعوامل الحروف وعوامل الأسماء (٤٧) .

وينهض صنيع عبد القاهر ذاك دالا على مسعاه إلى تأسيس توالي عدد من الأبواب أو الموضوعات النحوية على منطق متماسك ، ويبدو أن هذا المسعى دال من دوال التجديد في بنية التأليف في عدد من المحاولات الحديثة لتجديد الدرس النحوي العربي ، وهذا ما نستطيع أن نتبينه بوضوح من الوقوف أمام عدد من نماذجه في « بحث المطالب » « والتحفة المكتبية » « وتجديد النحو » وهي نماذج النواسخ والمنصوبات والمرفوعات .

ولعل ما تجب الإشارة إليه بداية أن كلا من جرمانوس فرحات ورفاعة الطهطاوي لم يصرحا بأي أساس من الأسس التي دفعتهما إلى تنظيم بعض أبواب النحو أو موضوعاته بالكيفية التي اتبعاها ، مما يعني أن قارئ كتابيهما عليه السعي لاستنباط تلك الأسس ، على حين وضع شوقي ضيف لتجديده الدرس النحوي عدة أسس يهمنا منها ، في هذا السياق ، مبدأ إعادة تنسيق

---

(٤٧) انظر : عبد القاهر الجرجاني : كتاب الجمل في النحو ، شرح ودراسة وتحقيق يسرى عبد الغني عبد الله ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ ، ص - ص ٧٥ - ٩٥ .

أبواب النحو الذى جعله يدعو إلى حذف بعض الأبواب ، بمعنى عدم استقلالها ، وضم بعض الأبواب إلى أبواب أخرى لصلة بينها محاولا أن يعلل دعوته تلك فى دراسته لعدد من أبواب النحو (٤٨) .

ويمكن عرض موضوعات النواسخ فى « بحث المطالب » و « التحفة المكتبية » و « تجديد النحو » مع الحفاظ على طريقة الترتيب داخل كل منها إذ قد تحمل تلك الطريقة دلالة ما (٤٩) .

جدول (١) النواسخ

م	بحث المطالب	التحفة المكتبية	تجديد النحو
١	الأفعال الناقصة	كان وأخواتها جزء من المرفوعات	وضعت فى باب الحال .
٢	أفعال المقاربة	كاد وأخواتها جزء من باب المرفوعات .	كاد وأخواتها جزء من قسم « مفعول به واحد » فى إطار باب المفعول به .
٣	ما ولا ولات المشبهات بليس	الحروف المشبهة بليس جزء من باب المرفوعات .	حذفت حذفا واجبا دون ردها لأبواب أخرى فى النحو .
٤	إن وأخواتها (الحروف المشبهة بالفعل)	اسم إن جزء من المنصوبات وخبرها جزء من المرفوعات .	إن وأخواتها جزء من المرفوعات .
٥	لا النافية للجنس	لا النافية للجنس جزء من المنصوبات .	لا النافية للجنس جزء من المرفوعات .
٦	أفعال القلوب (ومنها ما ينصب مفعولين ، ومنها ما ينصب ثلاثة مفاعيل)	ما يتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة مفاعيل جزء من المفعول به فى إطار المنصوبات .	مثل التحفة المكتبية .

(٤٨) انظر : شوقى ضيف : تجديد النحو ، مرجع سابق ، ص - ص ١١ - ٢٣ .
(٤٩) انظر : موضوعات النواسخ فى المصادر الثلاثة على النحو التالى :
- بحث المطالب ص - ص ١٤٤ - ١٦٠ .
- التحفة المكتبية ص - ص ١٤٩ - ١٥٣ ؛ ١٩٢ - ١٩٧ ؛ ٢٣٦ - ٢٤٥ ؛ ص ٤١٨ على التوالى .
- تجديد النحو ص -ص ١٤٥ - ١٤٩ ؛ ١٥٠ - ١٥٢ . ١٦٥ - ١٦٦ .

إن تأمل هذا الجدول يكشف عن النتائج التالية :

أ - جعل جرمانوس فرحات من الموضوعات التى يضمها الجدول موضوعا واحدا سماه النواسخ وخصص له قسما بنفس العنوان ، استنادا إلى أن هذه النواسخ [تدخل على المبتدأ والخبر وتغيرهما لفظا ومعنى ، فالتغيير اللفظى هو نقل الإعراب من حال إلى حال ، والتغيير المعنوى هو نقل الحدوث من زمن إلى زمن ، ومن جواز إلى وجوب ، وغير ذلك] (٥٠) .

وتأمل هذا التعليل يكشف عن أن منطق الجمع بين هذه النواسخ يقوم عنده على سببين هما : تشابه هذه العوامل أو اشتراكها فى وظيفة واحدة هى النسخ ، ثم دخولها على نمط واحد من أنماط الجمل وهو نمط الجملة الاسمية . مما يشير إلى أن أساس ضم الأبواب الستة معا فى إطار النواسخ يتمثل فى فكرة العامل و نمط الجملة معا .

ب - يبدو وضع الطهطاوى للنواسخ قائما على منطق الحالة الإعرابية ، ولذا وضع الأبواب / الموضوعات الأربعة الأولى من النواسخ فى إطار المرفوعات على حين وضع البابين الأخيرين منها فى إطار المنصوبات . ولكن مشكلة تقسيم الطهطاوى تتمثل فيما أدي إليه من فصل عناصر بعض أنماط الجملة الواحدة ومعالجتها فى أبواب مختلفة ، فاسم كان وأخواتها واسم كاد وأخواتها عولجا فى باب المرفوعات ، فى حين عولج خبرهما فى باب المنصوبات ، وذلك على العكس من إن وأخواتها التى عولج اسمها فى باب المنصوبات أما خبرها فعولج فى باب المرفوعات .

ج - تبدو محاولة شوقى ضيف فى تنظيم هذه الأبواب ذات دلالاتين ؛ أولاهما تشير إلى تشابهه مع الطهطاوى ، فقد وضع أفعال القلوب فى إطار المفعول به فى قسم المنصوبات ، بينما اختلف عنه فى معالجته « كاد

(٥٠) بحث المطالب : ص ١٤٤ .

وأخواتها » في إطار المفعول به الواحد في قسم المنصوبات ، وتناول « إن وأخواتها » «ولا النافية للجنس » في إطار باب المرفوعات .

وأما ثاني الدلالتين فتتمثل في نقل شوقي ضيف باب الأفعال الناقصة إلى باب الحال أخذا برأى الكوفيين في النظر إلى اسم « كان وأخواتها » باعتباره فاعلا ، بينما عدوا خبرها حالا ، كما رأى ضيف أن باب « ما ولا ولات العاملات عمل ليس » باب واجب الحذف دون حاجة إلى رده لباب آخر من أبواب النحو [٥١] . ولعل تلك الدلالة الثانية تشير إلى جرأة محاولة ضيف في تجديد النحو العربي .

أما باب المنصوبات فيمكن مقارنته في المصادر الثلاثة[٥٢] على النحو التالي :

ويكشف تأمل هذا الجدول عن النتائج التالية :

جدول (٢) المنصوبات

م	بحث المطالب	التحفة المكتبية	تجديد النحو
١	المفعول المطلق	المفعول به	المفعول به
٢	المفعول به	المفعول المطلق	المفعول المطلق
٣	المفعول فيه	ظرف المكان وظرف الزمان	المفعول فيه
٤	المفعول له	الحال	المفعول له
٥	المفعول معه	التمييز	المفعول معه
٦	المنادى	المستثنى	الاستثناء
٧	الاستثناء	اسم لا النافية للجنس	الحال
٨	الحال	المنادى	التمييز
٩	التمييز	خبر كان وأخواتها واسم إن	النداء
١٠	أفعل التفضيل	المفعول من أجله	ضم أفعل التفضيل إلى التمييز
١١	الكنايات	المفعول معه	ضم الكنايات إلى باب التمييز
١٢	اسم العدد	النعت	عالجه موضوعا مستقلا .
١٣	التحذير والإغراء	الفعل المضارع	موضوع مستقل .
			وضع ضيف التحذير والإغراء في إطار باب الذكر والحذف .

(٥١) شوقي ضيف : تجديد النحو ص - ص١١ - ١٤ ، حيث يتناول مسألة كان وأخواتها ، ص -ص ١٤ - ١٥ حيث يتناول مسألة إلا ولات المشبهات بليس .

(٥٢) انظر : باب المنصوبات في المصادر التالية : بحث المطالب ص ١٦٠ - ١٩١ ، التحفة المكتبية ص - ص ١٨١ - ٢٧٩ ، تجديد النحو ص - ص ١٦٣ - ١٩٧ .

أ - يستند وضع جرمانوس للأبواب التي يضمها قسم المنصوبات عنده إلى فكرة العامل في النصب ، فما يجمع هذه الأبواب معا هو كونها صيغا لازمة النصب كما أنها - فيما عدا الكنايات - أسماء ، على حين ضم قسم المنصوبات عند الطهطاوي الفعل المضارع المنصوب .

ب - يستند ترتيب أبواب المنصوبات لدى جرمانوس فرحات إلى تمييزه بين نمطين منهما وهما : المنصوبات الأصلية وتشمل المفعولات الخمسة ثم المنصوبات الملحقة بالأصل وتشمل الأبواب الثمانية التي يضمها هذا القسم ، فالترتيب لديه قائم على فكرة الأصل والفرع ، مع تقديم الأصل وإتباع الفرع له (٥٣) ويبدو أن هذه الفكرة لم تكن واضحة في تصور الطهطاوي لترتيب المنصوبات حيث تناثرت أنماط المفعولات لديه وسط أنماط المنصوبات الأخرى .

ويبدو لافتا للانتباه أن يستمد جرمانوس تمييزه بين نمطين من المنصوبات من عدد من النحاة العرب القروسطيين كالزمخشري في « الأنموذج » وابن هشام في « شذور الذهب » ؛ فكلاهما وضعا المفاعيل الخمسة في إطار المنصوبات الأصلية ، في حين جعلا من المنصوبات الأخرى منصوبات فرعية تحمل على الأصل وتلحق به (٥٤) .

(٥٣) قد يبدو هذا الترتيب قريبا من ترتيب ابن جني في اللمع لما أسماه « معرفة الأسماء المنصوبة » حيث قسمها إلى ضربين هما مفعول وشبيه بالمفعول ، وعلى حين شمل الضرب الأول المفاعيل الخمسة ، فقد شمل الضرب الثاني : الحال والتمييز والاستثناء ، وأسماء إن وأخواتها ، ثم أخبار كان وأخواتها ، والملاحظ أن الاختلاف الشديد بين ترتيبي جرمانوس وابن جني يظهر في الضرب الثاني خاصة ، انظر اللمع ، مرجع سابق ، ص - ص ١٣١ - ١٥٤ .

(٥٤) انظر : الأردبيلي (جمال الدين محمد بن عبد الغني) : شرح الأنموذج في النحو للزمخشري ، حققه وعلق عليه حسني عبد الجليل ، مكتبة الآداب ١٩٩٠ ، ص ٤٠ .

وانظر أيضا : ابن هشام الأنصاري : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة العاشرة ، المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢١٣ .

وعلى الرغم من ذلك فقد عدل جرمانوس من وضع بعض الأنماط المنصوبة التي وضعها الزمخشري وابن هشام في إطار المنصوبات الفرعية ؛ إذ استبعد اسم إن واسم لا النافية ، وخبر كان وأخواتها ، وخبر ما ولات اللتين بمعنى ليس ، والفعل المضارع المسبوق بناصب من النواصب ، من ذلك الإطار ، على حين حافظ الطهطاوي على وضعها في إطار المنصوبات (٥٥) .

ج - يلتقي شوقي ضيف مع جرمانوس في تقديمه المفعولات الخمسة على الأبواب الأخرى في قسم المنصوبات ، وإذا كان ضيف قد التقى بالطهطاوي في تقديم المفعول به على بقية المفعولات ، ووضعه على رأس قائمة المنصوبات فإن تقديم جرمانوس فرحات للمفعول المطلق على المفعول به يمكن فهمه بوصفه نتاجا لتقديمه المصدر على الفعل في الاشتقاق (٥٦) مما يتطلب تقديم المفعول المطلق - على غيره من المفاعيل - لكونه صيغة المصدر أو ما ينوب عنها .

د - يمكن وصف نمط تنظيم باب المنصوبات في « بحث المطالب » بأنه يبدو أكثر دقة من مثيله في « التحفة المكتبية » ، فهو - فضلا عن النتائج السابقة - يتلافى ما يبدو في « التحفة المكتبية » من معالجة جزء من جملة « كان » وجزء من جملة « إن » في باب المنصوبات ، ووضع حالة من حالات النعت في ذلك الباب .

---

(٥٥) انظر : شرح الأنموذج ، المرجع السابق ، ص - ص ٥٧ - ٦٥ ، شذور الذهب ، المرجع السابق ، ص - ص ٢٦٧ - ٣١٦ ، وقارنها ببحث المطالب ، ص - ص ١٦٠ - ١٩١ .

(٥٦) انظر : بحث المطالب ، ص ٧ ، ونشير إلى أن الزمخشري قد قدم في « الأنموذج » المفعول المطلق على غيره من المفاعيل .

إن كل النتائج التى تكشف عنها مقارنة بابى المنصوبات والنواسخ فى بحث المطالب بالتحفة المكتبية تتجلى معظمها أيضا فى مقارنة قسم المرفوعات بهما (٥٧) .

إن النتيجة الأساسية التى تتبدى من دراسة طريقة جرمانوس فرحات فى تنظيم بعض الأبواب النحوية مقارنة بطريقة الطهطاوى تشير إلى أن تنظيم المادة النحوية فى أقسام يشير إلى أن وضع عدد من الأبواب متوالية تواليا قائما على منطق سببى أو متماسك يمثل فارقا دالا بين « بحث المطالب » و « التحفة المكتبية ».

وتمثل هذه النتيجة المرتبطة بكيفية ترتيب عدد من الأبواب النحوية لدى جرمانوس دالا على منهجية حديثة تسعى إلى التغلب على ما ساد كثيرا من المؤلفات النحوية التراثية - سواء أكانت مطولات أم مختصرات - من اضطراب فى تنظيم المادة النحوية (٥٨) .

وهذه النتيجة تشير إلى أن طريقة التغيير أو التعديل فى تنظيم الأبواب النحوية داخل مؤلف ما قد تكون دالا من دوال التجديد أو التقليد فيه ، إذ إن هذا الدال ليس إلا علامة من العلامات المشكلة للبنية الكبرى فى نمط التأليف .

(٥٧) انظر باب المرفوعات فى مواضعه من المصادر التالية :

- بحث المطالب : ص - ص ١٣٢ - ١٣٧ حيث شمل : الفاعل ونائب الفاعل ، ثم المبتدأ والخبر .
- التحفة المكتبية : وقد شمل الأبواب التالية : الفاعل ، نائب الفاعل ، المبتدأ والخبر ، اسم كان وأخواتها وما ألحق بها ، خبر إن وأخواتها ، المرفوعات من التوابع ، الفعل المضارع الذى لم تتصل به نون التوكيد ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٨١ .
- تجديد النحو ، وقد شملت المرفوعات : المبتدأ والخبر ، إن وأخواتها ، لا النافية للجنس . الفاعل ، ثم نائب الفاعل ، ص - ص ١٣٥ - ١٦٠ .

(٥٨) انظر : حسن عون : تطور الدرس النحوى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠ . ص - ص ٨٥ - ٨٨ حيث يرصد أسس تصنيف المادة النحوية فى عدد من كتب التراث النحوى ، ويكشف عما فى عدد منها من اضطراب وغموض .

(٣ / ١ / ٢) البنيـة الصغـرى :

تمثل البنية الصغرى علامة من علامات بنية التأليف « القارة » في « بحث المطالب » وتبدو أهمية تلك العلامة في كونها كاشفة عن طريقة تنظيم المادة اللغوية أو النحوية داخل الوحدة الصغرى في التأليف ، وهي التي تسمى « المطلب » في مصطلحات التأليف عند جرمانوس فرحات .

وإذا كان كتاب « بحث المطالب » ينقسم إلى ثلاثة كتب تقدم على التوالي : تصريف الأفعال ، فتصريف الأسماء ، ثم قواعد النحو ، فإن كل كتاب منها ينقسم بدوره إلى عدة أقسام ، على حين ينقسم القسم الواحد إلى عدة أبحاث ، بينما يتفرع البحث إلى عدد من المطالب التي يزيد عددها أو يقل تبعا لمادة الموضوع النحوي الذي يعرض فيه .

وإذا كانت كل الأقسام السابقة (الكتاب ، القسم ، البحث ، المطلب) تحمل عناوين تشير إلى المواد التي تقدمها أو تعالجها ، فإن كلا من « الأقسام » و « الأبحاث » تحمل عناوين دون أن تتضمن مادة أو موادا تشرحها ، بينما وضعت المواد كلها داخل المطالب فقط . وتشتمل هذه المواد على القواعد النحوية والصرفية وشروحها أو أمثلتها .

فالمطلب يشكل إذن الوحدة الصغرى والأساسية في بنية التأليف في « بحث المطالب » ، ويكشف تأمله عن كونه حاملا لدال من دوال التجديد في الدرس النحوي عند جرمانوس ؛ إذ تقوم بنيته على الانتقال من العام إلى الأقل عمومية ومنه إلى الخاص ، فيبدأ المطلب بتعريف الموضوع أو الظاهرة ، ثم

يتلوه تقديم الشروط أو الحالات المرتبطة بالموضوع أو الظاهرة ، وفى كل منهما يتم تقديم أمثلة قليلة دائما ، ويُخْتم المطلب أحيانا بتنبيه يؤدى عددا من الوظائف المتغيرة .

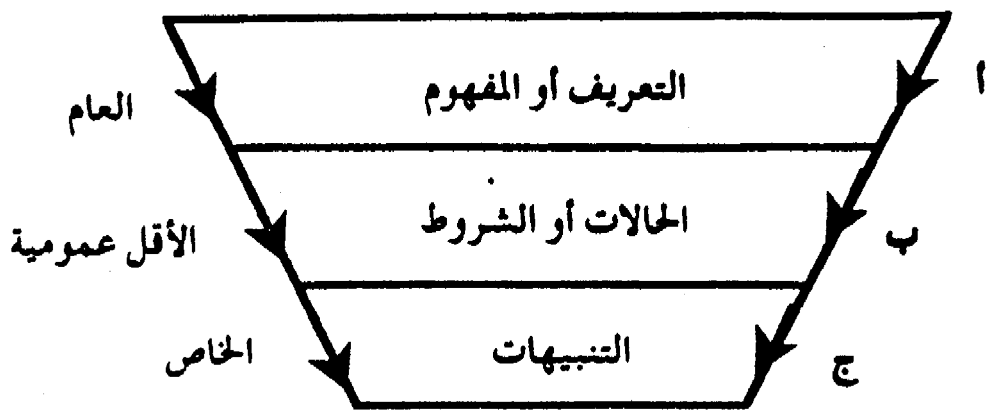
إن باب المبتدأ والخبر - على سبيل المثال - يتضمن عشرة مطالب تمضى على النحو التالى : تعريف المبتدأ والخبر ، تعريف المبتدأ والخبر وتنكيرهما ، اشتقاق الخبر وجموده ، الخبر الجملة ، ما يسد مسد الخبر ، رتبة المبتدأ والخبر ، جواز تقديم الخبر أو تأخيره ، وجوب تأخير الخبر ، تضمين المبتدأ معنى الشرط ، وقوع الخبر النكرة بعد تمام المبتدأ والخبر ، حذف كل من المبتدأ والخبر ثم حروف الفصل [59] .

وتمثل هذه المطالب الموضوعات المختلفة التى يعالجها النحاة العرب القدماء فى إطار درسهم لباب المبتدأ والخبر ، وإذا كان صنيع جرمانوس فى هذا التنظيم يصله بمؤلفات النحاة العرب القدامى فإن إضافته الدالة تكشف عنها بنية المطلب بوصفه الوحدة الصغرى فى التأليف ، وثمة علامتان فرعيتان تحملهما هذه البنية لدى جرمانوس ، وهما المنطق المتدرج ، والخلو من الاستطراد .

إن معنى المنطق المتدرج فى بنية المطلب يتصل بتأسيسه على الانتقال من العام والأساسى (= تقديم المفهوم أو التعريف) ، ثم الانتقال إلى الجانب الأقل عمومية (الذى يتمثل فى الشروط والحالات) ، ثم الانتهاء إلى الخاص (الذى يتمثل فى تنبيه واحد أو أكثر) ، ويمكن تمثيل هذه البنية على النحو التالى :

---

(١) انظر : بحث المطالب ، مرجع سابق ، ص - ص ١٣٧ - ١٤٢ .



وتبدو هذه البنية (بنية المطلب) قائمة على منطق مختلف عن منطق تنظيم الكتاب ؛ فإذا كانت بنية الكتاب قائمة على الانتقال من الوحدات الصغرى إلى الوحدات الوسطى ، والانتهاء بالوحدات الكبرى ، فإن بنية المطلب تقوم على منطق معاكس يتصل بطبيعة تأليف المطلب ووظيفته في إطار بنية الكتاب . وبعبارة شارحة : لا يخلو أى مطلب من تعريف أو مفهوم أساسي يحكمه ، على حين تخلو بعض المطالب من تعدد الحالات (نتيجة وضعها في بنية موضوعات النحو العربي) بينما تخلو كثير من المطالب من التنبيهات (وستتضح في فقرة تالية الأهمية القصوى التي تحملها التنبيهات بحضورها أو بغيابها عن المطالب) .

إن متابعة هذه البنية الصغرى وتجلياتها المختلفة في كتاب « بحث المطالب » تكشف عن اتصافها لدى جرمانوس بالصرامة التي تعني - فيما نرى - أنها دال كاشف عن انشغال المؤلف في صياغته لكل مستوى من مستويات هذه البنية بموضوع ذلك المستوى ، أى أنه لا يستطرد إلى

تناول التعريفات أو المسائل الجزئية أو الخلافية بين النحاة ، ولا يكثر من الشواهد أو الأمثلة .

وتعد تلك الصرامة فى تنظيم المادة المدروسة وتقديمها علامة فارقة تميز « بحث المطالب » عن عدد من كتب المختصرات النحوية والصرفية فى التراث العربى ، حيث يبرز الاستطراد فى عرض المادة النحوية أو الصرفية ؛ ففى كتاب « الجمل فى النحو » يستطرد الزجاجى فى الإكثار من الأمثلة والشواهد ، كما يطيل أحيانا فى عرض خلافات النحاة ومناقشتها وترجيح بعضها [٦٠] ، وأما الميدانى (ت ٥١٨ هـ) فكان ينحو فى كتابه « نزهة الطرف فى علم الصرف » إلى الاستطراد فإذا تعرض (أثناء التصريف لقضية صرفية استطرد فى تفصيلها وبيان الخلاف مرجحا ما يراه مرجحا بالشواهد والبراهين) [٦١] .

وإذا كانت البنى الصغرى فى « بحث المطالب » تتصف بالصرامة فإن التنبيهات التى كان جرمانوس فرحات يقدمها فى نهاية عدد من المطالب الصرفية والنحوية مثلت وسيلة تأليفية تحقق وظائف مختلفة تتصل جميعها بهدف « بحث المطالب » . وهذا ما يمكن توضيحه بتأمل عدد من « التنبيهات » فى مواضعها من « المطالب » التى وردت فيها لاستكشاف وظائفها .

---

(٦٠) انظر : مقدمة تحقيق على توفيق الحمد لكتاب الجمل فى النحو ، مرجع سابق ؛ ص - ص ١٩ - ٢٠ .

(٦١) السيد محمد عبد المقصود درويش : مقدمة تحقيقه لكتاب الميدانى : نزهة الطرف فى علم الصرف ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٢ ، ص ٤١ .

فالتنبيه قد يكون وسيلة لتعميم القاعدة ، على نحو ما يبدو فى نهاية مطلب « تصريف الضمير المتصل » مع الفعل الماضى ، حيث يقول جرمانوس بعد أن عرض القاعدة ومثل لها (قس على تصريف هذا المطلب كل ماض ثلاثي وغير ثلاثي ، معلوما أو مجهولا)(٦٢) .

ويستخدم التنبيه أحيانا لتقييد القاعدة العامة ؛ ففي نهاية عرضه للاسم الممنوع من الصرف بسبب العلمية وعلة أخرى يقدم تنبيهين لتقييد بعض القواعد العامة التى عرضها ، وهما (إذا كان المؤنث المعنوى ثلاثيا ساكن الوسط جاز فيه الصرف وعدمه مثل هند) و (وإذا كان العلم ثلاثيا ساكن الوسط جاز فيه الصرف وعدمه مثل نوح وشيث ولوط وسام)(٦٣) .

وفي مواضع أخرى يستخدم جرمانوس التنبيه وسيلة لبيان أنماط ظاهرة ما ، فقد أنهى تناوله لمطلب « استتار الضمير » بالتنبيه على أن (استتار الضمير جائز وواجب ، فالجائز هو وهى ، والواجب ما سوى ذلك)(٦٤) .

ويستخدم التنبيه - فى سياقات أخرى - للتفريق بين أمور أو صيغ قد تلتبس كاشفا عن كيفية فك هذا الالتباس ؛ ففى نهاية تناوله لاشتقاق اسمى الفاعل والمفعول من صيغ مختلفة يقدم التنبيه التالى (يلتبس اسم الفاعل واسم المفعول فى وزن تفاعل وافتعل وانفعل ، تقول متماد وممتد ومنمد ، وفيهما يعرف بالقرائن)(٦٥) .

وبعض التنبيهات لدى جرمانوس كانت وسيلة لاستكمال جانب من جوانب القاعدة العامة التى شرحها ، ففى تناوله لحذف المفعول المطلق قدم تنبيها يرى أن (كل مصدر جاء مؤكدا لعامله ، وعامله محذوف فهو منصوب

---

(٦٢) بحث المطالب ، ص ٢١ .
(٦٣) بحث المطالب ، ص ١٢٣ .
(٦٤) بحث المطالب ، ص ٢٣ .
(٦٥) بحث المطالب ، ص ٤٠ .

على أنه مفعول مطلق ، مثل أيضا ، والتقدير أضت أيضا) [٦٦] .

ويستخدم التنبيه وسيلة لتحديد الضرورات التي تباح للشاعر ، كما يظهر في نهاية درسه للاسم المنادى المفرد ، إذ يقدم تنبيها يقول فيه : (إذا اضطر الشاعر إلى تنوين المنادى العلم جاز له أن ينونه رفعا ونصبا) [٦٧] .

وقد جعل جرمانوس التنبيه أحيانا أداة لتصحيح خطأ من الأخطاء الشائعة ؛ إذ أنهى تناوله لمسألة تصريف الظرف وانصرافه بالتنبيه على أن (عند لا يدخلها من حروف الجر سوى من فقط ، وقول العامة سرت إلى عنده خطأ ، والصواب : سرت إليه) [٦٨] .

وقد وردت لدى جرمانوس تنبيهات أخرى في مواضع مختلفة من « بحث المطالب » أدت وظائف شبيهة بالوظائف التي استنبطناها من الأمثلة السابقة [٦٩] .

وإذا كان جرمانوس قد استمد مصطلح «التنبيه» من عدد من مؤلفي الكتب النحوية التراثية -كابن هشام في «مغني اللبيب» والأشموني (ت ٩٠٠ هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك ، والصبان (ت ١٢٠٦ هـ) في حاشيته على شرح الأشموني للألفية [٧٠] ، فإن اعتماده على هذا المصطلح في تشكيل

---

(٦٦) بحث المطالب ، ص ١٦٢ .

(٦٧) بحث المطالب ، ص ١٧٣ ، وانظر أيضا : ص ١٢٤ ، حيث يقدم المؤلف التنبيه التالي : (متى أضيف الغير منصرف أو عرف بأل صرف ، ويجوز للشاعر عند الضرورة أن يصرف مالا ينصرف) .

(٦٨) بحث المطالب ، ص ١٦٩ .

(٦٩) انظر التنبيهات المقدمة في الصفحات التالية من بحث المطالب :
٢٢ ، ٣٨ ؛ ٤٧ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٧٠) انظر : ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق حنا الفاخوري ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٢ .
- الصبان (محمد بن علي أبو العرفان) : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمود بن الجميل ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصفا ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص - ص ٢٧٢ - ٢٧٣ على سبيل التمثيل .

البنية التأليفية الصغرى لا ينفصل عن سعيه إلى ضبط تلك البنية وإحكام صرامتها .

إن البنى الصغرى فى كتاب « بحث المطالب » تعد - بقيامها على المنطق المتدرج واتصافها بالصرامة - دالا من دوال التجديد فى التأليف فى كتاب « بحث المطالب » .

ويبدو لنا أن نمط التأليف بعلاماته المتعددة فى « بحث المطالب » يمثل الظاهرة الأولى والأساسية من ظواهر تجديد الدرس النحوى فى هذا الكتاب « المجهول » .

(٢ / ٢) المصطلحات بوصفها علامات :

يمثل استخدام المصطلحات وتحديد دلالاتها فى إطار موضوعات « بحث المطالب » ظاهرة من الظواهر الكاشفة عن تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس ، وإذا كان المصطلح لفظا مفردا أو عبارة مركبة ذات دلالة تتسم بالتحديد وبالوضوح [٧١] ، فإن بنيته ودلالته علامتان على « منهجية » المستخدم له وطريقته فى التفكير ، وتصوره لجوانب المادة التى يعالجها فى مصنفه أو فى كتاباته المتخصصة ، ودال على تصوره للحدود الفاصلة بين جزئيات المادة وموضوعاتها المتشابهة ، وإشارة إلى إدراكه للصلات أو العلاقات التى تربط بين بعض موضوعات المادة وجزئياتها .

وتشير هذه الجوانب إلى أن المصطلح علامة ذات دلالات متعددة تمارس

(٧١) انظر : محمود فهمى حجازى : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . بدون تاريخ . ص - ص ١١ - ١٢ .

حضورها وفاعليتها على أكثر من مستوى من مستويات تشكيل المادة المدروسة وضبطها .

ولقد قام الدرس النحوى لدى كل من الطهطاوى وجرمانوس فرحات على عدد كبير جدا من المصطلحات النحوية والصرفية ، وإذا كان ذلك الملمح يعود إلى طبيعة علم النحو بوصفه واحدا من أكثر العلوم التراثية اعتمادا على تقسيم العناصر وتفريعها وتحديد الجزئيات وتصنيفها - فإن طبيعة المرحلة التى ينتمى إليها كل من جرمانوس فرحات والطهطاوى قد فرضت على كل منهما أن يقيم درسه النحوى - فى جانبه الاصطلاحى - على استمداد مصطلحاته من التراث النحوى العربى ، ومن هنا لا تعد عملية رد هذه المصطلحات إلى أصولها الأولى عملية ذات جدوى كبيرة ؛ لأن طبيعة الدراسة النحوية فرضت على جرمانوس فرحات والطهطاوى إعادة استخدام المصطلحات الموروثة دائما ، لكن ما كان يستطيعان عمله هو اختيار بعض الإمكانات المتاحة ، أو تعديل بعض الإمكانات القائمة من منظور إدراكهما عدم وفاء المصطلحات القديمة بالتحديد الدقيق لهذا العنصر أو ذاك من عناصر المادة النحوية .

وسنتوقف عند بعض المصطلحات التى استخدماها لنقارن بينهما ، ونخلص فى النهاية - إلى دوال استخدام المصطلح النحوى لدى جرمانوس فرحات مقارنة بالطهطاوى ، وتنصب المقارنة على عينة « قليلة » من المصطلحات وهى : الكلمة ، والظرف ، وعلامات الاسم ، ونائب الفاعل ، وعوامل الرفع ، والمفعول لأجله ، ثم الحال .

عرف جرمانوس فرحات الكلمة فى اصطلاح النحاة بأنها (لفظ وضع

لمعنى مفرد ، فاللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية) [٧٢] بينما عرف الطهطاوى الكلمة بأنها (قول مفرد مؤلف من حروف المبانى ، التى هى حروف الهجاء ألف باء إلى آخرها) [٧٣] . وإذا كان الطهطاوى وجرمانوس يتفقان في وصف بنية الكلمة بتحديد الوحدات الصغرى التى تؤلفها ، وهى الحروف ، فإن أهمية تعريف الكلمة عند جرمانوس تتمثل فى ضمه جانب الدلالة (دلالة الكلمة) إلى تعريفها مما لا يجعل تعريفه شكليا فقط ، على العكس من تعريف الطهطاوى الذى توقف عند الجانب الشكلى ، ولم يكشف عن البعد الدلالى للكلمة - بوصفها مصطلحا نحويا - إلا فى شرحه لأقسام الكلمة [٧٤] .

وتبدو عناية جرمانوس بإبراز الدلالة بوصفها جزءا من تعريف الموضوع أو الظاهرة سمة متواترة فى تعريفات أخرى كما يبدو فى تعريفه للظرف بأنه (المفعول فيه ويسمى الظرف ، وهو كل اسم مكان أو زمان حدث فيه فعل وتضمن معنى) [٧٥] .

على حين يبدو الجانب الدلالى الدال على وظيفة الظرف غائبا عن تعريفه لدى الطهطاوى الذى ينص على أن (المفعول فيه هو الظرف الذى يقع فيه الفعل) [٧٦] .

وأما فى تعريف علامات الاسم فيفرق جرمانوس فرحات بين علاماته اللفظية (وهى عنده دخول لام التعريف ، ودخول حروف الجر والتنوين) وعلاماته المعنوية التى يصفها بأنها (واحدة وهى الإخبار عن الاسم نحو :

---

(٧٢) بحث المطالب ، ص ١٠٦ .
(٧٣) التحفة المكتبية ، ص ٩٥ .
(٧٤) التحفة المكتبية ، ص - ص ٩٥ - ٩٦ .
(٧٥) بحث المطالب ، ص ١٦٧ .
(٧٦) التحفة المكتبية ، ص ٢٠٦ .

لمعنى مفرد ، فاللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية) [٧٢] بينما عرف الطهطاوى الكلمة بأنها (قول مفرد مؤلف من حروف المبانى ، التى هى حروف الهجاء ألف باء إلى آخرها) [٧٣] . وإذا كان الطهطاوى وجرمانوس يتفقان فى وصف بنية الكلمة بتحديد الوحدات الصغرى التى تؤلفها ، وهى الحروف ، فإن أهمية تعريف الكلمة عند جرمانوس تتمثل فى ضمه جانب الدلالة (دلالة الكلمة) إلى تعريفها مما لا يجعل تعريفه شكليا فقط ، على العكس من تعريف الطهطاوى الذى توقف عند الجانب الشكلى ، ولم يكشف عن البعد الدلالى للكلمة - بوصفها مصطلحا نحويا - إلا فى شرحه لأقسام الكلمة [٧٤] .

وتبدو عناية جرمانوس بإبراز الدلالة بوصفها جزءا من تعريف الموضوع أو الظاهرة سمة متواترة فى تعريفات أخرى كما يبدو فى تعريفه للظرف بأنه (المفعول فيه ويسمى الظرف ، وهو كل اسم مكان أو زمان حدث فيه فعل وتضمن معنى) [٧٥] .

على حين يبدو الجانب الدلالى الدال على وظيفة الظرف غائبا عن تعريفه لدى الطهطاوى الذى ينص على أن (المفعول فيه هو الظرف الذى يقع فيه الفعل) [٧٦] .

وأما فى تعريف علامات الاسم فيفرق جرمانوس فرحات بين علاماته اللفظية (وهى عنده دخول لام التعريف ، ودخول حروف الجر والتنوين) وعلاماته المعنوية التى يصفها بأنها (واحدة وهى الإخبار عن الاسم نحو :

---

(٧٢) بحث المطالب ، ص ١٠٦ .
(٧٣) التحفة المكتبية ، ص ٩٥ .
(٧٤) التحفة المكتبية ، ص - ص ٩٥ - ٩٦ .
(٧٥) بحث المطالب ، ص ١٦٧ .
(٧٦) التحفة المكتبية ، ص ٢٠٦ .

إن اتصاف عدد من مصطلحات جرمانوس فرحات بشموليتها في تحديد طبيعة الموضوع النحوى الذى يشير إليه تتضح فى استخدامه لمصطلح المفعول لأجله مقارنة باستخدام الطهطاوى للمصطلح نفسه ؛ إذ بدأ جرمانوس فرحات بالإشارة إلى المصطلحين المتواترين لدى بعض النحاة لتسمية المفعول لأجله وهما المفعول له والمفعول من أجله ، ثم عرفه على النحو التالى (هو المصدر المذكور علة لحدث يشاركه فى الزمان والفاعل) [٨٤] . بينما عرف الطهطاوى المفعول لأجله بأنه (هو الاسم المنصوب الذى يذكر بيانا لعلة وقوع الفعل ، فهو الغرض الذى لأجله يكون الإقدام على الفعل) [٨٥] ، ثم أتبع ذلك التعريف بالوقوف عند شروط المفعول لأجله ، بينما اتسم تعريف فرحات بقدرته على ضم الشروط إلى المصطلح ذاته ، فكان المصطلح دالا ودقيقا فى آن ، وقد تشابه مصطلح المفعول لأجله لدى كل من محمد عيد وشوقى ضيف مع مثيله لدى فرحات [٨٦] .

وإذا كان جرمانوس فرحات قد عرف الحال بأنه (نكرة مشتقة واقعة بعد تمام الكلام تبين هيئة الفاعل والمفعول أو المجرور) [٨٧] ، فإن الطهطاوى عرفه على النحو التالى (الحال : هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الهيئات أى الصفات ، فهو لبيان هيئة الفاعل فى حال وقوع الفعل منه أو هيئة المفعول فى حال وقوع الفعل به ، فلا يفسر إلا ما هو فاعل أو مفعول به ،

---

(٨٤) بحث المطالب ، ص ١٦٧ .

(٨٥) التحفة المكتبية ، ص ٢٠٦ .

(٨٦) يعرف المفعول لأجله عند محمد عيد على النحو التالى (كل مصدر ذكر علة لحدث سابق واتحد مع هذا الحدث فى الزمان والفاعل) النحو المصفى ص ١٤٤ . بينما عرفه شوقى ضيف بأنه (مصدر منصوب يلى جملة لبيان سببها وعلتها) تجديد النحو ص ١٧٧ . ويشترك تعريف ضيف فى جزئه الأول مع تعريف جرمانوس فرحات ، كما يشترك معه فى الإيجاز . وفيما عدا هذين الجانبين يبدو المصطلح لدى جرمانوس أكثر شمولا منه لدى ضيف .

(٨٧) بحث المطالب ، ص - ص ١٨٠ - ١٨١ .

فى اللفظ أو المعنى وهو ما يقع فى جواب : كيف ؟) [٨٨] .

إن وضع مصطلحى الطهطاوى وفرحات بإزاء بعضهما البعض يكشف عن اتصاف مصطلح جرمانوس بالدقة والاختصار معا [٨٩] على حين يمكن وصف هذا المصطلح لدى الطهطاوى باضطراب بنيته الناتجة عن تحوله إلى مصطلح شارح لا واصف للحال .

إن درس المصطلحات السابقة لدى كل من جرمانوس فرحات ورفاعة الطهطاوى يكشف عن عدد من دوال استخدام المصطلح - بوصفه علامة - ذات دلالات متعددة فى إطار « منهجية » التأليف وطريقة تفكير المؤلف فى مادته الأساسية ، وأبرز هذه الدوال : اتكاء فرحات على دور الدلالة فى صياغته للمصطلحات النحوية ، وتدقيقه فى بناء عدد من المصطلحات ، وسعيه إلى إيجاز بنية المصطلحات مع وفائها بالدلالة على ما تشير إليه ، وسعيه إلى أن يكون المصطلح شاملا لمختلف الحالات أو الأنماط التى تقع فى دائرته .

وإذا كانت هذه النتائج قد استُنْبطت من تحليل غينة من مصطلحات فرحات ومقارنتها بنظرائها لدى الطهطاوى ، فإن هذا لا ينفى ما يلاحظه الدارس / القارئ من « تفوق » الطهطاوى على جرمانوس فى استخدامه لعدد من المصطلحات الأخرى [٩٠] ، مما يعنى أن الدراسة التفصيلية لمصطلحات

---

(٨٨) التحفة المكتبية ، ص ٢١٥ ، وهناك خطآن مطبعيان فى الأصل ، فكلمة « أى » نجدها « الهر » وعبارة « فى حال وقوع الفعل به » نجدها « فى حالة وقوع ففعل به » .

(٨٩) انظر تعريف الحال لدى كل من محمد عيد ، وشوقى ضيف فى كتابيهما : النحو المصفى ص ٤٥٤ ، وتجديد النحو ص ١٨٢ .

(٩٠) انظر على سبيل المثال مصطلح الإعراب لدى الطهطاوى وقارنه بنظيره لدى جرمانوس ، التحفة المكتبية ص ١١١ ، وبحث المطالب ص ١١٩ .

الدرس النحوى لدى فرحات والطهطاوى تظل المحك الدقيق لتحديد طبيعة الاستخدام المصطلحى لديهما . ومع هذا تظل دلالات الاستخدام المصطلحى لدى جرمانوس - فى ضوء النماذج التى توقفنا عندها - مشيرة إلى كونها ظاهرة من ظواهر تجديد الدرس النحوى لديه ، إذ تكشف عن سعى فرحات المؤلف النحوى إلى ضبط مصطلحات العلم الذى يكتب فى مجاله ، مما يعد - بدوره - دالا على تصور المؤلف لذلك العلم تصورا منضبطا .

إن ضبط المصطلحات المستخدمة فى إطار علم النحو يمثل أساسا من أسس تجديد النحو لدى شوقى ضيف صاغه فى دعوته إلى وضع ضوابط وتعريفات دقيقة (٩١) . وقد تتيح لنا النماذج التى توقفنا عندها من « بحث المطالب » إمكانية الزعم بأن ذلك الأساس كان ماثلا - بصورة ما - فى ذهن جرمانوس فرحات ، وإن توقفت ماهيته على طبيعة العصر الذى ينتمى إليه المؤلف .

(٢ / ٣) الإيجاز فى تقديم المادة النحوية والصرفية :

تمثل ظاهرة الإيجاز فى اختيار عناصر المادة الصرفية أو النحوية التى اصطفاها جرمانوس من كتب التراث النحوى العربى علامة على منحاه التجديدى فى الدرس النحوى ، وإذا كان جرمانوس قد اكتفى فى تقديمه الموجز لكتابه بالإشارة إلى أنه قد أثبت فيه ما يراه لازما لطلابه ونبذ ما يراه غريبا عنهم (٩٢) ؛ أى غير مفيد لهم ، فإن هذا الوصف المختصر الذى قدمه يمثل

---

(٩١) انظر : شوقى ضيف : تجديد النحو ص - ص ٣٠ - ٣٤ ؛ حيث يعرض المؤلف هذا المبدأ ويطبقه على عدد من موضوعات النحو كالمفعول المطلق والمفعول معه والحال .

(٩٢) انظر : مقدمة بحث المطالب ص ٦ .

مقوما من مقومات التجديد ، ولكن الاختصار الشديد الذى صاغ به جرمانوس مقومه التجديدى يدفع قارئ الكتاب إلى تلمس فاعلية الإيجاز فى البنية الداخلية لهذا الكتاب . ونرى أن الإيجاز علامة من العلامات الدالة على تجديد الدرس النحوى عند جرمانوس ، وتحمل هذه العلامة دلالتين ، تتصل أولاهما بإشارتها إلى طبيعة اختيارات جرمانوس من المادة الضخمة التى أتاحتها له كتب التراث النحوى ، بينما تتصل ثانيتهما بالإشارة إلى إدراك جرمانوس المؤلف الحاجات « الدقيقة » للطلاب أو المتلقين الذين توجه إليهم بكتابه .

إن فاعلية الإيجاز تتجلى بوصفه ، من ناحية ، آلية اعتمدها جرمانوس فرحات فى تعامله مع المصادر النحوية والصرفية السابقة عليه ، وبوصفه علامة تقود القارئ إلى تتبعها واكتشاف طرائق عملها فى « بحث المطالب » من ناحية أخرى .

ويمكن أن يتلمس القارئ فاعلية الإيجاز بوصفه آلية وعلامة معا فى كل الموضوعات التى تناولها جرمانوس فرحات فى « بحث المطالب » ، ويمكن اكتشاف طبيعة هذه الفاعلية ومداها من تحليل باب « التصغير » فى « بحث المطالب » مقارنا بكتب المختصرات الصرفية والنحوية ، وبمحاولة شوقى ضيف فى « تيسير النحو التعليمى » .

ومن اللافت للانتباه ، بداية ، أن عدداً من كتب المختصرات الصرفية فى التراث لم يتناول مؤلفوها مسألة التصغير ، وهذا ما يظهر فى كتابى عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) « العمد فى التصريف » و « المفتاح فى

التصريف » وفى كتاب الميدانى « نزهة الطرف فى علم الصرف » [٩٣] ، بينما مَثَّل « باب التصغير » واحدا من الأبواب الصرفية الثلاثة التى عالجها ابن جنى فى كتابه « اللمع » على الرغم من أن كتابه واحد من كتب المختصرات النحوية ، وقد عرض ابن جنى لقواعد التصغير مختصرة وقدم له أمثلة كثيرة يدخل معظمها فيما يراه شوقى ضيف واجب الإهمال فى الكتب التعليمية [٩٤] .

وإذا كان ابن هشام (ت ٦٧١ هـ) قد تناول التصغير فى مختصره الصرفى « نزهة الطرف فى علم الصرف » فإنه قد قدم فيه أهم قواعد التصغير بإيجاز شديد يصل إلى الإخلال بها أحيانا ، كما قدم كثيرا من الأمثلة التطبيقية دون تحليلها أو التعليق عليها [٩٥] .

وقد عرض جرمانوس للتصغير ومسائله فى عشرة مطالب بدأها بتعريف التصغير ، ثم تناول تصغير الاسم ، وتصغير الاسم المعتل بالقلب ، وتصغير الاسم المعتل بالحذف ، وتصغير الاسم الواقع فيه بعد ياء التصغير حرف علة ،

---

(٩٣) انظر الكتب التالية :
عبد القاهر الجرجانى : كتاب المفتاح فى التصريف ، تحقيق وتقديم على توفيق الحمد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧
عبد القاهر الجرجانى : كتاب « العمد » فى التصريف - تحقيق وتقديم وتعليق البدراوى زهران ، طبعة دار المعارف ١٩٨٨ .
الميدانى (أحمد بن محمد) : نزهة الطرف فى علم الصرف ، تحقيق السيد محمد عبد المقصود ، مرجع سابق .

(٩٤) انظر ابن جني : اللمع فى العربية ، ص - ص ٢٩٠ - ٣٠٤ ، وانظر آراء شوقى ضيف حول مسألة التصغير وكيفية معالجتها فى كتب النحو التعليمى فى كتابه تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص - ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٩٥) انظر ابن هشام (عبد الله بن يوسف الأنصارى) : نزهة الطرف فى علم الصرف ، تحقيق ودراسة أحمد عبد المجيد هريدى ، طبعة مكتبة الزهراء ، ١٩٩٠ ، ص - ص ١١٤ - ١١٩ .

وتصغير المزيد الذى يشمل تصغير المؤنث ، وتصغير ما فيه حرف مد ، ثم تصغير المزيد الذى لا يتضمن حرف مد ، وتصغير الجمع ، فتصغير الاسم المبنى (٩٦) .

ويمكن مقارنة ذلك الباب لدى جرمانوس بمقترحات شوقي ضيف في كتابه « تيسير النحو التعليمى » وتكشف هذه المقارنة عن النتائج التالية :

أ - إذا كان شوقي ضيف قد دعا إلى تجاهل صيغتى تصغير المثنى وتصغير جمع المؤنث السالم في كتب النحو التعليمى (٩٧) فمن الملاحظ أن جرمانوس قد تجاهل تماما هاتين الصيغتين من صيغ التصغير اللتين قررهما أصحاب المطولات وبعض أصحاب المختصرات الصرفية فى التراث العربى .

وإذا كان شوقى ضيف قد علل دعوته إلى حذف هاتين الصيغتين وغيرهما من كتب النحو التعليمى بضرورة تقديم المستخدم فقط من صيغ التصغير ، فإن تأمل صنيع جرمانوس يشير إلى إمكانية القول إن هذا المبدأ كان ماثلا فى ذهن جرمانوس وموجها له أيضا (٩٨) .

ب - حدد جرمانوس فرحات ثلاثة أنماط لتصغير الاسم المعتل بالحذف وهى [الأول متى لم يعوّض عن المحذوف رُد في التصغير ما حُذف منه نحو يدى ودمى وأخى وأبى (....) الثانى متى عُوّض عن المحذوف بهمزة أو تاء مربوطة حذف في التصغير ما عوض عنه ورد المحذوف (...) الثالث

---

(٩٦) انظر : بحث المطالب : مرجع سابق ، ص - ص ٨٤ - ٨٨ .

(٩٧) انظر شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(٩٨) انظر : شوقى ضيف : المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ويجب أن نضيف هنا ما يقوله ضيف من أنه يكفى أن نذكر للناشئة (تلك الأسماء المتداولة فى أمثلة التصغير وتعرض عليهم دون وضع قاعدة لها) ص ١٤٧ .

متى عوض عن المحذوف بتاء مجرورة رد المحذوف عند التصغير وأبدلت التاء المجرورة بمربوطة نحو خية وبنية تصغير بنت وأخت (....) وشاذ هنيهة تصغير هنة] [99] .

وقرن صنيع جرمانوس فرحات في هذا المطلب بصنيع شوقي ضيف يكشف عن تماثل شديد بينهما ، فقد دعا شوقي ضيف إلى إهمال النماذج الأخرى للتصغير التي قدمها الصرفيون القدامى في هذا الجانب ، وهذه الصيغ هي :

- تصغير الماضي المهموز في حالة الأمر (خذ ←—— أخيذ) .

- تصغير الاسم المؤنث معتل الفاء (وصلة ←—— وُصَيلة ، عِدَة وُعَيْدة) .

- تصغير الحروف الثنائية (هل ←—— هُلَيل) .

- تصغير بعض الأفعال (يرى ←—— يريأى) [100] .

ومن الملاحظ أن جرمانوس فرحات قد تجاهل تماما هذه الصيغ الأربع التي دعا ضيف - بعده بما يقل قليلا عن ثلاثة قرون - إلى استبعادها من دائرة كتب تعليم الناشئة ، وقد وصفها ضيف بالقول (إن هذه الصور الأربعة للتصغير من تخيلات النحاة ، ولذلك يجب أن تُهْمل في تعليم الناشئة) [101] .

---

(٩٩) جرمانوس فرحات : بحث المطالب ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(١٠٠) انظر : شوقي ضيف : تيسير النحو التعليمي ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

ويمكن الزعم ، استنادا إلى المقارنة السابقة ، أن هذا المبدأ الذى سعى ضيف إلى تأصيله من أجل تعيين صيغ التصغير التى تُقدّم فى كتب النحو التعليمى - كان واضحا لدى جرمانوس فرحات على الرغم من عدم تصريحه به .

ج - الاختلاف الأساسي بين جرمانوس وضيف فى صيغ التصغير يظهر فى عدد من الأمثلة الواردة فى مسألة تصغير الاسم المعتل بالقلب حيث أبقى جرمانوس بعض الأمثلة التى رأى ضيف - فيما بعد - ضرورة استبعادها من دائرة النحو التعليمى (مثل باب وناب وغيرها) (١٠٢) ، كما يظهر اختلافهما فى مسألة تصغير بعض أسماء الإشارة والأسماء الموصولة التى أثبتها جرمانوس بينما دعا ضيف إلى تجاهلها (١٠٣) .

ولعل مرد الاختلاف بين جرمانوس وضيف حول الإبقاء على بعض صيغ التصغير أو حذفها من كتب النحو التعليمى يعود إلى طبيعة أهداف كل منهما ؛ إذ كان شوقى ضيف يستند فى دعوته إلى حذف بعض صيغ التصغير - إلى أنها (لا تجرى فى لغتنا الأدبية ولا فى لغتنا اليومية) ومن ثم دعا إلى حذف قواعدها من كتب تعليم الناشئة لأن هذه الصيغ والقواعد معا لا تفيدان الناشئة أى فائدة فى النطق (١٠٤) . فى حين أبقى جرمانوس على عدد من صيغ التصغير قليلة الاستخدام لأنه كان يتوجه بكتابه إلى مَنْ يفترض أنهم يتصلون بالتراث العربى الوسيط ، مما يجعلهم معرضين لمقابلة هذه

---

(١٠٢) انظر : شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .
(١٠٣) انظر : بحث المطالب ، ص ٨٥ ، ٨٨ حيث يقدم جرمانوس الصيغ المشار إليها فى المتن .
(١٠٤) انظر : شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

الصيغ فى كتب ذلك التراث ، ولعل من اللافت للانتباه أن جرمانوس نفسه قد استخدم كل صيغ التصغير ، حتى التى استبعدها من « بحث المطالب » فى قصيدة من ديوانه عدتها عشرون بيتا (١٠٥) .

إن التعامل مع الإيجاز بوصفه آلية وعلامة دالة فى كتاب « بحث المطالب » قد كشف عن دورها فى بيان جانب من جوانب تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس فرحات .

ولا تقتصر فاعلية الإيجاز فى مؤلفات جرمانوس فرحات النحوية واللغوية على « بحث المطالب » فقط بل تتجلى بوضوح فى كتبه الأخرى ؛ فكما بيَّنا من قبل اعتمد جرمانوس على هذه الآلية فى كتابه « الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية » كما اعتمد عليها فى معجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » ؛ إذ تعمد تجاهل عدد كبير من الكلمات التى رأى أنها ليست كثيرة الدوران والتداول بين مستخدمى العربية فى عصره (١٠٦) .

(٤ / ٢) بنية تناول الموضوع النحوى :

تتمثل الظاهرة التالية المبينة عن جانب من جوانب تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس فرحات فى ظاهرة بنية تنظيم تناول الموضوع النحوى تنظيما وافيا بتقديم الجوانب الأساسية لذلك الموضوع ، واختيار عدد من جزئياته

(١٠٥) انظر : ديوان جرمانوس فرحات ، تعليق وتصحيح سعيد الخورى الشرتونى ، الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٤ ، ص - ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(١٠٦) انظر : جرمانوس فرحات : إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب ، مرجع سابق ، ص ٣ من مقدمة رشيد الدحداح .

الدالة ، مع التمثيل لها بعدد محدود من الأمثلة . وتبدو هذه الظاهرة ظاهرة مركبة تقوم على توظيف المؤلف عددا من الآليات والعلامات التى يأتى فى مقدمتها المصطلح النحوى ذو الصياغة المضبوطة ، والإيجاز بوصفه أداة ترتبط باختيارات المؤلف من المصادر النحوية التي يعتمد عليها .

وتحمل هذه الظاهرة التأليفية عدة دلالات ستتبدى عبر مقارنة « بحث المطالب » بعدد من كتب المختصرات النحوية ، وستنصب المقارنة على عدد من الموضوعات النحوية وهى : البدل ، والتمييز والتوكيد بوصفها نماذج دالة على طريقة تناول هؤلاء المؤلفين وفرحات لغيرها من الموضوعات النحوية .

فحين تناول فرحات البدل فإنه انطلق من تعريفه بأنه (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة) (١٠٧) ، ثم قدم أحكامه المختلفة وتلاها بتناول متعلقاته ، ووازى هذه الإجراءات تقديمه أمثلة مختلفة تمثل لكل هذه الجوانب .

وتختلف بنية تنظيم الموضوع النحوى لديه عن طرائق أصحاب المختصرات النحوية التراثية فى تناول البدل ؛ فابن جنى أخذ فى « اللمع » يتناول البدل دون أن يعرفه ، وإنما بدأ بتحديد وظائفه تحديدا موجزا واصفا البدل بأنه (يجرى مجرى التوكيد فى التحقيق والتشديد ، ومجرى الوصف فى الإيضاح والتخصيص) (١٠٨) ، ثم تناول أضربه الأربعة ومثَّل لها بأمثلة من الأمثلة المتواترة لدى النحاة ، ونموذج من الشعر وثلاثة شواهد قرآنية (١٠٩) .

---

(١٠٧) بحث المطالب ، ص ٢٠١ .

(١٠٨) ابن جنى : اللمع ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

(١٠٩) انظر المرجع السابق ، ص - ص ١٧٣ - ١٧٦ .

أما الزجاجي فى « الجمل » فقد تجاهل تعريف البدل وركز تناوله على عرض أضربه الأربعة ممثلا لها بأمثلة وشواهد مختلفة من تعبيرات متكررة لدى النحاة وشواهد قرآنية وشعرية (١١٠) .

ويتشابه الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) فى « المقدمة الجزولية » مع الزجاجي وابن جنى فى تجاهل تقديم تعريف للبدل والاكتفاء بعرض قواعده الأساسية عرضا بالغ الإيجاز (١١١) ، كما تتواتر الظاهرة ذاتها فى كتاب عبد القاهر الجرجانى « الجمل فى النحو » (١١٢) .

فإذا قرن الدارس النماذج الأربعة السابقة بالرملى (ت ٩٧٣) وجد أنه فى شرحه للأجرومية ، اهتم بتقديم المعنيين اللغوى والاصطلاحى للبدل ، ثم انتقل إلى عرض مختلف قواعده مع التمثيل لها (١١٣) .

وإذا كان ذلك القران « السابق » يكشف عن تنوع ما فى طريقة تنظيم مادة الموضوع النحوى (ونموذجه هنا البدل) فى كتب المختصرات النحوية ، فإن سيادة نمط تأليف ذى بنية ليست منضبطة تماما فى تناول كتب المختصرات النحوية للبدل ، يشير إلى إمكانية افتراض أن مثل هذه البنية كانت

---

(١١٠) انظر الزجاجي : كتاب الجمل ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٣ - ٢٦ .

(١١١) انظر الجزولي (عيسى بن عبد العزيز) : المقدمة الجزولية فى النحو ، تحقيق وشرح شعبان عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، أم القرى ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص - ص ٧٦ - ٧٧ .

(١١٢) انظر : عبد القاهر الجرجاني : الجمل فى النحو ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، حيث يقدم أضرب البدل الأربعة دون تعريفه ، ثم يمثل للبدل ، والملاحظ أن تناوله للبدل قد احتل ستة أسطر فقط .

(١١٣) انظر : الرملى (أحمد بن على) : شرح الأجرومية ، تحقيق ودراسة على موسى الشوملى ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، بدون تاريخ ، ص - ص ٢١٢ - ٢١٧ .

عائقا يمنع هذه الكتب من أن تؤدى وظيفتها المثلى فى المجتمع العربى الوسيط ، فى حين يبدو تنظيم جرمانوس تناوله للبدل دالا على أمرين : السعى إلى استكمال بعض أوجه « القصور » فى كتب المختصرات النحوية التراثية وذلك عن طريق نقل التعريف (= تعريف البدل) من كتب المطولات النحوية ، فالتعريف الذى قدمه جرمانوس هو نفسه التعريف الذى وصفه محمد عيد بأن كتب النحو تكاد تتفق عليه (١١٤) .

ويفضى ذلك السعى إلى دال آخر يتصل بإحكام جرمانوس بنية تناول الموضوع النحوى تناولا موجزا دون الإخلال بتقديم الجوانب الأساسية فيه .

وتتكشف أهمية طريقة بناء الموضوع من مقارنة تناول جرمانوس فرحات لموضوع التمييز بتناول السابقين عليه من أصحاب كتب المختصرات النحوية ، فالزجاجي لم يقدم فى « الجمل » تعريفا للتمييز ، بل بدأ بتقديم عدد من صفاته التى أوضحتها عبارته عن أن (التمييز لا يكون إلا نكرة ، ولا يكون إلا منصوبا ، ولا يتقدم على المميز منه) (١١٥) ، ثم قدم أمثلة مختلفة لعدد من المواضع التى يرد فيها التمييز .

وأما عبد القاهر الجرجانى فلم ينطلق فى « الجمل » من تقديم مصطلح التمييز ، بل انطلق من الحديث عن ضربيه ، مطيلا الوقوف - فى حدود كون كتابه واحدا من كتب المختصرات - أمام الضرب الثاني الذى يقول عنه إنه يأتى بعد تمام الاسم (ومعنى تمام الاسم أن يكون ممتنعا عن الإضافة) (١١٦) ، ثم

---

(١١٤) انظر : محمد عيد : النحو المصفى ، مرجع سابق ، ص ٦٢٥ .
(١١٥) الزجاجي : الجمل ، ص ٢٤٢ .
(١١٦) عبد القاهر الجرجانى : الجمل ، ص ١٠٤ .

عرض أوجه امتناع الاسم عن الإضافة وتوقف أمام تمييز « كم » .

ورغم أن ابن جنى قد بدأ تناوله للتمييز - فى « اللمع » - بتقديم تعريفه على النحو التالى : التمييز هو (تخليص الأجناس بعضها من بعض ، ولفظ المميز اسم نكرة ، يأتى بعد الكلام التام يراد به تبيين الجنس ، وأكثر ما يأتى بعد الأعداد والمقادير) (١١٧) ، رغم هذا فإن العبارة الأولى فى هذا التعريف (تخليص الأجناس بعضها من بعض) تبدو عبارة قريبة من الغموض (١١٨) . مما يتناقض مع شرط من شروط صياغة المصطلح ، يتمثل فى ضرورة اتصافه بالوضوح فى دلالته على ما يشير إليه . ثم أخذ ابن جنى يقدم أمثلة مختلفة للمواضع التى يرد فيها التمييز بعد الأعداد والمقادير ، ثم قدم عددا من الصيغ المحفوظة أو العبارات المتداولة التى يستخدم فيها التمييز .

ولعل النماذج السابقة تتيح إمكانية القول بأن أصحاب كتب المختصرات النحوية التراثية لم يستطيعوا فى تناولهم لبعض الموضوعات النحوية أن يلتزموا بطريقة « منضبطة » فى عرض المادة النحوية ، مما قد يباعد بين هذه الكتب وتحقيقها وظائفها التعليمية .

وأما صاحب « بحث المطالب » فقد عرف التمييز على النحو التالى (هو

---

(١١٧) ابن جنى : اللمع ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(١١٨) انظر هامش رقم (٥) من الصفحة ذاتها حيث يقدم المحقق تعليقا يحاول فيه أن يقرب تعريف ابن جنى للتمييز من تعريف أبى على الفارسى ، مما يشير فيما نرى إلى غموض تعريف ابن جنى ، بدليل أن المحقق قد بدأ بوصفه بأنه (ليس بغريب) رغبة فى نفى غموضه .

اسم نكرة جامدة مفسرة ما انبهم من الذوات ، بمعنى من خلافا للحال لأنه نكرة مشتقة مفسرة ما انبهم من الصفات ، فالتمييز إذن قسمان : الأول ما يبين إبهام اسم مفرد نحو رطل زيتا ، والثانى ما يبين إجمال نسبة نحو طاب زيد نفسا) (١١٩) ، ثم تناول أقسامه ، ومثّل لها بأمثلة قليلة .

ويكشف النظر إلى التعريف السابق عن أن جرمانوس قد استمد ذلك التعريف من كتب المطولات النحوية ، معدلا بذلك فى جانب من جوانب « القصور » التى تجلت فى كتب المختصرات النحوية السابقة عليه ، ثم لجأ إلى آلية المقابلة بين التمييز والحال ليزيل أى التباس قد يستشعره القارئ / الطالب بينهما ، ولذا يمكن وصف عبارته التى يميز فيها بين الحال والتمييز بأنها عبارة شارحة .

وإذا كان ضم قسمى التمييز إلى تعريفه عند جرمانوس قد وسع من حد التمييز ، فإنه قد أدى إلى إطالة التعريف ، ولذا يبدو تعريف ابن هشام للتمييز أكثر إيجازا مع وفائه بالدلالة (١٢٠) ، بينما يبدو تعريف شوقى ضيف للتمييز دقيقا وشاملا وموجزا فى آن واحد ، فالتمييز عنده (اسم منصوب يزيل إبهاما فى اسم آخر أو صفة أو فعل) (١٢١) ، وقد أعقب تعريفه بتحديده المواضع العشرة التى يرد فيها التمييز وتمثيله لها بأمثلة مختلفة .

---

(١١٩) بحث المطالب ، ص ١٨٣ .

(١٢٠) انظر : محمد عيد : النحو المصفى ، ص ٤٧٦ ، حيث ينقل تعريف ابن هشام الذى يحدد التمييز بأنه (اسم نكرة فضلة جامد يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة) .

(١٢١) شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى ، ص ١٢٧ .

ومعظم النتائج التى اتضحت من مقارنة « البدل » و « التمييز » عند جرمانوس فرحات بنظيريهما عند أصحاب كتب المختصرات النحوية تنطبق أيضا على تناوله وتناولهم للتوكيد [(١٢٢)] .

إن النتيجة الأساسية التى يمكن أن ننتهى إليها من دراسة المثالين السابقين تشير إلى سعى جرمانوس فرحات إلى تنظيم تناوله للموضوع النحوى « الواحد » فى بنية موجزة تفى بالجوانب الأساسية له ، مع التمثيل بأمثلة مختلفة ، مما يعنى ، من ناحية ، أن الإيجاز لم يكن عائقا له أمام ضبط بنية تناول الموضوع ، ويشير من ناحية ثانية ، إلى سعى المؤلف إلى الإفادة من كتب المطولات النحوية فى تعديل بعض جوانب « القصور » فى كتب المختصرات النحوية .

وإذا كانت ظاهرة بنية تنظيم تناول الموضوع النحوى ظاهرة مركبة ، فإنها دالة فى الوقت نفسه على جانب من جوانب تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس فرحات .

(٥ / ٢) الأمثلة : دورها العلامى ، أنماطها ، دلالاتها :

تعد ظاهرة الأمثلة التى اعتمد عليها صاحب « بحث المطالب » فى التمثيل للظواهر النحوية والصرفية دالا من الدوال الكاشفة عن تجديد الدرس

---

(١٢٢) انظر تناول هؤلاء النحاة للتوكيد فى المواضع التالية ، وقارنه بتناول جرمانوس فرحات (ص - ص ١٩٩ - ٢٠٠ من « بحث المطالب ») :
الزجاجى : الجمل ص ٢١ ، ابن جنى : اللمع ص - ص ١٦٩ - ١٧٠ ، عبد القاهر الجرجانى : الجمل ص - ص ٩٧ - ٩٨ ، الجزولى : المقدمة الجزولية ص - ص ٧٣ - ٧٥ ، الرملى : شرح الأجرومية ص - ص ٢٠٧ - ٢١١ .

النحوى لديه ، واتصال ذلك التجديد - فى جانب من جوانبه - بالفئة الأساسية التى توجه المؤلف بكتابه إليها ، دون أن ينفى ذلك إمكانية تلقى هذا الكتاب فى إطار دوائر أخرى من المتلقين من خارج تلك الفئة .

ويمكن التعامل مع الأمثلة التى اعتمدها فرحات من منظور علامى يرى فى المثال أو الشاهدالذى يمثل به النحوى علامة من العلامات الدالة فى إطار بنية التأليف وإمكانات التلقى ، ومن هذ المنظور يمكن التمييز بين نمطين من الأمثلة فى كتاب « بحث المطالب » : يتمثل أولهما فى الأمثلة التراثية أى تلك الأمثلة المتواترة والكثيرة الدوران فى كتب النحاة العرب فى العصور الوسطى ، على حين يتمثل ثانيهما فى تلك الأمثلة التى استمدها المؤلف من مصادر ثقافته المسيحية ، وهى تنقسم بدورها إلى قسمين ، أحدهما يشكل الأمثلة المسيحية المباشرة ، بمعنى الأمثلة التى استمدها المؤلف من الترجمة العربية للإنجيل وكان ينص دائما على مصدرها ذاك ، بينما يمثل الآخر الأمثلة ذات الصبغة المسيحية ، أى هذه الأمثلة التى يستخدم فيها المؤلف عددا من أسماء الأعلام الشائعة لدى الطوائف المسيحية مثل (بطرس ، مريم ، لوقا) ويكثر المؤلف من وضع اسم العلم (بطرس) فى كثير من أمثلته ، وكأنه يقابل به ترداد اسم العلم (زيد) عند النحاة العرب القروسطيين .

ويمكن استكشاف طبيعة دلالات نمطى الأمثلة فى كتاب بحث المطالب وفق عدد من المحددات الأساسية وهى :

أ - المثال الذى نتوقف عنده ليس مجرد كلمة مفردة ، بل هو جملة أو عبارة ، وهذا يعنى ضرورة استبعاد معظم الأفعال لأنها تخلو - إلا قليلا - من الدلالات المذهبية .

ب - ضرورة استبعاد عدد كبير من العبارات والجمل التى استخدمها فرحات فى أمثلته ، من دائرة هذا التصنيف لأنها لا تحمل دلالات مذهبية مسيحية فقط أو إسلامية فقط ، أو لأنها ذات مضامين عامة . ومن هذه الأمثلة : رجيل حاضر ، الموت عندك ، ليس هالك المؤمنان ، ليس هالك المؤمنون ، الله غفور رحيم ، آدم أبونا ، الذى يأتينى فله درهم ، لعمرك لأفعلن ، زرتك حتى لا تعتب على ، زرتك لئلا تغتاظ ، إن تكسل تخسر ، ومن يطلب يجد (١٢٣) .

ج - يتم الرمز للأمثلة التراثية بالحرف (ألف) ونرمز إلى الأمثلة المستمدة من الإنجيل بالحرف (باء) وإلى الأمثلة ذات الصبغة المسيحية بالحرف (جيم) .

د - اختيار عشرة موضوعات من موضوعات « بحث المطالب » بطريقة أقرب ما تكون إلى (العشوائية) حتى تكون نتيجة الاختيار معبرة عن طبيعة المادة المختارة ، والأبواب التى تم اختيارها هى أبواب اللفظ المفيد المركب ، وعلامات الاسم والاسم الموصول ، والفاعل ، ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر ، والتنازع والاشتغال ، وأفعال المقاربة ، ثم إعراب الفعل (١٢٤) .

هـ - يتم تصنيف نمطى الأمثلة وفقا للمحددين الأول والثانى من هذه المحددات ويتم إحصاء مجموع الأمثلة فى الموضوع الواحد ثم بيان عدد أمثلة كل نمط فى هذا الموضوع ، ثم بيان النسبتين العددية والمئوية لمجموعتى (باء) و (جيم) إزاء بعضهما ، ثم هما معا إزاء المجموعة (أ) .

---

(١٢٣) انظر هذه الأمثلة فى الصفحات التالية فى « بحث المطالب » :
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ - ١٤٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ - ٢١٠ وغيرها من الصفحات .

(١٢٤) انظر هذه الأمثلة فى الصفحات التالية فى « بحث المطالب » :
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ - ١١٥ ، ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ٢٠٤ - ٢٠٦

و - تستخرج نتائج الإحصاءات والمقارنات ، ثم يتم تفسيرها واستنباط الدلالات التى تنطوى عليها فيما يتعلق بمدى انتشار بحث المطالب ، وربط هذه الدلالات ببعض الظواهر التاريخية الكاشفة عن حدود انتشار هذا الكتاب وتداوله مقارنة بانتشار كتاب « التحفة المكتبية » وتداوله .

وقد وضعنا هذه الإحصاءات فى ملحق بهذه الدراسة أسميناه ملحق إحصاء أنماط الأمثلة فى الموضوعات المختارة (١٢٥) ، وأفدنا منها فى الجداول المستخدمة فى هذه الفقرة .

جدول (٣) : النسبتان : العددية والمئوية للنمط (أ)
مقارنة بالنمطين (ب) و (ج)

م	الموضوع	عدد الأمثلة	عدد الشواهد التراثية (أ)	عدد شواهد الثقافة المسيحية (ب.ج)	النسبة المئوية لشواهد الثقافة المسيحية مقارنة بعدد شواهد الموضوع
١	اللفظ المفيد المركب	٥	صفر	٥	١٠٠٪
٢	علامات الاسم	٧	٣	٤	٦٨٪
٣	الاسم الموصول	٦	٤	اثنان	٣٣٪
٤	الفاعل	٣٢	١٥	١٧	٥٥٪
٥	التنازع	١٢	١٢	صفر	صفر
٦	نائب الفاعل	٩	٨	واحد	١١٪
٧	المبتدأ والخبر	٥٧	١٧	٤٠	٧٠٪
٨	الاشتغال	١٢	١٢	صفر	صفر
٩	أفعال المقاربة	١٣	١٣	صفر	صفر
١٠	إعراب الفعل	٣١	صفر	٣١	١٠٠٪

(١٢٥) انظر الملحق .

يكشف الجدول السابق عن عدد من النتائج هى :

أ - خلو عدد من الأبواب من الأمثلة المستمدة من الثقافة المسيحية ، خلواً تامًا ، وهى أبواب التنازع والاشتغال ، وأفعال المقاربة .

ب - تعتمد بعض الأبواب على عدد قليل جدا أو قليل من الأمثلة المستمدة من الثقافة المسيحية ، وهذا ما يتضح فى باب نائب الفاعل الذى تعتمد أمثلته على ١١٪ فقط منها ، وفى باب الاسم الموصول الذى يعتمد على ٣٣٪ فى أمثلته على شواهد الثقافة المسيحية .

ج - ثلث أبواب العينة المختارة تعتمد أمثلتها على نسبة أدنى من المتوسط أو نسبة متوسطة فى إفادتها من أمثلة مستمدة من الثقافة المسيحية ، وهذا ما يتضح فى أبواب الفاعل (٥٥٪) وعلامات الاسم (٦٨٪) ثم المبتدأ والخبر حيث تصل النسبة إلى (٧٠٪) .

د - تعتمد بعض الأبواب اعتمادا كاملا على الأمثلة المستمدة من الثقافة المسيحية ، وهذا ما يظهر فى بابين فقط من أبواب العينة ، وهما بابا اللفظ المفيد المركب وإعراب الفعل حيث تسجل هذه الأمثلة نسبة ١٠٠٪ .

يمكن توضيح النسبة العددية لورود أمثلة الثقافة المسيحية فى أبواب العينة على النحو التالى :

نوع الورود	الاعتماد الكامل	فوق المتوسط	المتوسط	القليل	الخالى
نسبة الورود	٢	٢	١	٢	٣

وذلك ما يمكن أن يكشف عن أن الاعتماد على أمثلة مستمدة من الثقافة المسيحية ليس ظاهرة مطردة فى أبواب العينة كلها ، مما يشير إلى أن هذه الظاهرة لم تكن - فيما يبدو - عائقا أمام انتشار هذا الكتاب فى البيئات غير

المسيحية ، وهناك أدلة أخرى إحصائية تعضد هذا الاستنتاج ، فإذا حاولنا أن نكتشف النسبة المئوية التى تمثلها أمثلة الثقافة المسيحية فى مجموع أبواب العينة المختارة أو موضوعاتها فسنجد أن الجدول التالى يوضحها على النحو التالى :

جدول (٤) : حاصل نسب أمثلة الثقافة المسيحية فى موضوعات الكتاب المختارة

م	الموضوع	نسبة الأمثلة المسيحية	قيمة النسبة
١	اللفظ المفيد المركب	١٠٠٪	١٠
٢	علامات الاسم	٦٨٪	٦,٨
٣	الاسم الموصول	٣٣٪	٣,٣٠
٤	الفاعل	٥٥٪	٥,٥٠
٥	التنازع	صفر	صفر
٦	نائب الفاعل	١١٪	١,١
٧	المبتدأ والخبر	٧٠٪	٧
٨	الاشتغال	صفر	صفر
٩	أفعال المقاربة	صفر	صفر
١٠	إعراب الفعل	١٠٠٪	١٠
	المجموع		٤٣,٧٪

إن النتيجة الأساسية التى يكشف عنها الجدول السابق تبين أن ٤٣,٧٪ من أمثلة الكتاب مستمدة من الثقافة المسيحية ، أى أنها تمثل - من الوجهة النظرية الخالصة - أقل من نصف عدد أمثلة العينة المختارة ، وتترابط هذه النتيجة مع نتيجة الإحصاء الأساسية التى كشف عنها الجدول الأول ، مما

يعضد إمكانية القول بانتشار تلقى هذا الكتاب فى البيئات غير المسيحية فى لبنان أو الشام عامة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ولعل النتيجة السابقة يمكن تعضيدها برصد يميز بين تواتر الأمثلة المستمدة من الترجمة العربية للإنجيل والأمثلة ذات الصبغة المسيحية فى الأبواب المختارة من الكتاب ، وقبل رصدها يجب ملاحظة ضرورة إخراج الأبواب الثلاثة التى خلت من الأمثلة المسيحية بنمطيها ، وهى أبواب التنازع ، الاشتغال ، وأفعال المقاربة .

ويكشف الجدول التالى عن النسبتين العددية والمئوية لاستخدام أمثلة الثقافة المسيحية فى أبواب العينة المختارة من الكتاب .

جدول (٥) : النسبتان : العددية والمئوية لأمثلة المجموعة (ب) مقارنة بأمثلة المجموعة (ج)

م	الموضوع	عدد أمثلة الثقافة المسيحية	عدد أمثلة المجموعة (ب)	عدد أمثلة المجموعة (ج)	
١	اللفظ المفيد المركب	٥	صفر	٥	صفر
٢	علامات الاسم	٤	٣	١	٧٥٪
٣	الاسم الموصول	٢	٢	٢	١٠٠٪
٤	الفاعل	١٧	صفر	١٧	صفر
٥	نائب الفاعل	واحد	صفر	واحد	صفر
٦	المبتدأ والخبر	٤٠	١٠	٣٠	٢٥٪
٧	إعراب الفعل	٣١	١٦	١٥	٤٨٪

ويكشف الجدول السابق عن النتائج التالية :

أ - هناك بعض الأبواب التى احتلت فيها الأمثلة المستمدة من الإنجيل

النسبة الكبرى من مجموع أمثلة هذه الأبواب ، وهذا ما يظهر فى بابين فقط ، وهما بابا علامات الاسم والاسم الموصول ، ففى أولهما وصلت النسبة إلى ١٠٠٪ ، بينما وصلت فى الثانى إلى ٧٥٪ .

ب - هناك باب واحد فقط سجلت فيه الأمثلة المستمدة من الإنجيل نسبة حضور « متوسطة » وهو باب إعراب الفعل حيث سجلت نسبة ٤٨٪ من أمثلته .

ج - هناك باب واحد سجلت فيه أمثلة الإنجيل نسبة حضور قليلة وهو باب المبتدأ أو الخبر ، إذ سجلت نسبة ٢٥٪ فقط من مجموع أمثلة الثقافة المسيحية فيه .

د - هناك ثلاثة أبواب تخلو تماما من أمثلة مستمدة من الإنجيل وهى أبواب اللفظ المفيد المركب ، والفاعل ، ونائب الفاعل .

ويمكن الخلوص إلى نتيجة أساسية تتولد عن النتائج الثلاث السابقة ، فحواها أن نسبة الأمثلة المستمدة من الإنجيل أقل من مثيلتها ذات الصبغة المسيحية ، وإذا كانت الجداول السابقة قد كشفت عن قلة أمثلة الثقافة المسيحية بنمطيها مقارنة بالأمثلة التراثية ، فإنه يمكن القول إن الأمثلة المستمدة من الإنجيل فى هذا الكتاب تعد قليلة فى ضوء العينة التى توقفنا عندها ، مقارنة بمجموع الأمثلة المختلفة المترددة فى أبواب العينة التى توقفنا عنها .

ولعل تلك النتيجة السابقة تعضد إمكانية القول بصحة الدلالة الأساسية

التى كشفت عنها نتائج الجداول السابقة ، والتى ترى أن أمثلة الثقافة المسيحية التى اعتمدها جرمانوس فرحات فى « بحث المطالب » لم تكن عائقا أمام تلقى كتابه فى البيئات غير المسيحية فى لبنان وفى بلاد الشام فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وتحمل النتيجة الأساسية عددا من الدلالات التى تتصل بصنيع المؤلف فى بعض كتاباته الأخرى ، وبهدف من الأهداف الضمنية لكتاب « بحث المطالب » ؛ فلم يكن جرمانوس فرحات - فيما يبدو - ينأى تماما عن الاعتماد على أمثلة قرآنية أو حديثية ؛ ففى الفصل الذى خصصه لعوامل الإعراب فى معجمه « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » كرر المؤلف - فى مواضع مختلفة - الاعتماد على شواهد من القرآن الكريم ومن الحديث النبوى [(١٢٦)] ، مما يشير إلى أنه لم يكن يجد غضاضة فى الاستناد إلى شواهد مستمدة من المصدرين الأساسيين للثقافة العربية الإسلامية . وإذا كان المؤلف قد اعتمد فى نسبة من أمثلة « بحث المطالب » على الاستمداد من الثقافة المسيحية ، فقد كان ذلك يتصل بهدف من أهدافه الضمنية التى يمكن استنباط بعضها مما يتمثل فى تبسيط تعليم النحو العربى أو تيسيره للفئة الأساسية التى كان يتوجه إليها ، من ناحية ، والعمل - من ناحية ثانية - على إدماج الثقافة المسيحية إدماجا عضويا فى الثقافة العربية الحديثة .

---

(١٢٦) انظر : فصل عوامل الإعراب فى « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » صفحات ٦٤٤ . ٦٤٦ ، ٦٤٨ وفيها شاهدان ، ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ .

إن غيـاب الأمثلـة القـرآنيـة والحـديثيـة عن « بحث المطـالب » يمكن أن تتجلى بعض دلالاتـه من مقـارنة « بحث المطالب » - في هذا الجانب - بعدد من كتب المختصرات النحوية ، ففى « اللمع » لابن جنى هناك أربعون شاهدا قرآنيا فقط ، وأما فى « المـقـدمـة الجزوليـة » للجزولى فـثمـة عشرة شواهد قرآنية فقط (١٢٧) . وأما فى « الجمل » للزجاجى فثمة حديثان نبويان فقط ، بينما لم يستشهد الجزولى فى « المقدمة الجزولية » إلا بشاهد واحد من كلام عمـر بن الخطاب (١٢٨) . ولعل في هـذه النماذج ما يسهم فى « التخفيف » من « غـرابة » عـدم اعتماد جرمانوس فرحات على أمثلة قرآنية أو حديثية فى « بحث المطالب » .

ولـعـل تلك الدلالات الـسـابقـة يمكن أن تـفـسـر تعـدد طبـعـات « بحث المطالب » طوال القرن التاسع ؛ إذ وصلت إلى ثلاث عشرة طبعة ، مما يعنى أن الكتاب كان يتلقى فى بيئات عربية مختلفة ، مسيحية كانت أم إسلامية .

وإذا كان كتاب الطهطاوى « التحفة المكتبيـة » قد طبع مرتين فقط طوال القـرن التـاسع عشـر (١٢٩) فـإن قـرنه - من هذه الزاوية - بكتـاب « بحث المطالب » قـد يكشف عن التأثير الكبير الذى مارسه « بحث المطالب » على عدة أجيال من المتعلمين أو التلاميذ العرب .

---

(١٢٧) انظر : ابن جنى : اللمع ، مرجع سابق ، ص ٥٥ من مقدمة المحقق ، الجزولي : المقدمة الجزولية ، مرجع سابق ، ص ٦٨ من مقدمة المحقق .

(١٢٨) انظر : الزجاجي : الجمل ، مرجع سابق ، ص ١٩ من مقدمة المحقق ، المقدمة الجزولية ، ص ٧٠ من مقدمة المحقق .

(١٢٩) انظر : عايدة نصير : حركة نشر الكتب العربية فى مصر في القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٦٢ ، حيث يكشف رصدها عن طبع « التحفة المكتبية » مرتين فقط خلال القرن التاسع عشر ، أولاهما سنة ١٨٦٨ وصدرت عن « مطبعة بولاق » ، وثانيتهما سنة ١٨٦٩ وصدرت عن مطبعة المدارس .

(٣) بلــورة النتـــائج :

مثلت الظواهر المختلفة التى حللناها فى الفقرات السابقة دوال تجديد الدرس النحوى عند جرمانوس فرحات فى كتابه « بحث المطالب » وسعى التحليل إلى بلورة هذه الظواهر عبر متابعة تجلياتها الرأسية والأفقية فى « بحث المطالب » ، وأخذ التحليل يجلى هذه الظواهر عن طريق المقارنة بين « بحث المطالب » وكتب المختصرات النحوية والصرفية « التراثية » من ناحية ، وكتاب الطهطاوى « التحفة المكتبية » من ناحية ثانية .

وتمثلت هذه الظواهر فى خمس : أولاها نمط التأليف الذى تشكل من ثلاث علامات رئيسية هى : البنية الكبرى ، والبنية الثانوية أو الصغرى ، ثم تنظيم بعض الأبواب النحوية وفق منطق مبتكر يختلف عن المناطق السائدة فى كتب المختصرات النحوية والصرفية .

وأما الظاهرة الثانية فتمثلت فى سعى جرمانوس فرحات إلى ضبط عدد من مصطلحات الدرس النحوى والتدقيق فى صياغتها ، وإبراز دور الدلالة فى تحديد موضوعاتها بدقة .

وإذا كان الإيجاز فى الاختيار من المادة النحوية التراثية قد شكل الظاهرة الثالثة من ظواهر تجديد الدرس النحوى لدى فرحات ، فإن التحليل قد سعى إلى اكتشاف دلالات الإيجاز بوصفه علامة وآلية معا ، فوصل إلى إدراك جوانب التشابه بين جرمانوس فرحات وشوقى ضيف فى معالجتهما لباب التصغير .

وقد تفاعلت ظاهرتا الضبط المصطلحى والإيجاز معًا فولدتا ظاهرة مركبة أسميناها « بنية تنظيم تناول الموضوع النحوى تنظيما وافيا ودالا » ، شكلت ظاهرة من الظواهر الجديدة فى نمط كتب المختصرات النحوية والصرفية ، ومثلت ظاهرة التمثيل للقواعد النحوية والصرفية اعتمادا على الجمع بين الأمثلة التراثية وأمثلة الثقافة المسيحية الظاهرة الأخيرة من ظواهر تجديد الدرس النحوى لدى جرمانوس فرحات .

ولعل تلك الظواهر « السابقة » تتيح لنا إمكانية إثبات الرأى الذى بدأت به هذه الدراسة ، وهو تصور أن كتاب « بحث المطالب » يمثل البداية الحقيقية والمجهولة لتجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث .

إن الإنجاز الجذرى الذى قدمه « بحث المطالب » يتمثل فى البنية الكبرى لتأليف الكتاب النحوى ، وهى بنية تقوم على الانتقال من الوحدات الصغرى (الأصوات) إلى الوحدات الوسطى (الكلمات) ، ثم منهما معا إلى الوحدات الكبرى (الجمل) . وهى بنية تختلف جذريا عن البنية السائدة فى المؤلفات النحوية السائدة فى التراث النحوى العربى ، ومن هذا المنظور تعد تلك البنية الكبرى دالا على تجديد جذرى قدمه جرمانوس ، تجديد يستند إلى قطيعة مع التراث ، مع احتفاظه - فى الوقت ذاته - بالعناصر الأساسية الصغرى المكونة لهذه البنية (أعنى مختلف جوانب المادة النحوية من موضوعات ومصطلحات وغيرها) . وقرن محاولة جرمانوس فرحات بمختلف محاولات تجديد النحو التى تلته يكشف عن أن محاولة شوقى ضيف « تجديد

النحو ، هي الوحيدة التي استندت إلى هذا النمط الجديد من أنماط البنى التأليفية (على الرغم من أن شوقي ضيف لم يؤسس لهذه البنية تأسيسا نظريا شاملا) .

(٢ / ٣) البنية التأليفية الكبرى في إطار مقارن :

إن إضاءة الإنجاز الجذري الذي قدمه جرمانوس فرحات في « بحث المطالب » ، ذلك الإنجاز المتمثل في البنية التأليفية الكبرى للكتاب النحوي ، تتطلب وضعه في إطارين يتقاطع معهما ، مما يسهم في الكشف عن حجم ذلك الإنجاز وأهميته ودلالته . وهذان الإطاران هما : منهجية تأليف المستشرقين في كتب تعليم الأوروبيين قواعد النحو العربي ، وجهود الشوام ، أو اللبنانيين خاصة ، الذين كانوا يعلمون العربية في الدوائر الاستشراقية في أوروبا في الفترة السابقة على جرمانوس ، ثم في الفترة المعاصرة له ، أي في الفترة الممتدة من الربع الأخير من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر .

إن إضاءة الإطار الأول تشير إلى أن تطور حركة الاستشراق ، منذ القرن السادس عشر ، كشف للقائمين بالتدريس في الدوائر الاستشراقية عن الحاجة إلى وضع مؤلفات في النحو العربي لتعليم دارسي الثقافة العربية والإسلامية قواعد اللغة العربية ، وقد لبت تلك الحاجة عدة كتب ، يأتي في أولها كتاب بوستل "Guilaume Postel" (١٥١٠ - ١٥٨١) « النحو العربي »

"Grammatica Arabica" والذى نشر فى باريس عام ١٥٣٩ ، وهو يركز على تعليم كتابة الحروف العربية ، ويعرف بالاسم والفعل والحرف ، ويتناول أسماء الإشارة وبعض الظروف والمبتدأ . ورغم أن « بوستل » قد أفاد فى صياغته المصطلحات النحوية من بعض المصادر النحوية العربية ، ومن عدد من المخطوطات العربية ، فإنه سعى إلى الإفادة من مصطلحات النحو اللاتينى فى تقديم مصطلحات النحو العربى (١٣٠) .

وقد وصف المستشرق الألمانى « فوك » كتاب « بوستل » بالضعف وكثرة الأخطاء المطبعية . (١٣١)

ولعل أوجه القصور فى كتاب « بوستل » هى التى جعلت من كتاب المستشرق الهولندى إربنيوس (١٣٢) "Thomas Erppenius" (١٥٨٤ - ١٦٢٤) المنشور باللاتينية عام ١٦١٣ تحت عنوان « النحو العربى فى خمسة

---

(١٣٠) عن كتاب بوستل ، انظر :

- Bobizin, Hartmut : Guilaume Postel (1S1O - 1S81) und die Terminologie der arabischen Nationalgrammatik, Studies in The History of arabic Grammar II, ed by kees versteegh and Michael G. Carter, Amsterdom, 1990, PP.S 7 - 72 .

يوهان فك : تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، تعريب عمر لطفى العالم ، الطبعة الأولى ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص - ص ٤٩ - ٥٠ ، ونشير إلى أن عنوان كتاب فوك بالألمانية هو : Die arabischen Studien in Europa
وهو عنوان يختلف عن العنوان الذى وضعه المترجم .

(١٣١) انظر : يوهان فوك : المرجع السابق ، ص - ص ٤٩ - ٥٠ .

(١٣٢) حول التعريف بجهود إربنيوس يمكن مراجعة الجزء الثانى من كتاب نجيب العقيقى : المستشرقون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص - ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

أبـواب ، "Grammatica Arabica" أول مؤلف أوروبى متكامل يقدم ، من منظور أوروبى ، قواعد العربية لتلبية حاجة طلاب الدراسات العربية . وتقوم بنية هذا الكتاب على منطق متدرج فى تناول المادة اللغوية ؛ إذ يبدأ الكتاب بتناول الإملاء ، ودراسة الخط وأنواعه والنظام العددى ، ودراسة عدد من الموضوعات المرتبطة بالأصوات العربية كالنطق وظاهرة الإدغام وقواعد الحركات القصيرة ، ويضيف إليها عرضا لأحكام تلاوة القرآن ، ثم ينتقل إلى دراسة عدد من الموضوعات التى تقع فى إطار علم الصرف ، إذ يقدم بالتفصيل مسائل بناء الفعل ، والفعل المهموز ، والفعل الناقص ، وصيغ الأسماء ، وجمع التكسير ، ويقدم أمثلة لها جميعا .

ويتلو ذلك بدراسة الأدوات وبناء الجملة والتركيب . ولكن المشكل أن هذه الجوانب التى تدخل جميعها فى إطار النحو - بمعناه الضيق فى التراث العربى - لم تنل إلا عناية قليلة من « إربنيوس » إذ لم يخصص لها سوى صفحات قليلة جدا من كتابه (١٣٣) .

وقد ظل كتاب « إربنيوس » المرجع الأساسى لتعليم قواعد العربية فى مختلف الدول الأوروبية لمدة قرنين من الزمان ، ولم يدخل عليه المستشرقون أى تعديلات جوهرية سوى إضافة بعض النصوص للمطالعة (١٣٤) .

وإذا كان عدم اهتمام « إربنيوس » بإعطاء بنية الجمل والتراكيب العربية ما تحتاجه من عناية واهتمام يشكل الجانب السلبى الأساسى فى كتابه

---

(١٣٣) حول كتاب إربنيوس انظر :
يوهان فوك ، المرجع السابق ، ص - ص ٦٩ - ٧٠ .
عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ ، ص - ص ٩ - ١٢ .

(١٣٤) انظر : يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، مرجع سابق ، ص - ٦٩ - ٧٠ .

- فإن كتاب « النحو العربى » « Grammaire Arabe » أو « التحفة السنية فى علم العربية » والذى أصدره المستشرق الفرنسى « سلڤستر دى ساسى » (١٧٥٨ - ١٨٣٨) عام ١٨١٠ يمثل المؤلف الجديد الذى حل محل كتاب إربنيوس .

ويتكون كتاب دى ساسى من جزئين ، وهو يقوم على البدء بدراسة عناصر الكلام العربى والكتابة العربية ؛ إذ بدأ بدراسة الأبجدية العربية ، وتقسيم الحروف إلى صوامت وسواكن ، ثم درس بعض الظواهر الصوتية كالتشديد والهمزة والمدة ، ثم انتقل إلى دراسة مكونات الكلام فدرس الأفعال والضمائر ، وتصريفات الأفعال ، وأزمنة الأفعال ، وتصريف الأسماء ، كما درس كثيرا من الحروف (مثل حروف الاستفهام ، وحروف التنبيه ، وحروف التعليل ، وحروف التحقيق وغيرها) .

وقد انتقل ، بعد ذلك ، إلى دراسة تركيب الجمل ، فقدم وصفًا مستفيضًا لأنماط بناء الجمل العربية ، مما يمثل وصفا دقيقا لموضوعات النحو العربى .

ولعل أبرز ما يتسم به كتاب « دى ساسى » هو تقديمه - فى إطار تناوله للموضوعات السابقة - عددًا كبيرًا من الأمثلة التطبيقية والتوضيحية من آيات القرآن ومن مصادر الأدب العربى [١٣٥] .

إن كتابى « إربنيوس » و « دى ساسى » قد ثبتا بنية تأليفية فى تنظيم قواعد العربية لطلاب الاستشراق ، وتقوم هذه البنية على البدء بالدرس

---

(١٣٥) انظر :

De Sacy, Silvestre : Grammaire Arabe (التحفة السنية فى علم العربية) Paris, 1829 .

الصوتى يتلوه الدرس الصرفى للصيغ والمشتقات العربية ثم دراسة تراكيب الجمل وأبنيتها . وقد تثبتت هذه البنية التأليفية فى كتب تعليم العربية فى اللغات الأوروبية المختلفة ، وهى تتجلى - بوضوح - فى كتب المستشرقين الإنجليز والألمان فى القرن التاسع عشر وما بعده (١٣٦) دون أن ينفى هذا أن بعض هؤلاء المستشرقين كانوا يعدلون أحيانا فى بعض تفاصيل هذه البنية أو جزئياتها .

وفى موضع تال سيكشف وضع كتاب « بحث المطالب » فى إطار كتب قواعد العربية عند المستشرقين عن بعض جوانب أهميته .

وأما الإطار الثانى الذى يجب أن يوضع فيه « بحث المطالب » فهو مؤلفات اللبنانيين أو الشاميين السابقين عليه ، ممن كانوا يعلمون العربية فى أوروبا .

وتتطلب إضاءة ذلك الإطار وقفة تاريخية قصيرة ؛ ففى بداية الربع الأخير من القرن السادس عشر بدأ بعض الموارنة من لبنان وسوريا يدرسون فى جامعات روما ، وفى عام ١٥٨٤ أنشأ البابا غوريغوريس الثالث عشر مدرسة فى روما عرفت بالمدرسة المارونية ، لتعليم رجال الدين من الموارنة اللبنانيين ، فأخذ هؤلاء فى الالتحاق بهذه المدرسة حيث كانوا يتعلمون علوم

---

(١٣٦) انظر على سبيل المثال الكتابين التاليين :

- Wright, W : A Grammar of Arabic Lanuage, cambridge, 1964 .
- Nöldeke , Theodor : Zur Grammatik des classischen Arabisch , Darmstadt, 1963 .

وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٨٩٧ .
ومن نماذج كتب القرن العشرين يمكن مراجعة كتاب بلاشير الفرنسى الذى أشرنا إليه فى هامش سابق .

اللاهوت والمنطق ، ويدرسون اللغات السامية واليونانية واللاتينية ، ويلمون بالإيطالية والفرنسية ، ودُعِّمت هذه المدرسة بإنشاء المطبعة الشرقية فى روما عام ١٦٥٣ .

وكان يتاح لطلاب هذه المدرسة الدراسة بها لمدة قد تصل إلى أكثر من عشر سنوات ، وبعد انتهاء الدارس من دراسته كان أمامه طريقان : إما العودة إلى لبنان للعمل فى مجال الوعظ والتعليم عن طريق السعى إلى تأسيس مدارس فى مناطق الموارنة لتعليمهم علوم اللاهوت والأدب واللغة والتاريخ وغيرها (١٣٧) ، أو البقاء فى روما للعمل فى الدوائر الكنسية ، كالاشتغال بالترجمة من العربية والسريانية إلى اللاتينية ، والإسهام فى تنقيح الأناجيل وسائر أسفار العهد القديم التى طبعت باللغتين السريانية والعربية ، وفهرسة المخطوطات الشرقية ودراستها .

وقد مَثَّل تعليم دارسى الاستشراق من الأوربيين اللغتين العربية والسريانية عملا من أبرز الأعمال التى قام بها خريجو المدرسة المارونية فى روما . وقدم عدد منهم مؤلفات تقع فى إطار تعليم قواعد اللغة العربية ، أو النحو العربى ، ومن هؤلاء :

---

(١٣٧) انظر : نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبنانى الحديث . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص - ص ١٣٢ - ١٣٦ .

وانظر أيضا : نجيب العقيقى : المستشرقون ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة . دار المعارف ١٩٨١ ، ص ٣١٧ .

بطرس المطوشى (١٥٥٩ - ١٦٢٥) وله كتاب « اللغة العربية » الذى صدر فى روما عام ١٦٢٤ ، ويوحنا الحصرونى (ت ١٦٢٦) الذى قدم مع جبرائيل الصهيونى (١٥٧٧ - ١٦٤٨) كتابا عنوانه « قواعد اللغة العربية » يتكون من خمسة أجزاء ، وقد صدر فى باريس عام ١٦١٦ ، ونصر الله شلق (ت ١٦٣٥) الذى صنف كتابا عنوانه « المدخل إلى اللغة العربية » صدر فى روما عام ١٦٢٧ ، ثم سركيس الرزى (ت ١٦٣٨) الذى قدم كتاب « قواعد اللغتين العربية واللاتينية » (١٣٨) .

ورغم عدم وجود معلومات مفصلة عن طبيعة مؤلفات هؤلاء اللبنانيين فى قواعد العربية أو النحو العربى ، فمن الراجح أنهم قد انتهجوا فيها نفس النهج الذى انتهجه إربنيوس فى كتابه « النحو العربى » .

إن وضع كتاب جرمانوس فرحات « بحث المطالب » فى سياق يتقاطع فيه مع الإطارين السابقين يستند إلى عدد من الشواهد الوثيقة ، وهى : ما ثبت فى سيرة جرمانوس من أنه قد زار إيطاليا وأسبانيا وصقلية لمدة ليست

---

(١٣٨) انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون ، الجزء الثالث ، مرجع سابق ، ص - ص ٣١٨ - ٣٢٤ ، حيث يقدم تراجم موجزة لهؤلاء الدارسين ، ويشير إلى مؤلفات كل منهم .
وانظر أيضا : عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، مرجع سابق ، ص - ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، حيث عرض ترجمة لجبرائيل الصهيونى ، وأشار إلى كتابه عن « النحو العربى » . ولعل الجدير بالذكر أن بدوى قد ذكر فى صفحة ٣٨٤ أن هذا الكتاب قد اقتصر على تعليم مبادئ الخط العربى فقط .

قصيرة (١٣٩) ، كما أنه كان يجيد اللاتينية والإيطالية مما يسر له الإطلاع على كتابات المستشرقين السابقين عليه والمعاصرين له فى قواعد العربية ، ثم إن البنية التأليفية الجديدة التى قدمها فى « بحث المطالب » تكشف عن تأثره بكتاب « إرپنيوس » خاصة . ولكن ذلك التأثر لا ينفى أصالة « البنية التأليفية الكبرى » التى قدمها جرمانوس فى « بحث المطالب » ؛ فمن الواضح أن المقارنة بين كتابى « جرمانوس » و « إرپنيوس » فى هذه البنية تكشف عن جوانب الاختلاف بينهما ؛ فإذا كانا قد أسسا هذه البنية على الدراسة الصوتية ، فمن الواضح أن الدرس الصوتي عند جرمانوس كان مكثفا ومركزا على جوانب محددة كمخارج الأصوات ، والحركات القصيرة ، والعلاقة بين الأصوات والحركات القصيرة عند الكتابة ، وذلك على العكس من إرپنيوس الذى أفاض فى هذه الجوانب وغيرها من الجوانب الصوتية ، وأضاف إليها أحكام تلاوة القرآن .

وإذا كان إرپنيوس قد قدم معظم موضوعات الصرف العربى ، فإن جرمانوس قد قدم معالجة وافية لمسائل الصرف العربى وفق منظور منضبط .

وإذا كان إرپنيوس لم يعط دراسة الأدوات وبناء الجمل إلا حيزا ضئيلا

---

(١٣٩) ذكر بروكلمان أن جرمانوس [زار روما وأسبانيا وصقلية ومالطة سنة ١٧١١] ، انظر : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن ، مرجع سابق ، ص ٣٦ . بينما ذكر جورجي زيدان أن جرمانوس [سافر إلى أوروبا فزار إيطاليا وأسبانيا وصقلية وغيرها ، وبحث عن بعض الكتب النادرة ، ورحل إلى بلاد أخرى وهو يزداد بالرحلة اختبارا ومعرفة وشهرة ، فانتخب سنة ١٧٢٥ أسقفا على حلب] ، تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، مرجع سابق : ص ٩ . وفحوى عبارات زيدان يفهم منها أن جرمانوس فرحات قد أقام فترة طويلة مرتحلا فى عدد من الدول الأوروبية .

جدا من مؤلفه ، مما شكل جانب قصور فيه - فإن جرمانوس قد قدم - كما بيّن التحليل فى فقرات سابقة - دراسة وافية لقواعد النحو العربى وفق منطق مبتكر وتنظيم جديد لعدد كبير من موضوعات النحو العربى .

ولعل هذه المقارنة الموجزة تؤكد أصالة البنية التأليفية الكبرى التى قدمها جرمانوس فرحات فى « بحث المطالب » .

إن وضع كتاب « بحث المطالب » موضع مقارنة مع مؤلفات المستشرقين فى النحو العربى أو قواعد العربية فى القرن السابع عشر (وما بعده أيضا) يكشف عن أن العلاقة بينهما ليست مجرد تشابه فى البنية التأليفية الكبرى وفى الاهتمام بمسائل بنية الجملة العربية ، بل إن « بحث المطالب » هو واحد من الكتب العربية النحوية الحديثة التى تُلُقيت جيدا فى الدوائر الاستشراقية ، وأتيح له التأثير فى كتابات بعض المستشرقين فى النحو العربى . ويدل على ذلك ما ذكره « جراف » فى كتابه « تاريخ الأدب المسيحى العربى » من أن كتاب « بحث المطالب » قد عرف منذ بداية القرن الثامن عشر فى عدد من الجامعات الأوروبية ، ومنها ميونيخ التى عرفته عام ١٧٠٧ ، وليبزج التى عرفته عام ١٧٩٣ ، وبرلين التى عرفته عام ١٨٠٠ ، ثم مانشستر التى عرفته عام ١٨٣٠ (١٤٠) . مما يؤكد أن الدوائر الاستشراقية فى هذه الجامعات وغيرها من الجامعات الأوروبية قد أفادت منه فى تأليف كتب تعليم قواعد العربية . ولعل مما يعضد هذا ما ذكره يوسف الدبس صاحب « الجامع المفصل

---

(١٤٠) انظر : Craf, Georg : Geschichte der chrislichen Arabischen Literatur, P 418 .

فى تاريخ الموارنة المؤصل » من أن كثيرا من المؤلفات التى كتبها العلماء الموارنة فى القرن الثامن عشر قد نقلت إلى أوروبا وأفاد منها الأوروبيون (١٤١) .

ويؤكد ذلك التأثير ما أشار إليه المستشرق الإنجليزى « ويليام رايت » W. Wright ، فى مقدمة كتابه « نحو اللغة العربية » A Grammar of Arabic Language الذى صدرت طبعته الأولى عام ١٨٥٢ ، أن كتاب « مصباح الطالب فى بحث المطالب » هو أهم مصادره الحديثة فى النحو العربى (١٤٢) .

وقد أشرنا من قبل إلى أن كتاب « مصباح الطالب » هو الطبعة الثانية من «بحث المطالب» ، وفيه حذف بطرس البستانى الأمثلة التطبيقية التى وضعها أحمد فارس الشدياق فى نهاية الطبعة الأولى من « بحث المطالب » .

تتيح لنا المقارنة بين « بحث المطالب » وكتب المستشرقين فى تعليم النحو العربى أن نتوقف - بإيجاز - مرة أخرى أمام « بحث المطالب » مقارنا بكتاب « التحفة المكتبية » للطهطاوى .

إذا كان جرمانوس قد أفاد البنية التأليفية الكبرى فى « بحث المطالب » من كتب المستشرقين ، وأضاف إليها إضافات أصيلة جعلت كتابه مؤثرا فى كتابات بعض المستشرقين الذين تلوه - فإن بنية التأليف فى « التحفة المكتبية » بنية تقليدية ، أى أنها تقوم على تكرار نمط تأليفى متكرر فى كثير من كتب

---

(١٤١) انظر : يوسف الدبس : الجامع المفصل فى تاريخ الموارنة المؤصل ، المطبعة العمومية الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ص ٤٦٠ .

(١٤٢) انظر : Wright : Ibid .

التراث النحوى العربى مثل « شذور الذهب » لابن هشام ، وإن أضافت إليه جانبا تجديديا واحدا يتمثل فى وضع القواعد النحوية فى إطار جداول .

ومن الواضح أن الطهطاوى كان حريصا على أن يقدم قواعد النحو العربى فى إطار تلك البنية التقليدية ، فرغم تتلمذه على « دى ساسى » وصلته بمؤلفاته ووصفه لكتابه « التحفة السنية فى علم العربية » بأن « دى ساسى » (ذكر فيه علم النحو على ترتيب عجيب لم يسبق به أبدا) [١٤٣] - رغم هذا كله لم يفد الطهطاوى من بنية التأليف فى كتاب « دى ساسى » ، على حين أن جرمانوس قد استطاع قبله - بأكثر من قرن ونصف القرن - أن يفيد من البنية التأليفية الكبرى فى كتب المستشرقين فى قواعد النحو العربى ، وأن يضيف إليها إضافات جذرية ، جعلت من كتابه « بحث المطالب » البداية الحقيقية لتجديد الدرس النحوى فى العصر الحديث .

(٣ / ٣) فرضيات جديدة :

تستطيع هذه الدراسة أن تطرح الفرضيتين التاليتين للدراسة :

أ - يمكن لهذه الدراسة أن تلفت الانتباه إلى ضرورة دراسة ما أسمته « نمط التأليف » أو « البنية الكبرى » فى كتب المختصرات النحوية والصرفية فى التراث العربى (قياسا على ما كشف عنه تحليل « بحث المطالب ») من ناحية ، وفى مختلف كتابات مرحلة الإحياء فى القرنين الثامن والتاسع

(١٤٣) الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، دراسة وتعليق محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢١ .

عشر فى علوم النحو واللغة والبلاغة والنقد من ناحية ثانية ، لاكتشاف الآليات والطرائق التى سعى بها أصحاب هذه الكتب أو مؤلفوها إلى تقديم مؤلفات التراث العربى والتعديل فيها استجابة للمتطلبات الجديدة التى فرضها الواقع الحديث .

ب - وضعنا فى عنوان هذه الدراسة عبارتى « العصر الحديث » و « القرن الثامن عشر » مما يشير إلى تصور أن يكون القرن الثامن عشر هو بداية العصر الحديث ، أو البداية الأولى للعصر الحديث فى بعض بيئات الثقافة العربية كبيئة الشام ، وهذا افتراض يلتقى مع بعض الدراسات التى قدمها بعض دارسى التاريخ العربى الحديث (١٤٤) .

ولكن هذين الافتراضين اللذين نطرحهما يتطلبان دراسات موسعة لكتابات أدباء القرن الثامن عشر فى مجالات اللغة والأدب والنقد والبلاغة .

(١٤٤) انظر : على سبيل المثال : بيترجران : الجذور الإسلامية للرأسمالية (مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠) ترجمة محروس سليمان ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٣ .

الملحق : جدول مقارنة الشواهد التراثية وشواهد الثقافة المسيحية

م	الموضوع	عدد الشواهد	الشواهد التراثية (أ)	الشواهد المسيحية المنسوبة (ب)	الشواهد ذات الصبغة المسيحية (ج)	نسبة (ب) إلى (ج)	نسبة (أ) إلى (ب) + (ج)
١	اللفظ المفيد المركب ص - ص ١٠٧ - ١٠٨	٥	صفر	صفر	• قام بطرس (٣) • بطرس قائم • تلميذ المسيح	صفر : ٥	صفر : ٥
٢	علامات الاسم ص ١٠٨	٧	• جاء زيد • مررت بزيد • رأيت زيدا	• وحينئذ تنظرون علامات ابن الإنسان • فعجب كل منكم	• قام بطرس	٣ : ١	٣ : ٤
٣	الاسم الموصول ص ١١٤	٦	• يعجبني أيهم قائم • جاء الضارب وجهه • جاء المضروب وجهه • جاء الحسن وجهه	• من يطلب يجد • أعطوا ما لقيصر لقيصر	————	٢ : صفر	٦ : ٢
٤	الفاعل ص - ص ١٣٢ - ١٣٥	٣٢	• قام الرجلان • قام الرجلان • طلع الشمس • طلعت الشمس	————	• قام بطرس (٤) • قالت مريم • ليس مريم مائتة • ليست مريم مائتة	صفر : ١٧	١٥ : ١٧

			• قام الرجال • قامت الرجال • جاء المؤمنون • النار أحرقت • يعجبني أن تقوم • لطم السيد العبد • زيدا ضربت • ضربت زيدا • أيا تضرب أضرب • من رأيت • زيدا ضربته		• قالت مريم • مريم قالت • هيهات بطرس • عجبت من موت يسوع • يسوع طاهرة أمه وحسن فعلها • أحيا المسيح العازر • ابتلى أيوب ربه • أشفاني يسوع • بشرلوقا البشيرمتى الرسول • من تطلب (يسوع) = أطلب يسوع		
٥	التنازع ص ١٢٥	١٢	• ضربت زيدا (٢) • أكرمني زيد • ضربني زيد • ضرب الرجلين • ضربت الرجلين	——	——		١٢ : صفر

			• ضربت الظالمين • مررت بزيد • مر بى زيد				
٦	نائب الفاعل ص ١٣٦	٩	• ضرب عمر زيدا • ما ضربت إلا أنت • ضرب زيد • أعطى زيد درهما • أرى زيد عمرا فاضلا • سير ميل • سير السير الشديد • مر بزيد		• صيم الصوم الكبير	صفر ؛ ١	٩ ؛ ١
٧	المبتدأ والخبر ص - ص ١٣٧ - ١٤١		• ضارب زيدا حاضر • ما قائم الرجلان • ما قائم الرجال • هل قائم الرجلان • هل قائم الرجال • ما قائمان الرجلان • ما قائمون الرجال • هل قائمان الرجلان	• بك جنون • هل شيطان يخرج شيطانا • ما أحد عارف بالأب إلا الابن • برص كثيرون فى عهد اليشع النبى	• يسوع صائم • بطرس قائم • أندراوس أخو بطرس • يسوع بطرس حافظه هو • مريم ولدت يسوع • يسوع عندك	١٠ ؛ ٣٠	١٧ ؛ ٤٠

- هل قائمون الرجال
- من أبوك
- من يكرمني أكرمه
- ما أحسن زيدا
- عندك رجل
- فى الدار امرأة
- فى الدار صاحبها
- كل إنسان وعمله
- ضربى زيدا قائما

- سلام لكم
- بطرس حماته محمومة
- السلام عليك يا مريم
- كل من يأتى إلى فلا أخرجه
- كم عندكم من الخبز، فقالوا سبعة
- الله هو الكلمة

- يسوع ذلك المخلص
- بطرس نعم الرسول
- ما قائم بطرس
- ليس قائم بولس
- هل قائم بولس
- هل قائم بطرس
- ما بطرس كاذب
- لبطرس رسول
- بطرس رسول
- رسول بطرس
- عندك بطرس
- فى الدار بولس
- بطرس قائم
- بطرس يقوم
- ما بطرس إلا رسول
- إنما بطرس رئيس الرؤساء
- أين بطرس
- كيف بولس

					• ما فى الدار إلا بطرس • عندك بطرس قائم • أين العازر ملفون • لولا يسوع ما خلصنا • هل بطرس قائم		
٨	الاشتغال ص - ص ١٤٢ -١٤٣	١٢	• زيد ضربته • زيد ضربت أخاه • زيدا ضربت • خرجت فإذا زيد يضربه غلامه • خرجت فإذا زيد يضرب غلامه • خرجت فإذا زيد يضرب غلامه عمر • إن زيدا تكرمه تكرمك • هل زيدا رأيته • هلا زيدا ضربته • زيدا أخذه • زيداً وعَمراً أكرمته • زيد قام أبوه وعمرا أكرمته .	———	———	———	١٢ : صفر

٩	أفعال المقاربة ص - ص ١٣٩ - ١٤٠	١٣	• كاد زيد يموت • كاد زيد يذهب أبوه • كاد زيد يذهب • كاد زيد يضرب • شرع زيد ينشد • رأيت زيدا ينشئ كلاما ويشرع فى عمله • عسى أن يقوم زيد • أوشك أن يموت زيد • اخلولق أن يتكلم زيد • زيد عسى أن يقوم (٢) • الرجلان عسيا أن يقوما • الرجال عسوا أن يقوموا • عسى أن يقوما • عسى أن يقوموا	ــــــــ	ــــــــ	ــــــــ	١٢ : صفر

١٠	إعراب الفعل ص - ص ٢٠٤ - ٢١٣	٣١		• نوشك أن يغرق • لن تحل أن تكون لك امرأة • أتيتك بابني كي تشفيه • لكيما يغفر لكم أبوكم • كيلا يهلك من يؤمن به • حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب • ما جئت لأحل الشريعة بل لأكملها • من يطلب المخالفات أحب العصيان • من عاشر المتكبر يلبس الكبرياء • من لمس القار لصق به • إن سألتكم فلا تردون • من لا يؤمن يدن • من يفتخر فليفتخر بالرب • إن سقط عدوك فلا تشمت به • من يتكل على قلبه فجاهل • نعما نعما قد رأت أعيننا	• صرت مسيحيا إذن تدخل الجنة • جئت لكي أترهب • لا تخالف أمر المسيح فتهلك • ليتني مسيحي فأتوب • نعم الرجل بطرس • نعم رسول المسيح بطرس • نعم رجلا بطرس • نعم الرجل بطرس • بئس التلميذ يوضاس • حبذا البطرسان • حبذا البطرسون • حبذا رجلا بطرس • حبذا بطرس رجلا • حبذا بطرس راكبا	١٦ ، ١٥	صفر ، ٣١

المصادر والمراجع

أولا : مؤلفات جرمانوس فرحات

■■ جرمانوس فرحات : بحث المطالب فى علم العربية ، مالطة ١٨٣٦ .

■■ جرمانوس فرحات : بحث المطالب فى علم العربية ، مع حواش عليه لمصححه المعلم سعيد الخورى الشرتونى اللبنانى ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٥ .

■■ جرمانوس فرحات : إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب بتصحيح رشيد الدحداح ، مطبعة باراس وسافورنين ، مرسيلية ١٨٤٩ .

■■ جرمانوس فرحات : كتاب الأجوبة الجلية فى الأصول النحوية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين ، القدس ، ١٨٨٦ .

■■ جرمانوس فرحات : ديوان جرمانوس فرحات ، الطبعة الثانية ، تعليق وتصحيح سعيد الخورى الشرتونى ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٤ .

ثانيا : المصادر التراثية

■■ الأردبيلى (جمال الدين محمد عبد الغنى) : شرح الأنموذج فى النحو للعلامة الزمخشرى ، تحقيق وتعليق حسنى عبد الجليل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

■■ الجرجانى « أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن) : كتابه المفتاح فى التصريف ، تحقيق وتقديم على توفيق الحمد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧ .

■■ الجرجانى : « العمد » كتاب فى التصريف ، تحقيق وتقديم وتعليق ، البدراوى زهران ، دار المعارف ١٩٨٨ .

■■ الجرجانى : كتاب الجمل فى النحو ، شرح وتحقيق ودراسة يسرى

عبد الغنى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ .

▪▪ **الجزولى** (أبو موسى عيسى بن عبد العزيز) : المقدمة الجزولية فى النحو ، تحقيق وشرح شعبان عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، أم القرى ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

▪▪ **ابن جنى** (أبو الفتح عثمان بن يحيى) : اللمع فى العربية ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

▪▪ **ابن جنى** : المنصف شرح كتاب التصريف للمازنى ، الجزء الأول ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٤ .

▪▪ **أبو حيان الأندلسى** : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجى ، ١٩٩٨ .

▪▪ **الرملى** (أحمد بن على الرملى) : شرح الأجرومية ، تحقيق ودراسة على موسى الشوملى ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، دون تاريخ .

▪▪ **الزجاجى** (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق) : كتاب الجمل فى النحو ، تحقيق وتقديم على توفيق الحمد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الأمل ، الأردن ، ١٩٨٤ .

▪▪ **الشلوبينى** (أبو على عمر بن محمد بن عمر الإشبيلى) : التوطئة ، دراسة وتحقيق يوسف أحمد المطوع ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٨١ .

▪▪ **الميدانى** (أحمد بن محمد) : نزهة الطرف فى علم الصرف ، تحقيق وتعليق السيد محمد عبد المقصود درويش ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٢ .

▪▪ **ابن هشام** (عبد الله بن يوسف الأنصارى) : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة العاشرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

■■ ابن هشام (عبد الله بن يوسف الأنصارى) : الإعراب عن قواعد الإعراب ، تحقيق وتقديم على فودة نبيل ، عمادة شئون المكتبات ، الرياض ، ١٩٨١ .

■■ ابن هشام : نزهة الطرف فى علم الصرف ، تحقيق ودراسة أحمد عبد المجيد هريدى ، مكتبة الزهراء ١٩٩٠ .

■■ ابن هشام : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق حنا الفاخورى ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ثالثا : المراجع الحديثة

■■ ادورد فنديك : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربية فى المطابع الشرقية والغربية ، صححه وزاد عليه بعض الكلام السيد محمد على الببلاوى ، طبع بمطبعة التأليف (الهلال) بالفجالة ١٨٩٦ .

■■ أمين ألبوت الريحانى : مدار الكلمة (دراسات نقدية) ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

■■ أنيس فريحة : نحو عربية ميسرة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥

■■ أنيس فريحة : نظريات فى اللغة ،دار الكتاب اللبنانى ،بيروت ١٩٧٣ .

■■ أنيس فريحة : فى اللغة العربية وبعض مشكلاتها ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٩ .

■■ البدراوى زهران : رفاعة الطهطاوى وتيسير نحو العربية فى كتابه التحفة المكتبية ، ووقفة مع الدراسات اللغوية الحديثة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨٨ .

■■ بطرس حداد وجاك اسحاق : المخطوطات السريانية والعربية فى خزانة الرهبانية الكلدانية فى بغداد ، الجزء الثانى : المخطوطات العربية مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٨ .

■■ جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، بدون تاريخ
■■ حسن عون : تطور الدرس النحوى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٠
■■ حسين محمد محمد شرف : مقدمة تحقيقه لكتاب اللمع لابن جنى (بيانات النشر مذكورة فى المصادر) .
■■ حسين نصار : المعجم العربى : نشأته وتطوره ، الطبعة الرابعة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٨٨ .
■■ رفاعة رافع الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، دراسة وتعليق محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
■■ شوقى ضيف : تجديد النحو ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .
■■ شوقى ضيف : تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا مع نهج تجديده ، دار المعارف ١٩٨٦
■■ على توفيق الحمد : مقدمة تحقيقه لكتاب « الجمل فى النحو » للزجاجى (بيانات النشر مذكورة مع المصادر) ..
■■ كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٧١
■■ كوركيس عواد : الأصول العربية للدراسات السريانية ، المجمع العلمى العراقى ، ١٩٨٩ .
■■ مارون عبود : صقر لبنان (بحث فى النهضة الأدبية الحديثة ورجلها الأول أحمد فارس الشدياق) - منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٠ .
■■ مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ .
■■ محمد على الزركان : الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، سوريا ، ١٩٨٨ .

- محمد عيد : النحو المصفى ، مكتبة الشباب ، بدون تاريخ .
- محمد عيد : الصرف الواضح لبنية الكلمة العربية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الشباب ١٩٩٣
- محمد الهادى المطوى : أحمد فارس الشدياق : حياته وآثاره وآراؤه فى النهضة العربية الحديثة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٩ .
- محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى مع النص الكامل لكتابه « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .
- محمود فهمى حجازى : علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون تاريخ .
- محمود فهمى حجازى : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع ، دون تاريخ .
- نجيب العقيقى : المستشرقون ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٩٦٥ ، والجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ١٩٨١ .
- نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبنانى الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ .
- يوسف الدبس : الجامع المفصل فى تاريخ الموارنة المؤصل ، المطبعة العمومية الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٥ .
- يوسف داود الموصلى : التمرنة فى الأصول النحوية ، جزآن ، طبع دير الآباء الدومنيكيين ، الموصل ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ .

رابعا : مقالات الدوريات

- جرجس منش المارونى الحلبى : مطالب فى بحث المطالب ، المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الثالث والعشرون ، يناير ١٩٠٠ .

■■ جرجس منش المارونى الحلبى : المستطرفات المستظرفات فى حياة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة السابعة ، العدد الثانى ، ١٥ كانون الثانى ١٩٠٤ .

■■ جرجس منش المارونى الحلبى : تركة السيد جرمانوس فرحات ، المشرق ، السنة السابعة ، العدد الثامن ، أبريل ١٩٠٤ .

خامسا : دوائر المعارف والقواميس المتخصصة

■■ بطرس البستانى : دائرة المعارف ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ١٨٧٦

■■ خير الدين الزركلى : الأعلام (قاموس لأشهر تراجم الرجال والنساء من العرب والمستشرقين والمستعربين) ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٠ .

■■ عبد الرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤

■■ يوسف إلياس سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دون تاريخ .

سادسا : المراجع المترجمة

■■ بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربى ، القسم الثامن : العصر العثمانى ، ترجمة محمود فهمى حجازى وعمر صابر عبد الجليل ، إشراف محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ .

■■ بيترجران : الجذور الإسلامية للرأسمالية (مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠) ترجمة محروس سليمان ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٣ .

■■ يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، تعريب عمر لطفى العالم ، الطبعة الأولى ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ١٩٩٦ .

سابعا : المراجع الأجنبية

- Bobizin, Hartmut : Guilaume Postel (1S1O - 1S 81) und die Terminologie des arabischen Nationalgrammatik, Studies in The History of arabic Grammar, ed by kees versteegh and michael G. carter, Amsterdam 1990 .

- Blache're et Gaudefory : Grammaire de L'Arab Classique, Paris 1952 .

- De Sacy, Silvestre : Grammaire Arabe, Paris, 1829 .

- Graf, George : Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, Citte de Vaticano, Biblioteca Apostollca Vaticana 1977 .

- Hartmann, Martin : Philologie, Deutsche Literatur Zeitung, N. 5, 1896 .

- Starky, Pual and Meisami, Julie Scott (ed) : Encyclopedia of Arabic Literature, Routledge, London and New York 1998 .

- Wright : A grammar of the Arabic Language, University Press, Combridge, 1964 .